الدرر البازية

في الرد على الانحرافات العقدية والشرعية

جمعه وأعده

أبي العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد

قرأه وقدم له وقرظه

فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

فضيلة الشيخ الدكتور
عابد بن محمد السفياني
عميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى سابقا

فضيلة الشيخ
علوي بن عبد القادر السقاف
المشرف العام على موقع الدرر السنية

مكتبة الرشد
ناشرون

الدُّرَرُ البَنَائِيَّةُ

في الرَّدِّ على

الانحرافات العَقَدِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ

تأليف

أبي العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد

قرأه وقدّم له وقرّظه

فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البرّاك
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

فضيلة الشيخ الدكتور
عابد بن محمد السفياني
عميد كلية الشريعة
بجامعة أم القرى سابقاً

فضيلة الشيخ
علوي بن عبد القادر السقاف
المشرف العام على موقع الدرر السنية

مكتبة الرشد
ناشرون

ح مكتبة الرشد ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله
الدرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشرعية/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
الرياض ١٤٢٩ هـ
ردمك ٠-٨٣٠-٠١-٩٩٦٠-٩٧٨
١- العقيدة في الاسلام ٢- البدع في الاسلام أ الرشد، ابي العلا بن راشد ابي العلا (معد) ب. العنوان
ديوي ٢٤٠ رقم الايداع ١٤٣٠/٦٤١٢

ردمك: ٠-٨٣٠-٠١-٩٩٦٠-٩٧٨ رقم الايداع ١٤٣٠/٦٤١٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م



مكتبة الرشد – ناشرون
المملكة العربية السعودية – الرياض
الإدارة : مركز البستان – طريق الملك فهد – الدور الثاني
ص.ب. ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٦٠٤٨١٨ – فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

E-mail:info@rushd.com.sa
Website:www.rushd.com.sa

فروع مكتبة الرشد

- الرياض: المركز الرئيسي : الدائري الغربي ، بين مخرجي ٢٧ و ٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢
- الرياض: فرع طريق عثمان بن عفان، هاتف ٢٦٩٠٤٤٤ ٢٠٥١٥٠٠
- الرياض : فرع الدائري الشرقي هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
- فرع مكة المكرمة: شارع الطائف هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- فرع القصيم : بريدة – طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع أبها: شارع الملك فيصل : هاتف ٢٣١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
- فرع الدمام : شارع الخزان هاتف :٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
- فرع حائل هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
- فرع الإحساء: هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
- فرع تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧
- فرع القاهرة : شارع ابراهيم أبو النجا – مدينة نصر: هاتف: ٢٢٧٢٨٩١١ – فاكس: ٢٢٧١٢٦٢٥

مكاتبنا بالخارج

- القاهرة : مدينة نصر هاتف ٢٧٤٤٦٠٥ – موبايل: ٠١١٦٢٨٦١٧٠
- بيروت: بئر حسن موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ تلفاكس: ٠٥/٤٦٢٨٩٥

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

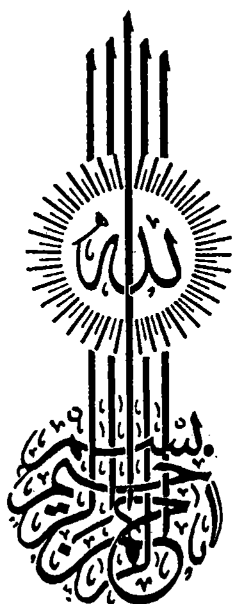
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الدُّرَرُ البَهِيَّة

في الرَّدِّ على

الانحرافات العَقَدِيَّة والشَّرعِيَّة



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .. أما بعد :

فلقد اطلعت على المؤلف الموسوم بـ [**الدرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشرعية**] لمؤلفه فضيلة الشيخ [**أبي العلاء بن راشد بن أبي العلاء وفقه الله**] وقد جمع فيه درراً وغرراً من فتاوى ومقالات وردود للشيخ الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله وقد أجاد المؤلف وأحسن لعنايته فيما يتعلق بالعقيدة ؛ لأنها الأصلُ الذي عليه مدار الشريعة ، وفي هذه الفتاوى والمقالات والردود تجلية للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الكتاب والسنة ودحض للشبهات والافتراءات المعارضة لها مما طفحت به الصحف في الداخل والخارج في حياة الشيخ وفي هذا الجمع إبراز لجهود الشيخ وجهاده رحمه الله .

وقد صدّر المؤلف – بارك الله فيه – هذا المؤلف بترجمة موجزة للشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – وبتمهيد عن أثر الصحافة في واقع الأمة خيراً أو شراً . كما مهد لكل فصل من فصول الكتاب بما يوضح موضوعه ويعطي القارئ تصوراً له قبل أن يقف على ما اشتمل عليه الفصل من مقالات وردود ، وكلها موضوعات خطيرة جديرة بتبصير الناس فيها ليكون لهم بذلك فرقان بين الحق والباطل فيتقوا ما تقذف به الصحف من أنواع الباطل والضلال فجزى الله المؤلف خيراً وضاعف مثوبته ونفع الله بما قدمه وقربه للأمة من علم الشيخ وجهوده رحمه الله ورفع درجاته في عليين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قال ذلك :

عبدالرحمن بن ناصر بن براك البراك

حرر في يوم الثلاثاء ٢٩ من شهر شوال من عام ١٤٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر البراك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه... أما بعد:

فقد اطَّلعت على المؤلف الموسوم بـ **[الدُّرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشَّرعية]** لمؤلفه فضيلة الشيخ [أبي العلاء بن راشد بن أبي العلاء وفقه الله] وقد جمع فيه دررًا وغُرَراً من فتاوى ومقالات وردود الشيخ الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله وقد أجاد المؤلف وأحسن لعنايته فيما يتعلق بالعقيدة؛ لأنها الأصل الذي عليه مدار الشريعة، وفي هذه الفتاوى والمقالات والردود تجلية للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الكتاب والسنة ودحض للشبهات والافتراءات المعارضة لها مما طفحت به الصحف في الداخل والخارج في حياة الشيخ وفي هذا الجمع إبراز لجهود الشيخ وجهاده رحمه الله.

وقد صَدَّر المؤلف ـ بارك الله فيه ـ هذا المؤلَف بترجمة موجزة للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وبتمهيد عن أثر الصحافة في واقع الأمة خيرًا أو شرًا، كما مهَّد لكل فصل من فصول الكتاب بما يوضِّح موضوعه ويعطي القارئ تصورا فيه قبل أن يقف على ما اشتمل عليه الفصل من مقالات وردود، وكلها موضوعات خطيرة جديرة بتبصير الناس فيها ليكون لهم بذلك فرقان بين الحق والباطل فيتقوا ما تقذف به الصحف من أنواع الباطل والضلال فجزى الله المؤلف خيرًا وضاعف مثوبته ونفع الله بما قدَّمه وقرَّبه للأمة من علم الشيخ وجهوده رحمه الله ورفع درجاته في عليين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال ذلك

عبدالرحمن بن ناصر بن براك البراك

تحريرًا في يوم الثلاثاء ٢٩ من شهر شوال من عام ١٤٢٩هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فقد اطلعت على كتاب "الدرر البازية في الرد على الاختراقات العقدية والشرعية" لمؤلفه فضيلة الشيخ أبي العلا بن راشد بن أبي العلا، وقد قدم له بترجمة للعلامة ابن باز رحمه الله، وتمهيد عن دور الصحافة وتأثيرها في الواقع المعاصر، ومنهج الشيخ في التعامل مع الصحافة والإعلام، وجمع مقالات الشيخ وردوده في الصحافة في كافة المجالات، ويتبين أن أكثرها في حماية التوحيد والرد على المخالفين، فقد رد الشيخ على القوميين والحزبيين، والاشتراكيين، ودعاة الغزو الفكري، ودافع عن الشريعة، ودعا إلى تحكيمها، وحذر من القوانين الوضعية، ومن بدع الفرق الضالة من الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة وسائر الفرق وحذر منها، كما حذر من المؤتمرات التي دعت إلى تغيير أحكام الأسرة وهذه النماذج التطبيقية تكشف عن منهج العلامة المجدد، وتوضح معالمه، ومن أبرز معالمه كما بينه المؤلف إظهار الحجة وبيان الحق، والدفاع عنه، وكشف الشبه، مع حكمة وحسن أدب وحوار يلتزم المنهج العلمي الشرعي، ويعتمد على الدليل من الكتاب والسنة ولا يجامل أحداً ولا يحابيه، ولهذا جدد الله بهذا العالم التوحيد ونفع به الناس، وأظهر به العلم في شتى هذه المجالات

وقد أحسن المؤلف في هذا الكتاب وبذل فيه جهداً علمياً، ووثق نصوصه، وتركها حية واضحة تتحدث عن منهج العلامة ابن باز رحمه الله وهذا الكتاب توثيق لمقالات الشيخ الصحفية وبيان لمنهجه في ذلك ونسأل الله أن يجزي المؤلف على ما قدم، وأن يبارك لنا في علم ابن باز العلامة المجدد الذي دعا إلى الله عز وجل بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة.

كتبه/ عابد بن محمد السفياني

١١/٦/١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشَّيخ الدُّكتور عابد بن محمد السفياني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد اطَّلعت على كتاب "**الدُّرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشَّرعية**" لمؤلفه فضيلة الشيخ أبي العُلا بن راشد بن أبي العُلا، وقد قدَّم له بترجمة للعلامة بن باز رحمه الله، وتمهيد عن دور الصحافة وتأثيرها في الواقع المعاصر، ومنهج الشيخ في التعامل مع الصحافة والإعلام، وقد جمع مقالات الشيخ وردوده في الصحافة في كافة المجالات، وتبيّن أن أكثرها في حماية التوحيد والرد على المخالفين، فقد رد الشيخ على القوميين والخرافيين، والاشتراكيين، ودعاة الغزو الفكري، ودافع عن الشريعة، ودعا إلى تحكيمها، وحذّر من القوانين الوضعية، وبدع الفرق الضالة من الخوارج، والمعتزلة. والمرجئة وسائر الفرق وحذّر منها، كما حذّر من المؤتمرات التي دعت إلى تغيير أحكام الأسرة.

وهذه النماذج التطبيقية تكشف عن منهج العلامة المجددِ، وتوضِّح معالمه، ومن أبرز معالمه كما بيّن المؤلف إظهار الحجة وبيان الحق، والدفاع عنه، وكشف الشُّبه، مع حكمة وحسن أدب وحوار يلتزم المنهج العلمي الشرعي، ويعتمد على الدليل من الكتاب والسنة ولا يجامل أحدًا ولا يحابيه، ولهذا جدد اللهُ بهذا العالم التوحيد ونفع به الناس، وأظهر به العلم في شتى هذه المجالات.

وقد أحسن المؤلف في هذا الكتاب وبذل فيه جهدًا علميًا، ووثق نصوصه، وتركها حجةً واضحة تتحدث عن منهج العلامة ابن باز رحمه الله

وهذا الكتاب توثيق لمقالات الشيخ الصحفية وبيان لمنهجه في ذلك، ونسأل الله أن يجزي المؤلف على ما قدَّم، وأن يبارك لنا في علم ابن باز العلامة المجدد الذي دعا إلى الله عز وجل بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة.

كتب/ عابد بن محمد السفياني
٢٦/ ١/ ١٤٣٠هـ

علوي بن عبدالقادر السقاف
المشرف العام على موقع الدرر السنية
saggaf@dorar.net

المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٣٩٣٦٤
الظهران: ٣١٩٤٢
فاكس: ٠٣٨٩١٠٢٢٢
جوال: ٠٥٠٥٨٠٨٢٧٢



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

فقد حرص على أخذ دور الصحافة في التأثير على المجتمعات وعقول الناس وأفكارهم، نفسٌ من العلمانيين والمتغربين ومن يسمّون أنفسهم بالتنويريين والعقلانيين من وقت مبكر إلى السيطرة عليها لبثّ أفكارهم وشبهاتهم وذلك لزعزعة الأمة في ثوابتها وأخلاقها، وما كانوا لينالوا ذلك لولا أنهم مُكِّنوا فتمكّنوا، لكن العلماء الربانيين والدعاة الصادقين كانوا لهم بالمرصاد، فردّوا على شبهاتهم وطعونهم في الإسلام من وقت مبكر أيضاً، ومن هؤلاء الإمام الربّاني الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – رحمه الله – الذي لا يخفى على أحد كثرة ردوده على هؤلاء سواءً في الصحف المحلية أو العربية رغم كثرة مشاغله وأعماله، بل لا تكاد تجد صحيفة محلية في عصره إلا وقد كتب فيها، رادّاً على هذا أو ذاك، وفي مسائل عدة كمسائل التوحيد والشركيات والخرافات ووحدة الأديان والبدع والتبرج والسفور ونحوها وغيرها كثيرٌ جداً.

وقد قام صاحب الفضيلة د. أستاذ العقيدة الشيخ أبو العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد -وفقه الله- بجمع هذه الردود في هذا الكتاب الذي سمّاه بـ (الدرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشرعية) جمع فيه ردود الشيخ على هذه الصحف، وأثبت متنها وسنتها، وعلّق عليها، وقدّم لها بمقدمات، ومهّد لها بتمهيدات، فجاءت دررًا على عقدها.

واليوم أطلّت الفتنة برأسها من جديد، وتعدّت وسيلة الصحافة إلى وسائل أخرى أشدّ فتكاً بالأمة كالفضائيات ودور السينما وشبكة الإنترنت ونحوها، ولا زال العلماءُ والدعاةُ يبذلون جهوداً لصدّ عدوان المسيطرين على هذه الوسائل المتحكّمين في دين الأمة وثوابتها وأخلاقها، ورغم أن المعركة غير متكافئة إلا أنّ الله ردّ كيد كثير منهم في نحورهم وفضحهم أمام الخلائق، ويأتي اليوم هذا الكتاب (الدرر البازية) ليشحذ الهمم ويقوّي العزائم في القيام بالإنكار عليهم، فشكر الله مؤلفه الشيخ أبي العلا، ورحم الله الإمام ابن باز رحمة واسعة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

كتبه

علوي بن عبدالقادر السقاف

١٤٣٠/٢/٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشَّيخ علوي بن عبدالقادر السَّقاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

أما بعد:

فغير خافٍ على أحدٍ دور الصحافة في التأثير على المجتمعات وعقول الناس وأفكارهم، لذلك فطن العلمانيون والليبراليون من يُسمُّون أنفسهم بالتنويريين والعقلانيين من وقت مبكر إلى السيطرة عليها لبثِّ أفكارهم وشبهاتهم وذلك لزعزعة الأمة في ثوابتها وأخلاقها، وما كانوا لينالوا ذلك لولا أنهم مُكنوا فتمكنوا، لكن العلماء الربانيين والدعاة الصادقين كانوا لهم بالمرصاد، فردُّوا على شبهاتهم وطعونهم في الإسلام من وقت مبكرًا أيضًا، ومن هؤلاء الإمام الرَّباني الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله الذي لا ينقضي عجبُ المرء من كثرة ردوده على هؤلاء، سواء في الصحف المحلية أو العربية رغم كثرة مشاغله وأعماله، بل لا تكاد تجد صحيفة محلية في عصره إلا وقد كتب فيها، رادًا على هذا أو ذاك، وفي مسائل عدة كمسائل التوحيد والشركيات والخرافات ووحدة الأديان والبدع والتبرج والسفور وغيرها وغيرها كثيرٌ جدًا.

وقد قام صاحب الفضيلة ذو الهمة العالية الشيخ أبو العُلا بن راشد بن أبي العلا الراشد ـ وفقه الله ـ بجمع تلك الردود في هذا الكتاب الذي بين يديك: (**الدُّرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشَّرعية**) جمع فيه ردود

الشيخ على هذه الصحف، وألَّف بينها ونسَّقها وعلّق عليها وقدّم لها بمقدمات ومهَّد لها بتمهيدات، فجاءت دررًا على اسمها.

واليوم أطلَّت الفتنةُ برأسها من جديد، وتعدَّت وسيلة الصحافة إلى وسائل أخرى أشد فتكًا بالأمة كالفضائيات ودور السينما وشبكة الانترنت وغيرها، ولا زال العلماءُ والدعاةُ يبذلون جهودًا لصدِّ عدوان المسيطرين على هذه الوسائل المشكِّكين في دين الأمة وثوابتها وأخلاقها، ورغم أنَّ المعركة غير متكافئة إلا أن الله ردَّ كيدَ كثير منهم في نحورهم وفضحهم أمام الخلائق، ويأتي اليوم هذا الكتاب (**الدُّرر البازية**) ليشحذ الهمم ويقوِّي العزائم، في القيام بالإنكار عليهم، فشكر الله لمؤلفه الشيخ أبي العلاء، ورحم الله الإمام ابن باز رحمة واسعة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

كتبه

علوي بن عبدالقادر السقاف

٣/ ٢/ ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا درهما ولا دينارا وإنما ورَّثوا العلم، والعلماء الربانيون هم ضياء الأمة في الظلمة، وملجأها بعد الله في كشف الغمة، وسد باب الفتنة، فيقفون لكل منحرف أو مبتدع حتى يهديه الله أو يرتدع، يحوطون عقيدة أمتهم وشريعتها بالحماية، ويردّون عنها من يُحرِّفها لأجل الغواية، والأمة إنما تبتلى بفقد العلماء أعظم البلية، وتقع عليها أنكى الرزية.

والأمة كانت ولا زالت بحمد الله تعالى تنجب علماء ربانيين، عن الشريعة مدافعين وللمبتدعين بالمرصاد واقفين، وإنْ كان في أوَّل عهدها هذا الصنف يكثر

وفي آخره يندر، ومن هؤلاء العلماء الربانيين الذين أسهموا في مسيرة الإصلاح والدعوة، وحماية الشريعة وصيانة العقيدة والذود عن حياضها ((العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى)) الذي كانت له جهود شتى في ميادين متعددة، بل كان فارسًا في كل ميدان، وكان للشيخ رحمه الله تعالى جهود بارزة وواضحة في تتبع ما يكتب في الصحف من مقالات تتعلق بالشريعة والعقيدة، والرد على كُتَّابها ومراسلتهم، وبيان الأخطاء التي وقعوا فيها بأسلوب الناصح المشفق، لا بأسلوب الساخر المستهزئ يكشف وجه الحق بالحجة والبرهان، وكنت منذ فترة أطالع ما كتبه الشيخ في هذا المضمار، فألفيته رحمه الله تعالى بذل جهدا كبيرا في ذلك في مجالات شتى، سواء كانت هذه الانحرافات الصحفية تتعلق بمسائل الاعتقاد، وقد أَولاها عناية كبرى، أو غيرها من المسائل الأسرية، أو الاجتماعية، أو التحذير من المبادئ الهدامة، والداعين إليها، وكذلك التحذير من مقالات الدَّاعين إلى البدع من خلال منابر الصحافة، أو الطاعنين في الشريعة وأحكامها، وكذلك التحذير من قرارات المؤتمرات المشبوهة، وقد بذل الشيخ جهدا كبيرا في الاهتمام بقضايا المسلمين من خلال الصحافة، ولم يقتصر جهد الشيخ على الصحافة المحلية، بل كان يرد على الصحافة العربية وغيرها، وقد استعنت بالله تعالى على كتابة موضوع بعنوان: **((الدُّرر البازية في الرد على الانحرافات العقدية والشَّرعية)).**

والذي دفعني إلى كتابة هذا الموضوع عدة أسباب منها:

أسباب اختيار الموضوع:

١- إبراز نموذج للعالم السلفي المهتم بقضايا أمته، وما يكتب في صحافتها من مقالات، وبيان أن الشيخ رحمه الله لم يكن منعزلا في مكتبه أو مسجده بعيدا عن قضايا أمته.

٢- إبراز جهود الشيخ رحمه الله تعالى في هذا المضمار، وبيان أنَّ هذه الجهود لم

تكن مقصورة على جانب واحد من الجوانب، بل كانت شاملة لجميع الجوانب فالشيخ رحمه الله تعالى لم تكن تأخذه في الله لومة لائم.

٣- إبراز أسلوب الشيخ في هذه الردود وبيان أنَّه كان عفَّ القلم واللسان يكتب بأسلوب راق يتسم بالأدب والخلق معَ مخالفته لمن يرد عليه حتى يتعلم الدعاة والمصلحون أدب الرد على المخالف.

٤- بيان إنصاف الشيخ في رده على المخالف وبيان ما عنده من حق ومدحه، مما عنده من باطل والرد عليه بالحجة والبرهان.

٥- بيان أنَّ الشيخ كان لا يأخذ في رده بالشبهة بل بصريح المقال.

٦- بيان عناية الشيخ في الرد على المذاهب الهدَّامة، وما تنشره في الصحف، وعلى قائليها وكشفها وفضح مخططاتها.

٧- بيان اهتمام الشيخ رحمه الله تعالى بقضايا المسلمين، ومحاولة نشر قضاياهم في الصحف ووسائل الإعلام.

٨- عودة بعض المبادئ الهدامة التي رد عليها الشيخ تطلُّ برأسها من جديد فكان لابد من كشفها وبيان عوارها من خلال جهود الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله تعالى.

فلهذه الأسباب وغيرها استعنت بالله تعالى على كتابة هذا الموضوع، فإن كنت قد وفقت فمن الله عز وجل، وإنْ كنت قد أخطأت، فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر الجميل لكل من قرأ هذا الكتاب وأسدى لي نصحًا، أو أبدى لي ملاحظةً أو تصحيحًا.

وأخص المشايخ الفضلاء الذين استقطعوا من وقتهم وجهدهم الكثير في قراءة هذا الكتاب والتقديم له.

١ – فضيلة الشيخ العلاَّمة المجاهد عبدالرحمن بن ناصر برَّاك البرَّاك عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الذي قُرِئَ عليه الكتاب كاملاً وأبدى ملاحظات هامة فجزاه الله خير الجزاء.

٢ – فضيلة الشيخ الدكتور عابد بن محمد السفياني عميد كلية الشريعة سابقًا وعضو مجلس الشورى الذي أبدى ملاحظات هامة وقدَّم لكتابنا.

٣ – فضيلة الشيخ علوي بن عبد القادر السَّقاف المشرف العام على موقع الدرر السَّنية على الشبكة العنكبوتية الذي استفدت منه كثيرًا في تصويب كثير من الأمور فجزاه الله خير الجزاء على تقديمه لهذا الكتاب.

٤ – فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى سابقًا الذي تصفح هذا الكتاب وأبدى بعض الملاحظات وأثنى عليه وعلى فكرته فجزاه الله خير الجزاء.

٥ – الأخ الشيخ أبوعبدالرحمن كمال محمود إبراهيم الذي بذل جهدًا كبيرًا في مراجعة هذا الكتاب فجزاه الله خير الجزاء وبارك له في أهله وولده.

كتبه: أبو العلا بن راشد بن أبي العلا الرَّاشد
السابع والعشرون من جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ
مكة المكرمة حرسها الله

خطة البحث:

١- ترجمة موجزة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

تمهيد اشتمل على:

١- تمهيد في دور الصحافة وتأثيرها في واقع الأمة المعاصر.

٢- منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في التعامل مع الصحافة والإعلام.

الفصل الأول:

بعنوان:

ردود سماحة الشيخ على الانحرافات في مسائل التوحيد.

واشتمل على:

١. تمهيد في بيان أهمية التوحيد وعناية الشيخ به.

٢. رد الشيخ على صحيفة المجتمع في نشرها مقالا يتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

٣. رد الشيخ على صحيفة الشرق الأوسط لنشرها قصيدة تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

٤. رد الشيخ على صحيفة الرياض لنشرها مقالاً اشتمل على الاستغاثة بغير الله تعالى.

٥. رسالة من الشيخ عبدالعزيز إلى وزير الإعلام في التعليق على صحيفة المدينة لنشرها مقالاً يتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

الفصل الثاني:

بعنوان

الرد على من طعن في أحكام القرآن أو السنة أو الرسول ﷺ.

واشتمل على:

١- حكم الإسلام فيمن زعم أنَّ القرآن متناقض.
رد سماحة الشيخ على صحيفة الشهاب اللبنانية.

٢- برقية من سماحة الشيخ وبعض المشايخ.
إلى كاتب المقال بصحيفة الشهاب اللبنانية.

٣- بيان الأدلة على كفر من طعن في القرآن أو في الرسول ﷺ.

٤- الرد على مطاعن عدة نشرتها جريد: الصباح.

٥- الرد على مقال بصحيفة اليمامة يطعن في تعدد الزوجات.

٦- الرد على صحيفة محلية تسخر من القرآن وأهله.

٧- الرد على صحيفة المساء في استهزائها بالرسول ﷺ وتنقصه.

٨- رد سماحة الشيخ بن باز على المدعو رشاد خليفة في إنكاره السنة.

٩- بيان كفر وضلال من زعم أنه يجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد.
رد على مقال بصحيفة الشرق الأوسط.

١٠- حكم الإسلام في غلام أحمد برويز.

الفصل الثالث:

بعنوان

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في كشف الغزو الفكري في بلاد المسلمين

واشتمل على:

١- حوار مع سماحة الشيخ حول الغزو الفكري وأساليبه.

٢- أساليب مجابهة الغزو الفكري المعاصر.

٣- مستقبل الإسلام أمام التيارات الفكرية المعاصرة.

الفصل الرابع:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ في الرد على دعاة وحدة الأديان أو التقريب بينها

واشتمل على:

١- تمهيد في نشأة الدعوة إلى وحدة الأديان، وحكم من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم.

٢- رد سماحة الشيخ على مقالٍ لشيخ الأزهر نُشر بجريدة الجزيرة.

٣- رد سماحة الشيخ على مقال نُشر بجريد الشرق الأوسط يجيز الخروج عن شريعة محمد ﷺ.

٤- رد سماحة الشيخ على المفكر الفرنسي روجيه جارودى في دعوته لوحدة الأديان على ضوء مقابلة مجلة المجلة (لروجيه جارودى).

٥- رد سماحة الشيخ على جريدة عكاظ بعنوان (لا أخوة بين المسلمين والكافرين ولا دين حق غير دين الإسلام).

٦- رد سماحة الشيخ على بعض الصحف المحلية في دعوتها لعدم عداوة اليهود والنصارى.

٧- رد سماحة الشيخ على جريدة اليوم بعنوان (الإسلام هو الدين الحق).

٨- رد سماحة الشيخ على صحيفة المدينة بعنوان (الإسلام هو دين الله ليس دين سواه).

٩- جواب لسماحة الشيخ بعنوان (إنَّ الدِّين عند الله الإسلام).

الفصل الخامس:

بعنوان

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على دعاة القومية العربية

واشتمل على:

١- تمهيد في نشأة القومية العربية وأبرز رموزها.

٢- جواب سماحة الشيخ لصحيفة البلاد في الرد على فكرة القومية العربية.

٣- جواب سماحة الشيخ لصحيفة الراية السودانية العربية حول القومية العربية.

٤- جواب سماحة الشيخ لمجلة الإصلاح الإماراتية حول القومية العربية..

٥- رسالة لسماحة الشيخ بعنوان نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع.

الفصل السادس:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على الاشتراكية ودعاتها

واشتمل على:

١. تمهيد في تعريف الاشتراكية ونشأتها.
٢. الرد على الصحافة المصرية في دعوتها لتطبيق الاشتراكية.
٣. جواب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للصحف الباكستانية حول حكم تطبيق الاشتراكية.
٤. رسالة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للنظام الاشتراكي في العراق.

الفصل السابع:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مسألة تحكيم الشريعة والرد على الداعين إلى تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين

واشتمل على:

تمهيد في قضية تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين.

١ - رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه.

٢ - بيان أنَّ الحكم بالشريعة له ارتباط بالشهادتين وبيان حكم التحاكم للطاغوت.

٣ - حكم الاحتكام إلى القوانين الوضعية.

٤ - جواب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لصحيفة الراية السودانية حول تطبيق الشريعة.

٥ - رد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على صحيفة عكاظ في دعوتها لإحياء التحاكم للأعراف القَبَليَّة.

الفصل الثامن:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ في الرد على انحرافات في قضايا عقدية متنوعة

واشتمل على:

١ - رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في نشرها مقالاً بعنوان قسوة القدر.

٢- رد سماحة الشيخ على صحيفة محلية في مسألة القدر.
٣- رد سماحة الشيخ على مجلة اقرأ لنشرها كلمة بعنوان الطبيعة تخطئ والإنسان يصحح.
٤- تعليق سماحة الشيخ حول وجود الله ﷻ.
٥- رد سماحة الشيخ على صحيفة عكاظ حول وجود الله سبحانه.
٦-تنبيهات حول ما كتبه الشيخ الصابوني حول صفات الله رد على مقابلة أجرتها مجلة المجتمع.
٧- تعقيب سماحة الشيخ على مقال نشر بجريد الشرق الأوسط حول مذهب السلف في الصفات.
٨- الرد على بعض الصحف في دعوتها للتعلق بالأبراج والنجوم والطالع.
٩- بيان من سماحة الشيخ بعنوان نشرات مكذوبة يروج لها بعض الناس.
١٠- رد سماحة الشيخ على صحيفة عكاظ بعنوان خرافة يجب تكذيبها.
١١- تحريم الحلف بغير الله تعالى رد على مقال نشر بصحيفة الرياض.
١٢- رد سماحة الشيخ على صحيفة الندوة بعنوان (الإسلام قول وعمل وعقيدة).

الفصل التاسع:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ في الرد على بعض البدع والمحدثات

واشتمل على:

١- رد سماحة الشيخ على صحيفة الأضواء لنشرها مقالاً حول الاحتفال بالمولد النبوي مع تعليقه على مزاعم هيئة الإذاعة البريطانية.

٢- تنبيه حول الاحتفال بالمناسبات الإسلامية تعليق على صحيفة المدينة.

٣- رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في الدعوة لتعظيم الآثار.

٤- حكم الإسلام في إحياء الآثار رد على مقال بصحيفة المدينة يدعو إلى إحياء الآثار.

٥- رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الندوة يدعو لإحياء الآثار.

٦-كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: حكم الإحداد على الزعماء.

٧- الرد على الكاتب الصحفي مصطفى آمين في دعوته لإحياء الآثار.

٨- التحذير من بناء المساجد على القبور الرد على دعوة لأحياء مسجد أهل الكهف.

٩-كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: دفن الموتى في المساجد إحدى وسائل الشرك.

الفصل العاشر:

بعنوان

جهود سماحة الشيخ ابن باز في الرد على الانحرافات في قضية تغريب المرأة المسلمة وبعض القضايا الأخرى

واشتمل على:

١-مدخل تاريخي لقضية تغريب المرأة المسلمة مع نماذج من أقوال دعاة التغريب.

٢-تحذير وبيان من سماحة الشيخ عن مؤتمر بكين.

٣-ملاحظات حول قانون الأحوال الشخصية في بعض الدول الإسلامية.

٤-رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الأهرام القاهرية يدعو إلى خلع

الحجاب.

٥-بيان من سماحة الشيخ حول توظيف النساء في الدوائر الحكومية.

٦-حكم الاختلاط في التعليم والرد على مدير جامعة صنعاء في دعوته للاختلاط في الدراسة.

٧-الاختلاط في الدارسة والرد على بعض الكتاب في دعوته للاختلاط.

٨-تحريم الدعوة إلى الاختلاط والرد على بعض الكتاب في دعوته للاختلاط بالدراسة.

٩-تعليق موجز على ما كتبه بعض الكتاب في مجلة اليمامة.

١٠-بيان من سماحة الشيخ بعنوان التحذير من مكائد الأعداء.

١١-حكم الأغاني في الإسلام الرد على بعض الصحف في دعوتها لترويج الأغاني المحرمة.

١٢-لا لهذه الرحلات والرد على بعض الصحف في دعوتها للسفر لرحلات بالخارج.

١٣-الرد على المفتي العام بالأردن في إباحة تحديد النسل.

١٤-حكم الإسلام في عيد الأم والأسرة والرد على بعض الكُتّاب في دعوتهم للاحتفال بهذه الأعياد.

١٥-بيان من سماحة الشيخ بعنوان مع الصحف والإذاعة.

ترجمة موجزة للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى

مولده: وُلد الشيخ ﷺ تعالى في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ وضعف بصره ثم فقده عام ١٣٥٠هـ.

طلبه للعلم: حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم جَدَّ في طلب العلم على العلماء في مدينة الرياض، ولما بَرَزَ في العلوم الشرعية عُيِّن في قضاء مدينة الخرج عام ١٣٥٧هـ، ولم ينقطع الشيخ عن طلب العلم، حيث لازم البحث والتدريس ليلا ونهارا ولم تشغله المناصب عن ذلك مما جعله يزداد بصيرة ورسوخا في كثير من العلوم الشرعية.

وقد اعتنى الشيخ عناية تامة بالعقيدة دراسة وتدريسا وتعلما وتعليما، وذلك واضح في ما كتبه الشيخ من رسائل وما ألفه من مؤلفات، وما ألقاه من دروس ومحاضرات. متأثرًا في ذلك بمشايخه من علماء الدعوة الذين كانت لهم عناية تامة بالعقيدة وتصحيحها، وقد اعتنى الشيخ عناية خاصة بالحديث وعلومه حتى أصبح حكمه على الحديث بالصحة والضعف محلَّ اعتبار عند أهل العلم.

مشايخه: تلقى الشيخ العلم على أيدي علماء كثيرين من أبرزهم:

١ – الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب قاضي الرياض

٢ – الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٣– الشيخ سعد بن حمد بن عتيق.

٤- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية، وقد لازمه عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) أخذ عنه علم التجويد عام ١٣٥٥هـ.

نشاطه في التدريس: منذ أن تولى القضاء في مدينة الخرج عام١٣٥٧هـ وهو ملازم للتدريس في حلقات منتظمة، وكذلك لما انتقل إلى الرياض للتدريس بالمعهد العلمي عام ١٣٧٢هـ، ثم في كلية الشريعة بعد إنشائها عام ١٣٧٣هـ، وقد دَرَّس فيها علوم الفقه والتوحيد والحديث، وقد أسس رحمه الله تعالى حلقة للتدريس في الجامع الكبير بالرياض منذ أنْ انتقل إليها، ثم نقل نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ، عقد حلقة للتدريس بالمسجد النبوي استمرت حتى عام١٣٩٥هـ وكان قد عين رحمه الله تعالى رئيسا للجامعة عام ١٣٩٠هـ وقد كان رحمه الله تعالى يقيم دروسا أثناء تنقله صيفا لمدينة الطائف. فضلا عن مئات المحاضرات التي كان يشارك فيها رحمه الله تعالى.

تلامذته: من أبرز تلاميذ الشيخ:

١- الشيخ عبد الله الكنهل.

٢- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

٣- الشيخ راشد بن صالح الخنين.

٤- الشيخ عبد اللطيف بن شديد.

٥- الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود.

٦- الشيخ عبد الرحمن بن جلال.

٧- الشيخ صالح بن هليل.

٨- الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

وغيرهم من المشايخ الفضلاء وطلاب العلم النجباء مما لا تسع هذه الترجمة عدهم أو حصرهم.

مؤلفاته:

١- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة صدر منها ٢٤ مجلدا.

٢- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٣- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة.

٤- التحذير من البدع.

٥- رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٦- تحفة الإخوان في مسائل تتعلق بأركان الإسلام.

٧- فتاوى الشيخ بن باز في أركان الإسلام جمع الدكتور الطيار.

٨- العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٩- نبذ القومية العربية.

١٠- رسالة في وجوب تحكيم الشرع ونبذ ما يخالفه.

١١- وجوب العمل بسنة الرسول وكفر من خالفها.

١٢- فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز.

١٣- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.

١٤- حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١٥- الجواب المفيد في حكم التصوير.

١٦- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته وسيرته.

١٧- حكم الإسلام فيمن طعن في رسول الله ﷺ.

١٨- حاشية على فتح الباري وصل فيها إلى كتاب الحج.

١٩- الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض.

٢٠- إقامة البراهين على كفر من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

٢١- الجهاد في سبيل الله.

٢٢- الدروس المهمة لعامة الأمة.

٢٣- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢٤- تحفة الأخيار من الأدعية والأذكار.

أعماله:

زاول الشيخ عدة أعمال:

١. الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالدّيار السعودية.
٢. مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء.
٣. رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
٤. رئيس المجلس الأعلى العالمي للمساجد.
٥. رئيس المجمع الفقهي.
٦. رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٧. عضو الهيئة العليا للدعوة الإسلامية.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى في فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة بمدينة الطائف وصلي عليه يوم الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة وقد كانت جنازته رحمه الله مشهودة توافد للصلاة عليه عشرات بل مئات الألوف من طلاب العلم والعلماء من داخل المملكة وخارجها، رحم الله الشيخ ابن باز وأسكنه فسيح جناته[1].

---

(١) راجع في ترجمة الشيخ ابن باز:

١- فتاوى اللجنة الدائمة [١/ ٣٠/ ٣٥] ط دار الإفتاء.

٢- فتاوى علماء البلد الحرام [١٧-٢٥] الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣- إمام العصر [٩-١٤٠] الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٤- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٩-١٣] ط دار الإفتاء ١٤٢٣هـ.

٥- فتاوى وتنبيهات [٨-١٣] الطبعة الأولى ط مكتبة السنة ١٤١٩هـ.

٦- الآراء التربوية عند الإمام ابن باز ط١ دار طيبة الخضراء.

٧- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والدعاة.

٨- عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة للدكتور الشويعر ط/ ١ ١٤٢٧هـ.

تمهيد

واشتمل على:

١- تمهيد في دور الصحافة وتأثيرها في واقع الأمة المعاصر.

٢- منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في التعامل مع الصحافة والإعلام.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

تمهيد

دور الصحافة وتأثيرها في الأمة

مقدمة تاريخية عن نشأة الصحافة:

لعبت الصحافة دورًا كبيرًا وخطيرًا في التأثير على المجتمعات الإسلامية والصحافة في بداية نشأتها في العالم العربي وبخاصة في مصر، كانت صحافة نصرانية، ولذلك لا تعجب من وجود أكبر ثلاث دور صحفية كبيرة لبنانية مسيحية في مصر.

وكانت بداية الصحافة النصرانية بداية خادعة ماكرة، فلم تبدأ بمهاجمة الإسلام وتعاليمه وشرائعه، بل بدأتْ بامتداح الإسلام، ورسوله العظيم، ثم آل الأمر بها إلى الدعوة للأخذ بنمط الحياة الغربية، والدفاع عن الحضارة الأوربية بكل سقطاتها وانحرافاتها.

لقد أدَّت الصحافة دورا خطيرا وكبيرا في حياة المسلمين المعاصرة، ولعبت أخطر الأدوار في تذويب الشخصية المسلمة، ونشر الإعجاب بالغرب على أوسع نطاق، والترويج للمذاهب الهدامة كالاشتراكية والقومية والتقريب بين الأديان.

وتدريجيا بدأتْ الصحافة المعاصرة بمهاجمة الإسلام وشرائعه لكن تحت غطاء مهاجمة التقاليد البالية إمعانا في المكر والخداع، وحتى لا تستثير عواطف الجماهير المسلمة، ثم شرعت الصحافة في نشر المقالات حول قضية ما يسمى بتحرير وحقوق المرأة لتغريب المرأة المسلمة حتى تتحول إلى نمط المرأة الأوربية الغربية.

لقد كانت الصحافة التغريبية بوقًا لكل ناعق من دعاة المبادئ الهدامة تفسح

لهم المجال، وتُضْفي عليهم هالةً من الاحترام والتقدير باسم (حرية الفكر).

ففي مجال الدعوة إلى تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين قامت بعض الصحف بامتداح هذه القوانين ووصفها بالمدنية والرقي والتقدم، والغض من شأن الشريعة، والطعن في صلاحية تطبيقها، ووصفها بأنها لا تلائم حاجات العصر المتجددة.

وفي مجال المرأة؛ دعت إلى الحرية الزائفة وأشاعت جوًا من التبرج الصارخ، تتبعت فيه أخبار الفاسقات من الممثلات والمغنيات وتابعت أحدث (الموديلات) لإفساد المرأة المسلمة.

ثم انتشرت الدور الصحفية في طول العالم الإسلامي وعرضه وتتلمذ كثير من كُتَّاب الصحافة على أيدي المؤسسين الأوائل وتأثروا بأفكارهم وهذا الكلام لا يأخذ صفة التعميم، ولا ينفي وجود كُتَّاب صحفيين ملتزمين بآداب الإسلام والدفاع عنه وعن شريعته، وكان من ثمار الوعي الإسلامي صدور عدد لا بأس به من الصحف والمجلات الإسلامية التي تعنى بالدفاع عن الإسلام وشريعته وتُدلي بدلوها في القضايا الإسلامية الهامة وتُعطي الرأي الإسلامي المستنير[1].

(١) راجع في دور الصحافة وتأثيرها على واقع الأمة:

١- واقعنا المعاصر [٢٣٩-٢٥٠].

٢- عودة الحجاب [١/ ١٣٥-١٣٢].

٣- الصحافة والأقلام المسمومة [١٧-٩٠].

٤- حصوننا مهددة من داخلها.

ولما كانت عناية الشيخ عبد العزيز بن باز بالرد على الصحافة العالمية والمحلية قدمنا هذه المقدمة لندرك ما بذله الشيخ رحمه الله تعالى من جهود في الردِّ على كثير من الكُتَّاب في البلاد العربية والإسلامية وبيان أخطائهم الشرعية والعقدية بأسلوب العالم الذي يتحلىَ بالخلق والأدب والحجة والبرهان والتعقل والاتزان، وكثيرا ما رجع أصحاب هذه الأقلام عن آرائهم بسبب هذه الردود المتعقلة المدعمة بالأدلة من القرآن والسنة وأقوال الأئمة.

منهج الشيخ عبد العزيز بن باز في التعامل مع الصحافة والإعلام

كان للشيخ عبد العزيز رحمه الله منهج واضح في التعامل مع الصحافة ووسائل الإعلام؛ ويتضح هذا المنهج من خلال نقل كلامه عن هذه الوسائل.

نصيحته للقائمين على الصحافة والإعلام بنشر المقالات النافعة

ـ قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى: ((ووسائل الإعلام يجب على القائمين عليها أن يتحروا الخير فيما يوجهونه للناس، وأن يزودوها بالمقالات النافعة والأحاديث البناءة والتوجيهات السديدة التي تنفع المجتمع في دينه ودنياه))(١).

ـ قال سماحة الشيخ رحمه الله ناصحا الكُتَّاب والإعلاميين (ولا شك أن وسائل الإعلام لها دور عظيم، ولا شك أنها سلاح ذو حدين، فالواجب على القائمين عليها أن يتقوا الله ويتحروا الحق فيما ينشرونه، كان ذلك عن طريق الوسيلة المرئية أو المسموعة؛ والواجب أن ينشروا ويذيعوا عن أهل العلم والإيمان والبصيرة ما ينفع الناس، ويبصرهم أما المقالات الضارة أو المقالات الملحدة، فالواجب الحذر منها وعدم نشرها))(٢).

ـ قال سماحة الشيخ رحمه الله مبينا الصفات الواجب توفرها في رجال الإعلام: ((إنَّ وسائل الإعلام تحتاج إلى رجال يخافون الله ويتقونه ويعظمونه ويتحرُّون نفع المسلمين والمجتمع كله فيما ينشرون حتى لا يُضلَّ الناس بسببهم))(٣).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤/ ١٦٠].

(٢) السابق [٦/ ٢٣٠].

(٣) السابق من نفس الموضع.

تحذير الشيخ للصحافة ووسائل الإعلام من نشر المبادئ الهدامة

كان الشيخ رحمه الله تعالى مدركًا لواقعه جيدًا وما انتشر فيه من مبادئ هدامة تطعن في الشرع ومبادئه، وإن كانت هذه المبادئ قد تسترت بأسماء أخرى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى كاشفًا حقيقة هذه المبادئ ومحذرًا وسائل الإعلام من نشرها أو الترويج لها:

((نشرت بعض الصحف لبعض الكُتّاب والكاتبات كلمات لا تهدف إلى صالح المجتمع بل تضرُّه وتفضي به إلى أسوأ العواقب، وقد يكون ذلك الكاتب، وتلك الكاتبة لا يشعران بمدى خطورة ما كتبا ولا يعلمان عظيم جنايتهما على المجتمع الذي يعيشان فيه ولا سيما في هذا العصر الرهيب الذي استحكمت فيه غربة الإسلام، وظهر فيه الإلحاد والإباحية وانتشر أنصارهما والدعاة إليهما؛ تارة باسم التقدم والرقي والقومية العربية، وتارة باسم الاشتراكية وطورًا بأسماء أخرى براقة وأساليب خداعة))[١]

قال الشيخ رحمه الله تعالى في هذا المعنى: ((أما نشر صور النساء على الغلاف أو داخل المجلات، أو الصحف، فهذا منكر عظيم، وشر كبير يدعو إلى الفساد والباطل، وهكذا نشر الدعوات العلمانية المضلِّلة التي تدعوا الناس إلى بعض المعاصي؛ كالزنا، أو السفور، أو التبرج، أو تدعو إلى شرب الخمر، أو تدعو إلى ما حرَّم الله فكل هذا منكر عظيم، ويجب على أصحاب الصحف أن يحذروا ذلك ومتى كتبوا هذه الأشياء كان عليهم مثل آثام من تأثر بها)).[٢]

(١) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ [٤/ ١٦٠].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٥/ ٢٦٧]

أما الصحف التي الأصل فيها نشر الفساد أو سب الدعاة أو نشر المبادئ الإلحادية فقد دعا الشيخ رحمه الله تعالى إلى مقاطعتها ومنعها.

قال رحمه الله تعالى: ((الصحف التي بهذه المثابة: من نشر الصور الخليعة، أو سب الدعاة، أو التثبيط عن الدعوة، أو نشر المقالات الإلحادية أو ما شابه ذلك الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع وأن لا تشترى، ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها، لأن هذه تضر المجتمع، وتضر المسلمين، فالواجب على المسلم أن لا يروجها، وأن يدعو إلى تركها، ويُرغِّب في عدم اقتنائها وعدم شرائها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أو يوجهوها إلى الخير حتى تدع الشر وتستقيم على الخير))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٨/ ١٧٦].

حث الشيخ رحمه الله تعالى الدعاة على التواصل مع وسائل الإعلام

لم يكن الشيخ رحمه الله تعالى منعزلاً بل كان يحرص على نشر الدعوة من خلال الصحافة كلما أتيحت له الفرصة، وكان ينشر فتاويه ورسائله وتوجيهاته من خلال الصحافة، ولا يمتنع عن إجراء المقابلات الصحفية مع الصحف والمجلات شريطة أن لا تكون هذه المجلات أو الصحف مما تنشر الصور العارية، أو تدعو إلى المبادئ الهدّامة، وكذلك يحرص على نشر ردوده على المقالات الصحفية فإن لم تتح له الفرصة نشرها في المجلات الشرعية مثل مجلة الجامعة الإسلامية، أو مجلة البحوث الإسلامية، أو مجلة الدعوة، وفي هذا المعنى يوصي الشيخ رحمه الله تعالى الدعاة بالتواصل مع وسائل الإعلام والصحافة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى: ((ويجب على الدعاة أن يطرقوا هذا المجال فيما يكتبون وينشرون، ويحذروا مما حرّم الله عز وجل، وهذا واجبهم في خطبهم، أو في اجتماعاتهم مع الناس، فكل المجالس مجالس دعوة، والداعية أينما كان فهو في دعوة، سواء في بيته أو في زيارته لإخوانه، أو في مجتمعه مع أي أحد فالواجب عليه أن يستغل هذه الوسائل ـ وسائل الإعلام ـ وينشر فيها الخير ولا يحتجب عنها))(1).

٢- قال سماحة الشيخ رحمه الله ناصحًا العلماء والدعاة أن لا يمتنعوا عن إبلاغ وإيضاح الحق في وسائل الإعلام: ((إن على علمائنا أن لا يمتنعوا عن إيضاح الحقائق بالوسائل الإعلامية وأن لا يَدَعوا هذه الوسائل للجهلة والمتهمين بالإلحاد، بل يتولاها أهل الصلاح والإيمان والبصيرة، وأن يوجهوها على الطريقة الإسلامية حتى لا يكون فيها ما يضر المسلمين شيبًا أو شُبانًا، رجالاً أو نساءً، كما وأن على العلماء أن يقدموا للناس إجابات وافية حول ما يبثه التلفاز ريثما يتولاها

---

(1) مجموع فتاوى ومقالات [٥/ ٢٦٧]، وراجع لقاءاته الصحفية مع المجلات والصحف، مجموع فتاوى الشيخ [٣/ ٤٣٨، ٥/ ٣٨٨، ٢/ ٤٤٨].

الصالحون)).(١)

٣- قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى في هذا المعنى: ((ينبغي للعلماء أن لا يتركوا هذه الأمور للجهلة، وأن يتولوا بث الفضيلة في كافة المجالات، وعلى العلماء أن يبينوا للناس أحكام الله ورسوله)).

٤- قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى ناصحًا العلماء بانتهاز جميع الوسائل للدعوة ومنها وسائل الإعلام [نصيحتي للعلماء والقائمين بالدعوة أن ينتهزوا هذه الفرصة وأن يبذلوا ما في وسعهم في الدعوة إلى الله وتعليم الناس ما خلقوا له من عبادة الله وطاعته، مشافهة وكتابة وغير ذلك بما يستطيعه العالم من خطب الجمعة، والخطب الأخرى في الاجتماعات المناسبة وعن طريق التأليف وعن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، فالعالم أو الداعي إلى الله جل وعلا ينبغي له أن ينتهز الفرصة في تبليغ الدعوة بكل وسيلة شرعية، وهي كثيرة والحمد لله فلا ينبغي التقاعس عن البلاغ والدعوة والتعليم))(٢).

٥- قال سماحة الشيخ رحمه الله تعالى ناصحًا العلماء والدعاة على مجابهة الغزو الفكري والتفاعل مع وسائل الإعلام في الرد على أصحاب المبادئ الهدامة:

((أما مجابهة الغزو المتمثِّل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم أو المرأة المسلمة، ورغم ما تشمل عليه في أكثر الأحيان من السُمِّ الزعاف والدعايات المضللة، فهي من أهم المهمات لحماية الإسلام والثقافة الإسلامية، من مكائده وشره مع التأكيد على دعاة الإسلام وحماته التفرغ لكتابة البحوث والمقالات النافعة، والدعوة إلى الإسلام، والرد على أصناف الغزو

---

(١) مجموع فتاوى متنوعة [٥/ ٢٧١].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٣٨٨].

الثقافي، وكشف عواره، وعرض الإسلام عقيدة وشريعة وأحكامًا وأخلاقًا عرضًا شيقًا مناسبًا جذابًا بالأساليب العصرية المناسبة، وعن طريق الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن عن طريق جميع وسائل الإعلام حسب الطاقة والإمكان))(١).

ومما سبق يمكننا أن نلخص منهج الشيخ ابن باز في التعامل مع وسائل الإعلام والصحافة فيما يأتي:

أ - الأسلوب الراقي والدعوة بالحكمة والتحلي بالإنصاف وسعة الصدر في الردِّ على المخالفين من سمات منهج الشيخ رحمه الله تعالى.

ب - إدراك الشيخ لخطورة تأثير وسائل الإعلام على المجتمعات الإسلامية ونصيحته للقائمين عليها بأن يتقوا الله فيما يكتبون ويقولون.

ج - حثّ الشيخ للدعاة والعلماء على عدم الاحتجاب، أو الامتناع عن وسائل الإعلام، وأن يخوضوا غُمار هذا المضمار وأن لا يتركوه للجهلة ودعاة المذاهب الهدَّامة.

د - دعوة الشيخ أن يتولَّى أجهزة الإعلام رجال يخافون الله عز وجل وينصحون أمتهم وأن يُمنع منها من يطعن في الإسلام وتشريعاته.

هـ - تحذير الشيخ وسائل الإعلام من نشر المبادئ الهدامة التي تدعو إلى الفساد والانحلال، أو إلى هدم تشريعات الإسلام.

و - تحذير سماحة الشيخ رحمه الله من الصحف التي اشتهرت بنشر الفساد، وأفسحت المجال للأقلام التي تدعو إلى المبادئ الهدامة ووجوب مقاطعتها ومنعها.

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٣٨٨].

الضوابط والآداب التي التزم بها سماحة الشيخ في ردوده على المخالفين

أولاً: ذكره لصاحب المقال أو البحث أو الكتاب المراد مناقشته باسمه الذي وقع به مقاله أو بحثه أو كتابه، وذلك من حين أن يبدأ ببيان الحق له وحتى النهاية، كما أنه لا يُغفل لقبه العلمي كالشيخ أو المفتي أو الدكتور ونحوه[1]، ثم إنه لا يأخذه الحماس في الرد - كما يفعل بعضهم - إلى تحريف الاسم أو الاكتفاء بجزء منه ازدراءً واحتقارًا، كما لا تجره حدة المناقشة إلى السخرية من عنوان المقالة أو البحث أو الكتاب، أو التندر ببعض ألفاظ الكتاب كما يفعل بعض المولعين بالردود على الآخرين وانتقاد كتاباتهم.

ثانيًا: نقله لأقوال وكلمات المتحدث أو الكاتب بنصوصها الكاملة غير مبتسرة من وسطها أو أطرافها، ثم مناقشتها مناقشة علمية، عبارة بعد أخرى، أو مقطعًا بعد آخر.

ثالثًا: استخدام الألفاظ الدارجة، والعبارات السهلة في حواره مع الكاتب أو المتحدث، بحيث يُفهم المقصود من كلامه في أول وهلة، فهو يهتم بالمعنى قبل المبنى، فلا يرص كلمات وعبارات من حواشي الكلام وغرائبه، فتضيع الفائدة في ركام من الكلمات والعبارات، وقد يفهم منها خلاف المقصود.

رابعًا: اعتماده في تنبيهاته للمخطئين في كتاباتهم على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، ثم أقوال السلف والأئمة الأعلام من المتقدمين والمتأخرين، ويكون نقله نقلاً موثقًا.

خامسًا: الصدع بكلمة الحق وما يراه صوابًا دون مماراة أو مداهنة، ولكن ذلك يكون بأدب جم، وأسلوب هادي، وتوجيه حكيم، وكلمات مهذبة، وكل

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وترتيب وإشراف محمد بن سعد الشويعر، [ج٢، ص٩٨، ١٠٤، ٣٥٢، ج٣، ٥١، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٥].

كتاباته في هذا الميدان تشهد بما نقول، ولنأخذ مثلاً واحدًا، فلقد دعا أحد المشايخ ـ في مقالٍ له ـ إلى جمع الكلمة بين الفئات الإسلامية، وتضافر الجهود ضد أعداء الإسلام، وأن الوقت ليس بوقت مهاجمة أتباع المذاهب. فرد الشيخ رحمه الله بقوله: ((ولا ريب أنه يجب على المسلمين توحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم على الحق، وتعاونهم على البر والتقوى ضد أعداء الإسلام كما أمرهم الله سبحانه بذلك عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحذرهم من التفرق بقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ولكن لا يلزم من وجوب اتحاد المسلمين، وجمع كلمتهم على الحق، واعتصامهم بحبل الله ألا ينكروا المنكر على من فعله أو اعتقده من الصوفية وغيرهم، بل مقتضى الأمر الاعتصام بحبل الله أن يأتمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر، ويبينوا الحق لمن ظنه، أو ظنه ضده صوابًا بالأدلة الشرعية حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه، وهذا مقتضى قوله سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومتى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين، وأغلاط الغالطين لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر، وبقاء الغالط على غلطه، والمخالف للحق على خطئه، وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والله ولي التوفيق))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة[٣/ ٦٩].

سادسًا: توقيره للعلماء داخل البلاد وخارجها على حد سواء، واحترامه لآرائهم وفتاويهم، وإن خالفهم في شيء منها بيَّن رأيه المدعم بالأدلة متجنبًا تجهيل الآخر، أو تسفيه قوله، بل تراه يدعو لنفسه أولاً وللقائل ثانيًا بالتوفيق لإصابة الحق، فمثلاً أفتى أحد العلماء المعاصرين بأن اللحوم المستوردة من أهل الكتاب مما يذكر بالصعق الكهربائي ونحوه حلال لنا ما داموا يعتبرونها حلالاً.

فرد عليه رحمه الله **بقوله**: ((أقول هذه الفتوى فيها تفصيل))[١]، ثم راح يفصل ما يحل منها للمسلمين وما يحرم، ثم قال: ((وبما ذكر يتضح ما في جواب الشيخ... ـ وفقه الله ـ من الإجمال))، ثم أكمل بقية بيانه، ثم قال: ((ولواجب النصح والبيان والتعاون على البر والتقوى جرى تحريره)). وبعدها ختم كلمته بالدعاء بقوله: ((وأسأل الله أن يوفقنا وفضيلة الشيخ... وسائر المسلمين لإصابة الحق في القول والعمل إنه خير مسئول...))[٢].

سابعًا: إنصاف الشيخ رحمه الله للمخالف، فلا يُغفل ما احتواه مقاله من حق صواب، وإن كان الغرض الأساس من تناول ذلك المقال استدراك ما فيه من أخطاء، فعلى سبيل المثال اطلع على بحث يحلل فيه صاحبه المعاملات الربوية المصرفية، ويقول في مطلعه: ((يمكن القول إنه لن تكون هناك قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية، ولن تكون هناك قوة إسلامية بدون بنوك، ولن تكون هناك بنوك بدون فوائد)).

فرد سماحته: ((يمكن تسليم المقدمة الأولى، لأن المسلمين في كل مكان يجب عليهم أن يعنوا باقتصادهم الإسلامي بالطرق التي شرعها الله سبحانه حتى يتمكنوا من أداء ما أوجب الله عليهم، وترك ما حرم الله عليهم، وحتى يتمكنوا

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ج٨، ص٤٢٨؛ فتاوى وتنبيهات ونصائح، ط. مكتبة السنة، القاهرة، ص٥٥١.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٨، ص٤٢٨-٤٣٠، فتاوى وتنبيهات ونصائح، ص٥٥٢.

بذلك من الإعداد لعدوهم، وأخذ الحذر من مكائده))، ثم أخذ يـشرح الوسـائل الكفيلة بتكوين قوة اقتصادية للمسلمين، ثم قال: ((وأما المقدمتان الثانية والثالثة وهما قوله: (ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك، ولن تكون هناك بنوك بلا فوائـد)، فهـما مقـدمتان باطلتـان))، ثـم شرع بـشرح بطلانهـما، فبـين أن الأدلـة الشرعية، وما درج عليه المسلمون من عهد نبيهم ﷺ إلى أن أنـشئت البنـوك كـل ذلك يدل على بطلان هاتين المقدمتين، حيث استقام اقتصاد المسلمين طيلة القرون الماضية بدون بنوك وبدون فوائد ربوية))[1].

ثامنًا: كان رحمه الله يناقش النص الذي أمامه، ويتجنب الحكم على النيـات ومـا يدور في القلوب مما لا يعلمه إلا علام الغيـوب، ويعـرض عـن حـشد الأخطـاء الموجودة في ذلك المقال أو البحث لتكـون مقـدمات ومعطيـات لإصـدار حكـم معين على القائل ناهيك عن عودته إلى كتابات سالفة للمخالف بعـرض تـصديق حكمه عليه كما يفعل بعض الناس، فمنهجه أخذ كلام القائل على الظاهر، وحملـه على أجمل المحامل، والتماس العذر للبعض أحيانًـا، فمـن الأمثلـة عـلى ذلـك أنـه عندما أعلن أحد المشايخ إنكاره لتلبس الجني بالإنسي، واسـتحالة مخاطبـة الجـن للإنس، وأبدى استعداده للتراجع عن قوله هذا إن أُثبت له خلافه.

رد عليه سماحة الشيخ، وأثبت له بالأدلة النقلية والعقلية تلبس الجن بالإنس وجواز مخاطبة الجني للإنسي، ثم عقب بقوله: ((وقد وعد في كلمته أن يرجـع إلى الحق متى أرشد إليه، فلعله يرجع إلى الصواب بعد قراءته ما ذكرنا، نـسأل الله لنـا وله الهداية والتوفيق))[2]. ولما نشرت بعض الصحف مقالات حول إحياء الآثـار

---

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح، ص٤٠٠-٤١٢.

(٢) فتاوى وتنبيهات ونصائح، ص٩١.

والاهتمام بها، وتصدى لها سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله وكتب أحدهم بعده مقالاً في الموضوع نفسه أنشأ ابن باز رحمه الله جوابًا رد فيه على صاحب المقال الأخير، وحمله على الظاهر، وظن به الظن الحسن، فكان من كلامه بعد ذكره رد ابن حميد على المقالات قوله: ((ولكن الأستاذ... هداه الله وألهمه رشده لم يقتنع بهذا الرد، أولم يطلع عليه فكتب مقالاً في الموضوع))[1]. وحين كتب أحد الصحفيين العرب مقالاً يدعو فيه إلى الاهتمام بما في المدينة المنورة من آثار وقبور، لا سيما قبور أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وعماته، ثم اقتراحه على إدارة الأوقاف وضع لوحات يكتب فيه اسم صاحب القبر، ويحاط بشبك من حديد.

رد عليه سماحته وحمله على الخير، وعذره بعدم علمه، فكان مما قاله بعد أن وضح له الحق: ((قد يكون هذا الاقتراح من الكاتب عن حسن نية، ومقصد صالح، ولكن الآراء والاستحسانات لا ينبغي للمؤمن الاعتماد عليها حتى يعرضها على الميزان العادل الذي يميز طيبها من خبيثها ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولعل الكاتب حين كتب هذه الكلمة من أولها إلى آخرها لم يكن عنده علم بما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ حول القبور، فلذلك وقعت منه الأخطاء السالفة، ووقع منه هذا الخطأ الأخير، وهو اقتراحه على إدارة الأوقاف ما تقدم ذكره...))[2].

تاسعًا: حسب ما اطلعنا عليه من كتابات وأقوال في ردوده على المخطئين، ومخاطبته للمخالفين لا نرمق فيها كلمة تحامل أو تجريح، أو لمز بعيب، أو زن بريبة، أو رمي ببدعة، أو عبارات تهجم أو تَشَفٍ حتى من الذين أخطأوا في حقه،

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٣، ص٣٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج١، ص٣٩٨.

أو سخروا منه، أو كذبوا عليه، فحينما سخر منه أحدهم لكون سماحته استمع إلى جني متلبس بامرأة، وأن هذا الجني أسلم في مجلسه، ذكر هذا الساحر باسمه ولقبه العلمي المعروف فقال: ((فقد بلغني عن فضيلة الشيخ... أنه أنكر مثل حدوث هذا الأمر))، وكلما أورد اسمه قدم له بـ (فضيلة الشيخ)، وفي أثناء الرد عليه كان لا يكف عن الدعاء له بالهداية والتوفيق(١). ومثال آخر كان أحد الكتاب خارج المملكة تكلم على لسانه بأن أي فتوى تصدر منه يجب أن تكون ممهورة بخاتمة، ومصدقة من وزارة الأوقاف الإسلامية، ثم نسب إليه كلامًا عن حلق اللحية.

فرد عليه سماحته، فكان من رده عليه قوله: ((فقد اطلعت على ما نشر في جريدة... لكاتبه .... وقد نسب إليَّ هداه الله كلامًا)) - لاحظ الدعاء له بالهداية - ثم ذكر ذلك الكلام، وبعد عقب بقوله: ((وهذا الكلام ظاهر البطلان))، ثم أخذ يبين له الحق ثم نصحه بالتقوى والحذر من سوء الظن بالمسلمين(٢). ومثال ثالث افترت عليه إذاعة لندن ـ ذات مرة ـ الفتوى بأن الاحتفال بالموالد كفر، فوضح كذبها وتحريفها للفتوى التي قال فيها بأن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين، ونشرت في الصحف والإذاعة، ثم لم يزد رحمه الله عن قوله بأن ما ذكرته إذاعة لندن ((كذب لا أساس له من الصحة، وكل من يطلع على مقالي يعرف ذلك، وإني لآسف كثيرًا لإذاعة عالمية يحترمها الكثير من الناس، ثم تُقْدم هي أو مراسلوها على الكذب الصريح))(٣).

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص٨٣-٩٣.
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٢، ص٣٤٧-٣٥٠.
(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٣٨٠.

عاشرًا: يلاحظ أثناء توضيحه الحق لأحد من العلماء أو من دونهم دعاءه له بين آونة وأخرى بالهداية والتوفيق والرشاد والمغفرة ونحو ذلك، وتشعر من كلمات الدعاء وصيغته والمواضع التي يدعو بها للمخالف أو المخطئ بأنه دعاء مخلص صادق، يخرج من سويداء القلب، وليس دعاءً عابرًا، أو دعاء له في موضع، ودعاء عليه في موضع آخر كما تراه عند بعضهم، فكان من الصيغ التي يستخدمها في الدعاء لمن يكتب له، أو يرد عليه قوله: ((هداه الله))، ((هداه الله وألهمه التوفيق))، ((هداه الله وألهمه رشده))، ((سامحه الله)). وأحيانا يشرك نفسه في الدعاء فيقول: ((عفا الله عنا وعنه))، ((نسأل الله لنا وله التوفيق))[(١)]. وإذا كان القائل أو الكاتب قد نادى في مقاله بأمر خطير يُحلل حرامًا، أو يصادم حكمًا من أحكام الإسلام فإنه ينصحه بالإنابة إلى الله تعالى، والرجوع إلى الحق، وعدم التمادي في الباطل. فمثلاً ختم رده الطويل على من أباح الغناء بالنصيحة، فقال: ((ونصيحتي لـ... وغيره من المشغوفين بالغناء والمعازف أن يراقبوا الله ويتوبوا إليه، وأن ينيبوا إلى الحق، لأن الرجوع إلى الحق فضيلة، والتمادي في الباطل رذيلة...))[(٢)]. أما الكاتب الذي زعم حل المعاملات الربوية المصرفية فسأل الله له أن يوفقه ((للرجوع إلى الحق، والتوبة مما صدر منه، وإعلان ذلك على الملأ لعل الله أن يتوب عليه كما قال ﷻ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١][(٣)]. وحين نادى مدير إحدى الجامعات العربية بالتعليم المختلط بين الجنسين، وزعم أن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب

---

(١) انظر مثلاً فتاوى وتنبيهات ونصائح ص٩١، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٩، ٤٠٧.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٣، ص٤٢٢.

(٣) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص٤١٤.

مخالفة للشريعة.

رد عليه سماحته رحمه الله، وكان يدعو له خلال مناقشته لأقوال بمثل: ((هداه الله، وأصلح قلبه، وفقهه في دينه))، ثم ختم الرد بالنصيحة له فقال: ((ونصيحتي لمدير جامعة... أن يتقي الله عز وجل، وأن يتوب إليه سبحانه مما صدر منه، وأن يرجع إلى الصواب والحق، فإن الرجوع إلى ذلك هو عين الفضيلة، والدليل إلى تحري طالب العلم للحق والإنصاف...))[1].

حادي عشر: رغم ما بلغه من مقامٍ علمي ومنزلة اجتماعية فإنك لا تخال في كتاباته في هذا الميدان أي كلمة أو عبارة يفهم منها تعالمه عن من هم دونه، أو تعاليه على غيره، والناظر في ردوده على الآخرين يدرك ذلك تمامًا، ولعل أصدق الأدلة على ما نحن بصدده كونه يخاطب بعض الصحفيين أو الكتاب بـ ((الأستاذ))، أو ((الأخ)) أو يقول له ((أخانا))، ونحو ذلك[2].

ثاني عشر: مع أن كل رسالة أو مقالة كتبها كانت في الأصل لبيان الحق القائل أو كاتب بعينه، فتراه يناقش عباراته مناقشة وافية إلا أن هدفه رحمه الله كان أسمى من الرد على فلان أو علان، إذ تلاحظ حرصه أثناء ذلك على توجيه الناس للعلم الشرعي، والتمسك بالعقيدة الصحيحة، ودعوتهم إلى الخير وطرقه، وتحذيرهم من الشر وأساليبه، وتذكيرهم بمكر الأعداء وحيلهم، وتقديم النصح للإعلاميين ومن على شاكلتهم، ودعوة الحاكم والرؤساء لتحكيم الإسلام في بلدانهم، وسنكتفي هنا بذكر بعض نصائحه للإعلاميين التي ضمنها في ردوده على بعض الكتاب، فمنها قوله ـ بعد أن نبه على مزالق وقعت بها إحدى

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٤، ص٢٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص٣٩١، ج٢، ص١٠٤.

الكاتبات: ((فيجب أن ننزه أقلامنا من الوقوع في مثل هذه المزالق امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ كمالاً للتوحيد وابتعادًا عما ينافيه أو ينافي كماله، ووسائل الإعلام ـ كما هو معروف ـ واسعة الانتشار، وعظيمة التأثير على الناس، وكثرة ترديدها لمثل هذه الكلمات ينشرها بين الناس، ويجعلهم يتساهلون في استعمالها، وخاصة النشء، مع ما في استعمالها من المحذور))[1]. وقال عقب تعليقه على قصيدة نشرتها إحدى الصحف وتضمنت مخالفات عقدية، قال: ((والواجب على جميع القائمين على الصحف من أهل الإسلام ألا ينشروا ما يخالف شرع الله ﷻ، وأن يتحروا فيما ينشرونه ما ينفع الأمة، ولا يضرهم في دينهم ودنياهم، وأعظم ذلك خطرًا ما وقع في الشرك وأنواع الكفر والضلال...))[2].

وحينما كتب أحدهم مقالاً ينتقد فيه تصرفات بعض أهل الحسبة وجهه بقوله: ((وكان الواجب على الكاتب حين بلغه عنهم ما يعتقده خلاف الشرع أن يتصل بأعيانهم مشافهة أو كتابة، ويناصحهم فيما أخذ عليهم، أو يتصل بسماحة المفتي أو رئيس الهيئات، ويبدي ما لديه حول الإخوان من النقد حتى يوجههم المشايخ إلى الطريق السوي أما أن يكتب في صحيفة سيارة ما يتضمن التشنيع عليهم، والحط من شأنهم، ووصفهم بما هم براء منه، فهذا لا يجوز من مؤمن يخاف الله ويتقيه، لما في ذلك من كسر شوكة الحق والتثبيط عن الدعوة إليه، والتلبيس على القراء، ومساعدة السفهاء والفساق على باطلهم، وعلى النيل من دعاة الحق...))[3].

وهكذا من خلال النقاط السابقة تبين لنا الأصول والضوابط التي كان يسير

---

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص١٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٢، ص٤١٢-٤١٣.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج٣، ص٢٠٨.

عليها الشيخ في تعامله مع المخطئين، ومناقشته للمخالفين وحواره مع المجتهدين، وقد توصلنا إليها بعد استقراء وتأمل لما وقع تحت اليد من آثار له في هذا المجال، واللافت للنظر أن هذا المنهج بأصوله وضوابطه يكاد يكون ثابتًا عنده سواء ما أملاه قديمًا، أو ما صدر عنه في السنوات الأخيرة، فلم يزحزحه عنه تشنج كاتب أو تحامله، ولا عناد مخالف أو تعصبه، كما لم يؤثر عليه فيه تقلب الأحوال، و لا تبدل الوجوه[1].

(١) راجع في هذا الموضوع منهج العلامة ابن باز في بيان الحق للمخطئين، تأليف د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل.

الفصل الأول

بعنوان : ردود سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله على الانحرافات في مسائل التوحيد

واشتمل على:

١. تمهيد في بيان أهمية التوحيد وعناية الشيخ به.

٢. رد الشيخ على صحيفة المجتمع في نشرها مقالا يتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

٣. رد الشيخ على صحيفة الشرق الأوسط لنشرها قصيدة تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

٤. رد الشيخ على صحيفة الرياض لنشرها مقالاً اشتمل على الاستغاثة بغير الله تعالى.

٥. رسالة من الشيخ عبدالعزيز إلى وزير الإعلام في التعليق على صحيفة المدينة لنشرها مقالاً يتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

الفصل الأول

ردود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله على الانحرافات في مسائل التوحيد

تمهيد:

عناية الشيخ رحمه الله بأمر التوحيد والعقيدة:

لقد كان الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى يهتم اهتمامًا خاصًا بمسائل العقيدة والتوحيد ويوليها عناية تامة تأليفًا وتدريسًا ومناصحة ومحاضرة، حتى أن أغلب مؤلفاته[1] ومحاضراته كانت في مجال العقيدة والتوحيد وكذا ردوده.

فقد قضى عمره رحمه الله تعالى يوضِّح عقيدة أهل السنة والجماعة مبينًا التوحيد وأنواعه، والإيمان ونواقضه، ومحذرًا مما يقع فيه كثير من الناس من نواقض أو قوادح في العقيدة من الشرك بالله، وتقديم العبادة لغيره؛ كالذبح لغير الله، والنذر لغيره، والاستغاثة بغيره من الأولياء والصالحين، أو الاستنجاد أو اللجوء إلى القبور، ومحذرًا أيضًا من التحاكم إلى غير الشريعة من القوانين الوضعية، والأعراف القبلية شأنه في ذلك شأن الأئمة المجددين كشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان الشيخ رحمه الله ينصح الدعاة بالعناية بتصحيح عقائد الناس، والبدء بذلك، ويحُضُّهم على قراءة كتب العقيدة، ودراستها وتدريسها.

ونقل من كلام الشيخ رحمه الله ما يبين اهتمامه بالعقيدة وإيضاحها للناس.

---

(١) مؤلفات الشيخ ومحاضرات في مجال العقيدة استغرقت من المجلد الأول إلى المجلد التاسع من فتاويه فضلًا عن الرسائل الأخرى والكتب التي لم تلحق بهذه المجلدات مما يدل على عناية الشيخ بالتوحيد عناية تامة فرحمه الله رحمة واسعة.

١. قال الشيخ رحمه الله تعالى: ((معلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أنَّ الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإنْ كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع منها من أعمال وأقوال كما قال تعالى:

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].[1]

٢. قال الشيخ رحمه الله تعالى مبينًا أهمية التوحيد والعقيدة: ((وأهم ما اشتمل عليه هذا الكتاب العظيم بيان حق الله على عباده، وبيان ضد ذلك، وهذا أعظم موضوع اشتمل عليه القرآن، وهو بيان حقه سبحانه على عباده من توحيده وإخلاص العبادة له وإفراده بالعبادة وبيان ضد ذلك من الشرك الأكبر الذي لا يغفر وأنواع الكفر والضلال))[2].

٣. قال رحمه الله تعالى مبينًا أنَّ تساهل الناس في عدم معرفة التوحيد أوقَعَهم في الشرك ((والمقصود أنَّ هذا الأصل هو الأمر العظيم، ولما تساهل فيه الناس ـ إلا من رحم الله وقعوا في الشرك الأكبر وهم يدَّعون الإسلام ويُنكرون على من رماهم بخلافه، وهم على الشرك بسبب جهلهم بهذا الأصل العظيم فقد اَتخذوا كثيرًا من الأموات آلهةً من دون الله يعبدونهم ويطوفون بقبورهم، ويستغيثون بهم ويسألونهم شفاء المرضى وقضاء الحاجات والنصر على الأعداء، ويقولون: هذا ليس بشرك))[3].

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها ص٢ ط. دار الإفتاء. راجع مجموع فتاوى ومقالات [١/ ١٣].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات [١ - ٢٩ - ٣٠].

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٣٣].

٤. قال ﷺ تعالى ناصحًا الدعاة وطلاب العلم بالبدء بالدعوة إلى التوحيد وعدم التساهل في ذلك: ((والرسول ﷺ أول عمل عمله وأول أساس رسمه، أنه دعا الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والكلمة التي دلَّت على هذا المعنى هي قول لا إله إلا الله هي الأساس المتين ومعها شهادة أن محمدًا رسول الله، هذان الأصلان والأساسان المهمان هما أساس صلاح هذه الأمة؛ من أخذ بهما واستقام عليهما عملًا وعلمًا ودعوة وبصيرة وصبرًا استقام أمره، وأصلح الله به الأمة، وبسبب تساهل الكثير من العلماء وطلبة العلم وأعيان أهل الإسلام الذين فقهوا توحيد الله، بسبب التساهل في هذا الأمر انتشر الشرك في بلدان كثيرة وعبدت القبور وأهلها من دون الله))[1].

٥. ويقول ﷺ تعالى في هذا المعنى: ((أما الشيء الذي يُدعى إليه ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس هو الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمد ﷺ، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وإلى الإخلاص لله، وتوحيده بالعبادة، والإيمان به وبرسله))[2].

يتلخص ما سبق نقله:

١. اهتمام الشيخ ﷺ تعالى بالتوحيد وتصحيحه وبيان ما يضاده من الشرك ونواقض الإسلام.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٢٤٥–٢٤٦].

(٢) السابق [١/ ٣٣٨].

٢. البدء بدعوة الناس إلى التوحيد، وتصحيح عقائدهم من أولى المهمات في دعوة الشيخ رحمه الله تعالى.

٣. تساهل بعض الدعاة في الدعوة إلى أمر التوحيد، وأنَّ هذا التساهل أوقع كثيرًا من المسلمين في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

٤. الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، وتصحيح عقائد الناس هما أساس صلاح الأمة.

رد الشيخ على صحيفة المجتمع في نشرها قصيدة تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد فقد نشرت صحيفة المجتمع الكويتية في عددها ١٥ الصادر ١٩/ ٤/ ١٣٩٠هـ، أبياتًا تحت عنوان (في ذكرى المولد النبوي الشريف) تتضمن الاستغاثة بالنبي ﷺ والاستنصار به لإدراك الأمة ونصرها وتخليصها مما وقعت فيه من التفرق والاختلاف، بإمضاء من سمت نفسها (آمنة)، وهذا نص من الأبيات المشار إليها:

يارسول الله أدرك عالمًا
يشعل الحرب ويصلى من لظاها
يارسول الله أدرك أمةً
في ظلام الشك قد طال سراها
يارسول الله أدرك أمةً
في متاهات الأسى ضاعت رؤاها

إلى أن قالت:

يارسول الله أدرك أمةً
في ظلام الشَّكِ قد طال سراها
عجِّل النصر كما عجَّلته
يوم بدر حين ناديتَ الإله
فاستحال الذل نصرًا رائعًا
إنَّ لله جنودًا لا نراها

قال سماحة الشيخ ردًا على هذه الكاتبة:

((الله أكبر هكذا توجه هذه الكاتبة نداءها واستغاثتها إلى الرسول ﷺ طالبة منه إدراك الأمة بتعجيل النصر، ناسية أو جاهلة أنَّ النصر بيد الله وحده ليس ذلك بيد النبي ﷺ، ولا غيره من المخلوقات، كما قال الله سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. وقال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وقد عُلِم بالنص والإجماع أنَّ الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب، لبيان تلك العبادة، والدعوة إليها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال ﷻ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:١-٢]، فأوضح سبحانه في هذه الآيات المحكمات أنه لم يخلق الثقلين إلا ليعبدوه وحده، لا شريك له، وبيَّن أنه أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للأمر بهذه العبادة والنهي عن ضدها، وأخبر ﷻ أنه أحكم آيات كتابه، وفصَّلها لئلا يُعبد غيره سبحانه، والعبادة هي توحيده وطاعته، بامتثال أوامره وترك نواهيه، وقد أمر الله بذلك في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. الآية، وقوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقوله سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة

لله وحده، وترك عبادة ما سواه من الأنبياء وغيرهم، ولا ريب أنَّ الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها فوجب إخلاصه لله وحده كما قال ﷻ: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم؛ لأنَّ (أحدًا) نكرة في سياق النهي، فتعم كل من سوى الله سبحانه، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وهذا خطاب للنبي ﷺ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك وإنما المراد من ذلك تحذير غيره، ثم قال ﷻ: ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. فإذا كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين، فكيف بغيره، والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، فَعُلِم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأصنام وغيرها شركٌ بالله ﷻ ينافي العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها، والدعوة إليها وهذا معنى (لا إله إلا الله) فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وهذا هو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]. ودين الإسلام مبني على

أصلين عظيمين: **أحدهما**: أن لا يعبد إلا الله وحده. **والثاني**: أن لا يُعبد إلا بشريعة نبيه ورسوله ﷺ، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فمن دعا الأموات من الأنبياء وغيرهم، أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات، أو استغاث بهم، أو تقرب إليهم بالذبائح والنذور، أو صلى لهم، أو سجد لهم، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، وجعلهم أندادًا له سبحانه، وهذا يناقض هذا الأصل، وينافي معنى لا إله إلا الله، كما أن من ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهذه الأعمال هي أعمال من مات على الشرك بالله ﷻ، وهكذا الأعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله، فإنها تكون يوم القيامة هباءً منثورًا، لكونها لم توافق شرعه المطهر، كما قال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١). وهذا الكاتبة قد وجهت استغاثتها ودعاءها للرسول ﷺ، وأعرضت عن رب العالمين، الذي بيده النصر والضر والنفع، وليس بيد غيره شيء من ذلك، ولا شك أن هذا ظلم عظيم وخيم، وقد أمر الله ﷻ بدعائه سبحانه، ووعد من يدعوه بالاستجابة، وتوعد من استكبر عن ذلك بدخول جهنم، كما قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. أي صاغرين ذليلين، وقد دلَّت هذه الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة، وعلى أن من استكبر عنه فمأواه جهنم، فإذا كانت هذه حال من استكبر عن دعاء الله، فكيف تكون حال من دعا غيره، وأعرض عنه، وهو سبحانه القريب المالك لكل

---

(١) متفق عليه.

شيء، والقادر على كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وقد أخبر الرسول ﷺ في الحديث الصحيح أنَّ الدعاء هو العبادة، وقال لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"(١).

وقال ﷺ: "من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار"(٢)، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندًا وهو خلقك". والند: هو النظير والمثيل فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئًا من العبادة سوى ما تقدم، فقد اتخذه ندًا، سواء كان نبيًا أو وليًا، أو ملكًا أو جنيًا، أو صنمًا أو غير ذلك من المخلوقات، أما سؤال الحي الحاضر بما يقدر عليه والاستعانة به في الأمور الحسية، التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك، بل من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأمور التي تعرض للناس، ويحتاجون فيها إلى بعضهم ببعض، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخبر أمته أنه لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًا فقال في سورة الجن: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢٠-٢١].

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره.

(٢) رواه البخاري.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. وهو ﷺ لا يدعو إلا ربه، وكان في يوم بدرٍ يستغيث بالله، ويستنصره على عدوه ويلح في ذلك، ويقول: "يارب، انجز لي ما وعدتني"، حتى قال الصّديقُ الأكبر أبوبكر رضي الله عنه: حسبك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك.

وأنزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٩-١٠]، فذكرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم، وأخبر أنه استجاب لهم بإمدادهم بالملائكة، ثم بيّن سبحانه أن النصر ليس من الملائكة، وإنما أمدهم بهم، للتبشير بالنصر، والطمأنينة، وبين أن النصر من عنده فقال: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾. وقال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، فبيّن في هذه الآية: أنه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر، فَعُلِمَ بذلك أنَّ ما أعطاهم من السلاح والقوة، وما أمدهم به من الملائكة، كل ذلك من أسباب النصر، والتبشير والطمأنينة، وليس النصر منها، بل هو من عند الله وحده فكيف يجوز لهذه الكاتبة أو غيرها أن توجه استغاثتها وطلبها النصر إلى النبي ﷺ وتعرض عن رب العالمين، المالك لكل شيء والقادر على كل شيء؟!

لا شك أن هذا من أقبح الجهل، بل من أعظم الشرك، فالواجب على الكاتبة أن تتوب إلى الله سبحانه توبة نصوحًا، وذلك بالندم على ما وقع منها، والإقلاع

منه والعزم على عدم العود إليه، تعظيمًا لله وإخلاصًا له، وامتثالاً لأمره وحذرًا مما نهى عنه، هذه هي التوبة النصوح، وإذا كانت من حق المخلوقين وجب في التوبة أمر رابع، وهو رد الحق إلى مستحقه، أو تحلله منه، وقد أمر الله عباده بالتوبة، ووعدهم قبولها كما قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقال في حق النصارى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥].

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها"، ولعظم خطر الشرك وكونه أعظم الذنوب، وخشية الاغترار بما صدر من هذه الكاتبة، ولوجوب النصح لله ولعباده، حررت هذه الكلمة الموجزة.

وأسأل الله ﷻ أن ينفع بها، وأنْ يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعًا، وأن يمن علينا جميعًا بالفقه في الدين، والثبات عليه، وأن يعيذنا والمسلمين من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات: [١/ ١٥١-١٥٧].

رد الشيخ على صحيفة الشرق الأوسط لنشرها قصيدة تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آل وصحبه، أما بعد:

فقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط في عددها ٣٢٦١ في ١١/ ٣/ ١٤٠٨هـ، قصيدة بعنوان (زيارة) بقلم: خالد محمد محمد سليم هذه نصها:

عشت كل العمر..أحلى العمر في هذا المساء
عندما صاح البشير وراح يصدح بالغناء
وأهلت بالسنا مشكاة نور الأنبياء
أي ريحان وروح .. أي سحب من بهاء
ورياض من نعيم.. وضفاف من سناء
ها هنا التاريخ قد أغفى على ساح الولاء
نور عيني يا رسول الله ياعين الرجاء
أنا بالباب مقيم. غاب في الدمع ندائي
بأبي أنت وأمي.. يا حبيب الضعفاء
آه من لهفة حبي.. وحنيني وحيائي
هي ذي الأمة قد جاءتك من بادٍ ونائي
أقبلت مهتاجة للأشواق في عهد الوفاء
من لنا في عاصف الأنواء.. في ليل العناء
يا رحيمًا بالبرايا.. ياوفيَّ الأوفياء
عند بابك يا رسول الله عز العظماء
وبكينا وبكينا.. وغرقنا في البكاء
ونسيت الأهل والأحباب والدنيا وراء

ومن تأمل هذه القصيدة من أهل البصيرة علم أنَّ نشرها غير جائز، لما اشتملت عليه من اللجوء إلى الرسول ﷺ والاستنجاد به، وطلب الغوث منه مما أصاب الشاعر وأصاب الأمة ولا شك أن ذلك شرك بالله ﷻ، والواجب على كل من ينوبه حاجة أو ضائقة أن يرفع شكواه إلى الله سبحانه لا إلى الأنبياء، ولا غيرهم من سائر الخلق من الأموات والأصنام والكواكب ولا الجن وغيرهم؛ لأنَّ الله سبحانه الذي بيده الضر والنفع والعطاء والمنع وكشف الكروب وإجابة المضطر، ولا مانَع من استعانة المخلوق بالمخلوق الحي الحاضر القادر فيما يستطيع مشافهة أو مكاتبة، أو مكالمة هاتفية، أو نحو ذلك من وسائل الاتصال الجديدة، أما الأموات من الأنبياء وغيرهم، فلا يجوز الاستعانة بهم، ولا الشكوى إليهم؛ لأنَّ الميت قد انقطع عمله إلا من ثلاث كما جاء في الحديث عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(١)

ومعلوم أنَّ نبينا محمد ﷺ أفضل الخلق وأشرفهم أحياءً وأمواتًا ومع ذلك لا تجوز عبادته لا في حياته ولا بعد وفاته؛ لأنّ العبادة تختص بالله وحده دون غيره، كما أمر الله بذلك بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] نهى عن دعاء غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، قال ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وفي

---

(١) رواه مسلم.

الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "حق الله على العباد أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا"، وفي الصحيحين أيضًا عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم قال: "أنْ تجعل لله ندًا هو خلقك" الحديث، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فالواجب على جميع المسلمين أن يَحْذروا الشرك بالله ﷻ وأن يتواصوا بتركه مع بيانه للناس والتحذير منه، والواجب على جميع القائمين على الصحف من أهل الإسلام ألا ينشروا ما يخالف شرع الله ﷻ وأن يتحروا فيما ينشرونه ما ينفع الأمة ولا يضرهم في دينهم ولا دنياهم، وأعظم ذلك خطرًا ما يوقع في الشرك وأنواع الكفر والضلال.

أصلح الله أحوال المسلمين ووفقهم وجميع القائمين على وسائل الإعلام لكل ما فيه صلاح العباد ونجاتهم وسلامة أمر دينهم ودنياهم، إنَّه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم))[1].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ: (٢/ ٤١٠-٤١٣).

رد الشيخ على صحيفة الرياض لنشرها قصيدة تتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد اطَّلعت على قصيدة لمحمد حسن فقي[1] تحت عنوان (المسجدان) نشرتها صحيفة الرياض في عددها ٦٠٠٣ الصادر في يوم الخميس الموافق ٧ربيع الأول ١٤٠٥هـ. أشاد فيها بفضل المصطفى عليه الصلاة السلام، وما ترتب على بعثته وهجرته من الخير الكثير والعز المكين للمسلمين، وأَشادَ بفضل المسجدين المكي والمدني، وقد أحسن في ذلك ولكنه غلط غلطًا عظيمًا في بعض أبياتها ولم يبلغني أنَّ أحدًا نبَّه على غلطة فوجب عَلَّي التنبيه على ذلك لئلا يغتر به أحد، وليعلم من يقف على هذا التنبيه عظم خطر الغلو وسوء عاقبته، وقد حذر الله من ذلك في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [المائدة:٧٧]، وذلك تحذير منه سبحانه لأهل الكتاب من الغلو وتحذير لنا أن نفعل فعلهم، وقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، أخرجه البخاري في صحيحه، وقال عليه الصلاة والسلام: "لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"خرَّجه الإمام أحمد بإسناد صحيح. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وهذه النصوص توجب على المسلم أن يَحذَر الغلو والإطراء في حق النبي ﷺ وحق غيره من الأنبياء

---

(١) أديب وشاعر سعودي معاصر له قصائد تشتمل على بعض الانحرافات العقدية منها هذه القصيدة.

والصالحين، وتوجب عليه أن يلزم الحدود الشرعية في أقواله وأفعاله حتى لا يقع في الشرك والبدع والمعاصي. وهذا بيان ما غلط فيه الشاعر المذكور. قال ما نصه:

أنا آت أيا أيها الروض فامسح ... بيديك النديتين الكروبا
يا نبي الهدى ومازلت أرجو ... رغم إثمي أن لا أبوء بخسري
أنا في ساحة الكريم وقد يملك ... ولست أملك أمري
أنا في السجن والإسار كئيب ... ضائق منها بسجني وأسرى
فأجرني فدتك نفسي ... فقد يغفر ربي إذا شفعت لوزري
هاهنا هاهنا الملاذ لمن ... رام ملاذًا يقيه من كل شر
هذه طيبة يعود ... إن أتاها الذي ينوء

ففي هذه الأبيات أنواع من الشرك الأكبر لم ينتبه لها الشاعر ـ هداه الله ـ ففي البيت الأول من هذه الأبيات السبعة طلب الشاعر من الروض أنْ يمسح عنه بيديه الكروب، وهذا الطلب لا يقدر عليه إلا الله سبحانه فالروض لا يقدر على ذلك وهكذا المصطفى ﷺ إنْ كان الشاعر قصده بذلك، وإنما يطلب مثل هذا من الله ﷻ القادر على كل شيء، أما الجمادات والأموات من الأنبياء وغيرهم فلا يجوز أن يطلب منهم كشف الكروب؛ لأن ذلك ليس من شأنهم، وليس في قدرتهم، بل ذلك إلى الله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، وفي البيت الثاني والثالث والخامس والسادس يرجو الشاعر من النبي ﷺ أن يحط عنه خسره، وأن لا يرجع خائبًا، ويزعم أن الرسول ﷺ يملك أمره، ويستجير به في البيت الخامس، ويعتبره في البيت السادس الملاذ لكل من رام الملاذ من كل شر، وهذا كله خطأ وضلال وشرك أكبر فإنَّ الدعاء والاستغاثة والاستجارة وجميع العبادات يجب

إخلاصها لله وحده، ولا يجوز أن تُصرف لغيره؛ الأموات وغيرهم، والرسول ﷺ وإنْ كان حيًا حياةً برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه لا يجوز أن يدعى أو يستغاث به بعد الوفاة، وهكذا الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ولا يجوز أن يدعو ولا يُستغاث بهم أو يُستجار، وهكذا كل مؤمن له حياة برزخية تليق به وروحه في الجنة مع أرواح المؤمنين، ولا يجوز أن يدعى مع الله أو يُستجار به، فالعبادة حق لله وحده، والدعاء هو العبادة، كما قاله النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، وهذا نص من كلام الله ﷻ يعم الأنبياء وغيرهم ولايستثنى من ذلك إلا دعاء الحي الحاضر فيما يقدر عليه، كما قال ﷻ في قصة موسى مع الإسرائيلي الذي استغاث به:﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ ﴾ [القصص: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، فأخبر الله سبحانه في هذه الآية أن جميع الذين يدعون أهل الشرك لا يسمعون دعاءهم وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، وهذا يعم الأنبياء وغيرهم وقد سمى الله دعاءهم شركًا فوجب الحذر منه وإخلاص العبادة لله وحده، وقد سمى الله ذلك كفرًا في آية أخرى، حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وأخبر في آية

أخرى أنَّه لا أضل ممن يدعو غير الله، حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على الشاعر التوبة إلى الله سبحانه من هذا الشرك الوخيم والحذر من الوقوع في مثله مستقبلاً، وهكذا كل من وقع في مثل هذا الشرك أو اعتقده يجب أن يتوب إلى الله منه وأن ينصح من وقع في مثل ذلك وأن يبادر بالتوبة منه فما أعزَّ السلامة وما أعظم الخطر، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" فينبغي للمسلم أينما كان وعلى أي حال كان أن يتفقه في دينه، وأن يتدبر كتاب ربه، ويكثر من تلاوته فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، وقد أنزله سبحانه تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وحث عباده على تدبره وتعقله ليتفقهوا في دينهم ويعبدوا ربهم على بصيرة، حيث قال سبحانه: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهكذا سيرة النبي ﷺ من حيث بعثه الله إلى حين توفاه، فيها العبرة والذكرى والعظة كل من تدبرها واعتنى بها، وقد صح عنه ﷺ في بيان حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك ما يكفي ويشفي بالإضافة إلى ما دل عليه كتاب الله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأما قوله في البيت السابع:

هذه طيبــــة يعــود بيسر إن أتاهـــا الذي ينـــوء

فهو محتمل حقًا وباطلاً، فإن كان أراد من أتاها تائبًا مستغفرًا من ذنوبه في

مسجد الرسول ﷺ مستمدًا من ربه المغفرة والعفو فهذا حق، وهذا لا يختص بطيبة ولا بمسجد الرسول ﷺ بل كل من تاب إلى الله سبحانه توبة نصوحًا في أي مكان وفي أي زمان قبل طلوع الشمس من مغربها فإن الله يتوب عليه؛ لأنَّه الجواد الكريم والغفور الرحيم والصادق في وعده، فقد قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]، أما إن كان أراد بذلك المجيء إلى طيبة ليستجير بالنبي ﷺ ويلوذ به فهذا باطل وشرك وخيم.

نسأل الله لنا وللمسلمين السلامة من ذلك فالواجب على كل مسلم أن يتدبر ما يريد أن يقول قبل أن يقول وأن يحذر غلطات اللسان وزلاته، وأن يسأل ربه التوفيق والهداية))[١].

(١) مجموع مقالات الشيخ: (٢/ ٤٠٥-٤١٠).

رسالة من الشيخ عبدالعزيز إلى وزير الإعلام في التعليق على صحيفة المدينة لنشرها مقالا يتضمن الاستغاثة بغير الله تعالى.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ في رسالة له لوزير الإعلام:

((من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم معالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام سلمه الله آمين

سلام عليكم ورحمه الله وبركاته، وبعد:

أبعث لمعاليكم بطيه نسخة من إحدى صفحات ملحق الأربعاء الصادرة مع جريدة المدينة في ١٤/ ٢/ ١٤١٦هـ المتضمن: قصيدة لمن سمى نفسه: فؤاد حسن حمدي جاء فيها:

وإن ضاقت حياتك ذات يوم عليك بأحمد النور المبين

وهذا البيت يتضمن الدعوة إلى اللجوء للرسول ﷺ ودعائه أن يفرج الكربة، وهذا من أعظم الشرك الأكبر.

فالواجب تنبيه الشاعر إلى ذلك حتى يتوب إلى الله سبحانه، ويحذر العودة إلى مثل ذلك، وتحذير الجريدة من نشر مثل هذا الشعر، وتكليفهم بأن ينبهوا على هذا الخطأ بمضمون ما ذكرته بهذه الرسالة، وإن من الواجب على كل مسلم تعتريه أي كربة أن يفزع إلى الله سبحانه، وأن يسأله تفريجها، وأن يأخذ بالأسباب التي تنفع في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وكان المشركون في الجاهلية إذا اشتدَّت بهم الكروب فزعوا إلى الله سبحانه وتركوا آلهتهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا

رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومعلوم أنَّ الأموات جميعًا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، بل ذلك إلى الله سبحانه، كما قال الله سبحانه عن نبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، هذا هو حي عليه الصلاة السلام فكيف بعد ما مات؟! وقال جل وعلا: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمنحهم الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يصلح القائمين على وسائل إعلامنا، وأن يوفقهم لكل خير، وأن يكفي المسلمين كل شر، إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))(١).

(١) مجموع فتاوى الشيخ: (٨/ ١٨٥-١٨٦).

الفصل الثاني

الردَّ على من طعن في أحكام القرآن والسنة أو الرسول ﷺ وشريعته

واشتمل على:

١. حكم الإسلام فيمن زعم أنّ القرآن متناقض.

رد سماحة الشيخ على صحيفة الشهاب اللبنانية.

٢. برقية من سماحة الشيخ وبعض المشايخ.

إلى كاتب المقال بصحيفة الشهاب اللبنانية.

٣. بيان الأدلة على كفر من طعن في القرآن أو في الرسول ﷺ.

٤. الرد على مطاعن عدة نشرتها جريدة: الصباح.

٥. الرد على مقال بصحيفة اليمامة يطعن في تعدد الزوجات.

٦. الرد على صحيفة محلية تسخر من القرآن وأهله.

٧. الرد على صحيفة المساء في استهزائها بالرسول ﷺ وتنقصه.

٨. رد سماحة الشيخ بن باز على المدعو رشاد خليفة في إنكاره السنة.

٩. بيان كفر وضلال من زعم أنه يجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد.

رد على مقال بصحيفة الشرق الأوسط.

١٠. حكم الإسلام في غلام أحمد برويز.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الثاني

الرد على من طعن في أحكام القرآن والسنة أو الرسول ﷺ وشريعته

تمهيد:

تجرأ بعض الكُتَّاب المعاصرين في نشر مقالاتٍ في بعض الصحف تحمل في طياتها الطعن في الأحكام الشرعية القطعية الثابتة، والمعلومة من الدين بالضرورة، وصل الحد ببعضهم إلى اتهام القرآن بالاضطراب والتناقض، ووصف بعضهم الأحكام الشرعية بالجمود والرجعية، وعدم ملاءمتها للعصر.

وهذه الجرأة والمجاهرة بهذه الكفريات كان من أسبابها تقاعس العلماء في الرد على هؤلاء وإفحامهم، وكذلك عدم تطبيق حد الردة الذي يردع أمثال هؤلاء ويجعلهم عبرة لمن تسول له نفسه الطعن في الشريعة.

وكان لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ردود قوية على أمثال هؤلاء.

وننقل هذه الردود في هذا الفصل حتى يطَّلع عليها الدعاة والعلماء فيقوموا بدورهم في الرد على كثيرٍ من الكُتَّاب الذين طفحت مقالاتهم بهذه الأمور في هذه الأيام.

رد سماحة الشيخ على صحيفة الشهاب اللبنانية

حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض، أو مشتمل على بعض الخرافات، أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقصه، أو الطعن في رسالته، والرد على من تجرأ على ذلك أو نسب إليه(١)

قال سماحة الشيخ رحمه الله.

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر في ٢٣ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ، الموافق ١ نيسان سنة ١٩٧٤م، فقرات خطيرة من كلام مسئول كبير، ألقاه في إحدى المناسبات حول الثقافة الذاتية والوعي القومي، يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض ومشتمل على بعض الخرافات، مع وصف الرسول محمد ﷺ بأنه إنسان بسيط يسافر كثيرًا في الصحراء، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن الكريم وهذا نص ما نشرته الصحيفة المذكورة:

القرآن متناقض حوى خرافات، مثل قصة أهل الكهف، وعصا موسى؟!

في مناسبة عُقدت بأواخر الشهر الماضي: مؤتمر للمدرسين والمربين، لمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي، وقد ألقى ذلك المسئول خطابًا طويلاً تعرض فيه لقضايا فكرية هامة، وأجرى عملية جريئة وعلنية لنصوص قرآنية ثابتة، خلص أنها متناقضة حينًا وخرافية حينًا آخر، وقد نَشَرتْ نص الخطاب جريدة أخرى على جزأين في عددين صدرا بتاريخ ٢٠و٢١ من شهر (آذار)، مارس الماضي، وقد عملت وسائل الإعلام الرسمية على حذف

---

(١) صدرت في نشرة طبعتها الجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة تحت رقم ٩.

النقاط النافرة في الخطاب وسنورد النقاط المحذوفة التي سُمعت حية من المذكور، ثم نورد ما نشرته الجريدة حرفيًا:

(١) إنَّ في القرآن تناقضا لم يعد يقبله العقل بين ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١]، و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

(٢) الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان إنسانًا بسيطًا يسافر كثيرًا عبر الصحراء العربية، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك: عصا موسى، وهذا شيء لا يقبله العقل، بعد اكتشاف باستور وقصة أهل الكهف.

(٣) إنَّ المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد، فهم دائمًا يكررون محمد ﷺ الله يصلي على محمد ـ وهذا تأليه لمحمد، وقد دعا في ختام خطابه، المربين وأهل التعليم إلى تلقين ما قاله حول الإسلام إلى تلاميذهم.

انتهى المقصود مما ذكرته صحيفة (الشهاب) عن كلام المذكور، وقد أَفزَع هذا المقال كل مسلم قرأه، أو سمعه، لما اشتمل عليه من الكفر الصريح، والجرأة على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ من مسئول دولة تنتسب إلى الإسلام، كان من المفروض عليه أن يدافع عن دينه وعن كتاب ربه، وعن رسوله محمد ﷺ لو سَمِع مثل هذا المقال، أو ما هو أخفُ منه من أي أحد، ولكن الأمر كما قال سبحانه: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، و﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

ولما قرأت هذا المقال في صحيفة "الشهاب" بادرت بإرسال برقية للمذكور بتاريخ ٧/ ٤ سنة ١٣٩٤هـ هذا نصها:

نشرت صحيفة (الشهاب) بعدد ٢٣ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ حديثا نسب إليكم غاية في الخطورة، يتضمن الطعن في القرآن الكريم بالتناقض، والاشتمال على الخرافات والطعن في مقام الرسالة المحمدية العظيم.

وقد أزعج ذلك المسلمين واستنكروه غاية الاستنكار، فإن كان ذلك صدر منكم فالواجب ـ شرعًا ـ المبادرة إلى التوبة النصوح منه، وإعلانها بطرق الإعلان الرسمية وإلاّ وجب إعلان بيان رسمي صريح بتكذيبه، واعتقاد خلافه كي يطمئن المسلمون، وتهدأ ثائرتهم من هذه التصريحات الخطيرة.

ونسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وللتوبة من جميع الآثام، سرها وجهرها، وأن يعز الإسلام وأهله وأوطانه إنه سميع مجيب))[1].

رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٨٢-٨٤].

برقية من سماحة الشيخ وبعض المشايخ إلى كاتب المقال الصحيفة الشهاب اللبنانية

قال سماحة الشيخ رحمه الله:

((ثم أرسلت برقية أخرى مني ومن المشايخ: حسنين محمد مخلوف، وأبي الحسن على الحسني الندوي، وأبي بكر محمود جومي، والدكتور محمد أمين المصري، وذلك بتأريخ ١٦/ ٤/ ١٣٩٤هـ هذا نصها:

نسبت إليكم صحيفة "الشهاب" بعددها الصادر بتاريخ ٢٣ربيع الأول تصريحات مكفرة، لما فيها من الطعن في القرآن الكريم، والمصطفى ﷺ، ودعوتكم لرجال التعليم لنشرها بين الطلاب.

فإن كنتم قد اقترفتموها، فالواجب عليكم المبادرة إلى التوبة والعودة إلى الإسلام، وإلا وجب عليكم المبادرة إلى التكذيب الصريح ونشره في العالم بجميع وسائل النشر، وإعلان عقيدتكم الإسلامية الصحيحة في الله تعالى وكتابه ورسوله، تبرئة من الكفر، وتسكينا للفتن، وتطميناً للمسلمين في سائر الدول، وإنَّ عدم التكذيب دليل على الإصرار على الردة، ومثار فتن لا يعلم عواقبها إلا رب العالمين، تحمل وزرها ووزر من يرتكس فيها إلى يوم الدين، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

أبو الحسن على الحسني الندوي أمين ندوة العلماء لكنوا الهند وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة	عبد العزيز بن عبدالله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أبو بكر محمد جومي قاضي قضاة ولايات شمال نيجيريا	الدكتور محمد أمين المصري جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة	حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا[١]

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٨٥].

رد على الكاتب المذكور

قال سماحة الشيخ رحمه الله:

((ثم اطلعت على الجريدة المنوه عنها آنفًا فألفيتها قد ذكرت في عددها الصادر في ٢١مارس ١٩٧٤م طبق ما نقلته عنها صحيفة (الشهاب) فيما يتعلق بعصا موسى وقصة أهل الكهف، كما ألفيتها قد نصت على منكر شنيع في عددها الصادر في ٢٠مارس ١٩٧٤م وقع في كلام المذكور، لم تشر إليه صحيفة "الشهاب" وهذا نصه:

((على أني أريد أن ألفت نظركم إلى نقص سأبذل كل ما في وسعي لتداركه، قبل أن تصل مهمتي إلى نهايتها، وأريد أن أشير بذا إلى موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، وهي مساواة متوفرة في المدرسة وفي العمل، وفي النشاط الفلاحي، وحتى في الشرطة لكنها لم تتوفر في الإرث، حيت بقي للذكر حظ الأنثيين، إنَّ مثل هذا المبدأ يجد ما يبرره عندما يكون الرجل قوامًا على المرأة، وقد كانت المرأة بالفعل في مستوى اجتماعي لا يسمح بإقرار مساواة بينها وبين الرجل، فقد كانت البنت تدفن حية، وتعامل باحتقار، وها هي اليوم تقتحم ميدان العمل، وقد تضطلع بشئون أشقائها الأصغر منها سنًا، فزوجتي مثلا هي التي تولت السهر على شئون شقيقها، وتكبدت ـ من أجل ذلك ـ كل متاعب العمل الفلاحي، ووفرت له سبل التعليم، وحرصت على تحقيق أمنية والدها الذي كان يرغب في توجيه ابنه نحو المحاماة، فهل يكون من المنطق في شيء أن ترث الشقيقة نصف ما يرثه شقيقها في هذه الحالة!، فعلينا أن نتوخى طريق الاجتهاد في تحليلنا لهذه المسألة، وأنْ نبادر بتطوير الأحكام التشريعية، بحسب ما تقتضيه تطور المجتمع، وقد سبق أن حجرنا تعدد الزوجات بالاجتهاد في مفهوم الآية الكريمة، ومن حق

الحكام بوصفهم أمراء المؤمنين ـ أن يطوروا الأحكام بحسب تطور الشعب، وتطور مفهوم العدل، ونمط الحياة.

هكذا في الصحيفة المذكورة، وهذا ـ إن صح صدوره من المسؤول المشار إليه آنفًا ـ فهو نوع آخر من الكفر الصريح؛ لأنه زعم أن إعطاء المرأة نصف ما يُعطاه الذكر نقص، وليس من المنطق البقاء عليه بعد مشاركة المرأة في ميدان العمل، كما ذكر أنه حجَّر تعدد النساء بالاجتهاد، وأنه يجب تطوير الأحكام الشرعية بالاجتهاد حسب تطور المجتمع، وذكر أن هذا من حق الحكام لكونهم أمراء المؤمنين، وهذا من أبطل الباطل، وهو يتضمن شرًا كبيرًا، وفسادًا عظيمًا سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٨٦-٨٧].

بيان الأدلة على كفر من طعن في القرآن أو في الرسول عليه الصلاة والسلام(١)

قال الشيخ رحمه الله ردًا على الكاتب وكذلك على صحيفة الشهاب اللبنانية:

((إذا عُلِم ما تقدم، فإن الواجب الإسلامي والنصيحة لله ولعباده كل ذلك، يوجب علينا بيان حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن بأنه متناقض، أو مشتمل على بعض الخرافات، وفيمن طعن في الرسول ﷺ بأي نوع من أنواع الطعن غيرة لله سبحانه، وغضبًا له ﷻ وانتصارًا لكتابه العزيز، ولرسوله الكريم، وأداء لبعض حقه علينا، سواء كان ما ذكر عن أي شخص واقعًا أم كان غير واقع، وسواء أعلن إنكاره له، أو التوبة منه، أم لم يعلن ذلك، إذ المقصود بيان حكم الله فيمن أقدم على شيء مما ذكرنا من التنقص لكتاب الله، أو لرسوله ﷺ فنقول: قد دل كتاب الله ﷻ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وإجماع الأمة على أن كتاب الله سبحانه محكم غاية الإحكام، وعلى أنه كله كلام الله ﷻ ومنزل من عنده، وليس فيه شيء من الخرافات والكذب، كما دلت الأدلة المذكورة على وجوب تعزير الرسول ﷺ وتوقيره، ونصرته، ودلت أيضًا على أن الطعن في كتاب الله، أو في جناب الرسول ﷺ كفر أكبر، وردة عن الإسلام، وإليك ـ أيها القارئ الكريم ـ بيان ذلك:

قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١]، وقال في أول سورة هود: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، وذكر علماء التفسير رحمهم الله في تفسير هذه الآيات، أن معنى

(١) من رسالة طبعت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٩ بعنوان: (حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض).

ذلك أنه متقن الألفاظ والمعاني، مشتمل على الأحكام العادلة والأخبار الصادقة والشرائع المستقيمة، وأنه الحاكم بين العباد فيما يختلفون فيه، كما قال الله سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فكيف يكون محكم الألفاظ والمعاني وحاكما بين الناس وهو متناقض مشتمل على بعض الخرافات؟ وكيف يكون محكمًا وموثوقًا به إذا كان الرسول الذي جاء به إنسانًا بسيطًا لا يفرق بين الحق والخرافة؟ فعلم بذلك أنَّ من وصَفَ القرآن بالتناقض، أو بالاشتمال على بعض الخرافات، أو وصف الرسول ﷺ بما ذكرنا فإنه متنقص لكتاب الله ومكذب لخبر الله وقادح في رسول الله ﷺ وفي كمال عقله، فيكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام ـ إن كان مسلمًا قبل أن يقول هذه المقالة ـ وقال الله سبحانه في أول سورة يوسف: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ١-٣]، وقال سبحانه في سورة الزمر: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، ومعنى (متشابها) في هذه الآية ـ عند أهل العلم ـ يشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، فكيف يكون بهذا المعنى؟ وكيف يكون أحسن الحديث وأحسن القصص وهو متناقض مشتمل على بعض الخرافات؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في خطبه: "أما بعد: فإن خير الحديث

كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ"، فمن طعن في القرآن، بما ذكرنا أو غيره من أنواع المطاعن، فهو مكذب لله ﷻ في وصفه لكتابه، بأنه أحسن القصص، وأحسن الحديث، ومكذب للرسول ﷺ في قوله: "إنه خير الحديث"، وقال ﷻ في وصف القرآن الكريم: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣]، وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، إلى أمثال هذه الآيات الكثيرة في كتاب الله، فمن زعم أنه متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات التي أدخلها فيه الرسول ﷺ مما تلقاه من بادية الصحراء أو غيرهم فقد زعم أنَّ بعضه غير مُنزَّل من عند الله وأنه غير محفوظ، كما أنه بذلك قد وصف الرسول ﷺ بأنه كذب على الله وأدخل في كتابه ما ليس منه، وهو ـ مع ذلك ـ يقول للناس: إن القرآن كلام الله وهذا غاية في الطعن في الرسول ﷺ ووصفه بالكذب على الله وعلى عباده، وهذا من أقبح الكفر والضلال والظلم، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ذكر علماء التفسير ـ رحمهم الله ـ أن هذه الآية نزلت في جماعة كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، قال بعضهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب

ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء، وقال بعضهم: ((أتحسبون أنّ جِلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا، والله لكأنَّا بكم غدا مقرّنين في الحبال)) قال بعضهم: ((يظن هذا أنه يفتح قصور الروم وحصونها، هيهات)) فأنزل الله قوله سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فجاءوا إلى الرسول ﷺ يعتذرون ويقولون: إنَّما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، فلم يعذرهم، بل قال لهم عليه الصلاة والسلام:﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾، فإذا كان هذا الكلام الذي قاله هؤلاء يعتبر استهزاء بالله وآياته ورسوله، وكفرًا بعد إيمان، فكيف بحال من قال في القرآن العظيم: إنه متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات، أو قال في الرسول ﷺ: إنه إنسان بسيط لا يُميز بين الحق والخرافة، لا شك أنَّ من قال هذا هو أقبح استهزاءً، وأعظم كفرًا!.

(ذكر كلام العلماء فيمن طعن في القرآن الكريم، أو الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أو استهزأ بهما، أو سب الله، أو الرسول ﷺ)

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) عند تفسير هذه الآية ما نصه: (قال القاضي أبوبكر ابن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه في ذلك جدًا أو هزلاً، وهو كيف ما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفرٌ لا خلاف فيه بين الأمة) انتهى المقصود.

وقال القاضي عياض بن موسى رحمه الله في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) ص ٣٢٥ ما نصه: (واعلم أنَّ من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبه أو جحده ولو حرفًا منه أو آية، أو كذّب به أو بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك ـ فهو كافر عند أهل العلم بالإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]). انتهى المقصود.

وقال القاضي عياض في كتابه المذكور، في حكم سب النبي ﷺ ص ٢٣٣ ما نصه: (اعلم وفقنا الله وإياك، أنَّ جميع من سبَّ النبي ﷺ أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له، فهو طريق سب له، والحكم فيه حكم الساب ـ يقتل كما نبينه، ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحا أو تلويحا، وكذلك

من لعنه أو دعا عليه أو تمنى له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء، أو المحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة، والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى هلم جرا. قال أبوبكر ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك: مالك ابن أنس والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي). انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ص٣ ما نصه: (المسألة الأولى: أنَّ من سب النبي ﷺ من مسلم وكافر، فإنه يجب قتله، هذا مذهب عليه عامة أهل العلم، ثم نقل كلام أبي بكر ابن العربي - المتقدم ذكره في كلام القاضي عياض -: ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله ما نصه: وقد حكى أبوبكر الفارسي - من أصحاب الشافعي - إجماع المسلمين على أنَّ حد من سبَّ النبي ﷺ القتل، كما أن حد من سبَّ غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاه محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أنَّ ساب النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلمًا، وكذلك قيّده القاضي عياض، فقال: ((أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه، وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره، وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام رحمه الله: أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ

أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًا من أنبياء الله ﷻ أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله، قال الخطابي رحمه الله: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله، وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمنتقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه ـ عند الأمة ـ القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر، ثم قال شيخ الإسلام: أبو العباس رحمه الله: وتحرير القول فيه أن الساب ـ إن كان مسلمًا ـ فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهذا مذهب الأئمة الأربعة، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه وغيره، ثم ذكر الخلاف فيما إذا كان الساب ذميًا، ثم ذكر رحمه الله في آخر الكتاب، ص ٥١٢ ما نصه: ((المسألة الرابعة في بيان السب المذكور، والفرق بينه وبين مجرد الكفر، وقبل ذلك لابد من تقديم مقدمة، وقد كان يليق أن تذكر في أول المسألة الأولى، وذكرها هنا مناسب ـ أيضًا ـ لنكشف سر المسألة، وذلك أن نقول: إنّ سب الله، أو سب رسوله ﷺ كفر ظاهر وباطن، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل)) إلى أن قال رحمه الله في ص٥٣٨ ما نصه: ((التكلم في تمثيل سب رسول الله ﷺ وذكر صفته ذلك مما يثقل على القلب واللسان، ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك ذاكرين، لكن للاحتياج إلى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في أنواع السب مطلقًا من غير تعيين، والفقيه يأخذ حظه من ذلك، فنقول: **السب نوعان**: دعاء وخبر، فأما الدعاء فمثل أن يقول القائل لغيره: لعنه الله أو قبحه الله أو أخزاه الله، أو لا رحمه الله أو لا رضي الله عنه، أو قطع الله دابره،

فهذا وأمثاله سب للأنبياء ولغيرهم، وكذلك لو قال عن نبي لا صلى الله عليه أو لا سلم، أو لا رفع الله ذكره، أو محى الله اسمه ونحو ذلك من الدعاء عليه، بما فيه ضرر عليه في الدنيا أو في الآخرة، فهذا كله إذا صدر من مسلم أو معاهد، فهو سب، فأما المسلم فيقتل به بكل حال، وأما الذمي فيقتل بذلك إذا أظهره. إلى أن قال ﷺ ص ٥٤٠: **النوع الثاني**: الخبر: فكل ما عدَّه الناس شتمًا، أو سبًا أو تنقصًا فإنه يجب به القتل، فإن الكفر ليس مستلزما للسب، وقد يكون الرجل كافرًا ليس بساب، والناس يعلمون علمًا عامًا أن الرجل قد يبغض الرجل ويعتقد فيه العقيدة القبيحة ولا يسبه، وقد يضم إلى ذلك مسبة، وإن كانت المسبة مطابقة للمعتقد، فليس كل ما يحتمل عقدا يحتمل قولاً، ولا ما يحتمل أن يقال سرًا، يحتمل أن يقال جهرًا، والكلمة الواحدة تكون في حال سبًا وفي حال ليست بسب، فعلم أن هذا يختلف باختلاف الأقوال والأحوال، وإذا لم يأت للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس، فما كان في العرف سبًا للنبي ﷺ فهو الذي يجب أن نُنزل عليه كلام الصحابة والعلماء، وما لا فلا)) انتهى المقصود.

كشف الشبه المذكورة في الكلام المنسوب إلى القائلين به:

وقع في الكلام المنسوب إلى من قال بذلك ستة أمور شنيعة:

الأول: القول بتناقض القرآن، وقد مثل لذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

الثاني: إنكار قصة عصا موسى، وقصة أهل الكهف، والتصريح بأنها من الأساطير.

الثالث: أنَّ الرسول محمدًا ﷺ كان إنسانًا بسيطًا يسافر كثيرًا عبر الصحراء العربية ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك عصا موسى، وقصة أهل الكهف.

الرابع: إنكار إعطاء المرأة نصف ما يُعطى الذكر في الميراث، والزعم أن ذلك ليس من المنطق، وأنَّه نقص يجب البدار إلى إزالته؛ لأنه لا يناسب تطور المجتمع، وذكر أنه ينبغي للحكام أن يطوروا الأحكام حسب تطور المجتمع.

الخامس: إنكار تعدد النساء وحجره ذلك على بعض الناس؛ لأنه لا يناسب تطور المجتمع.

السادس: القول بأنَّ المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد، فهم دائمًا يكررون محمد ﷺ، الله يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد. انتهى.

ونحن ـ إنْ شاء الله ـ نبيِّن بطلان ما ذُكِرَ في هذه الأمور الستة، ونكشف الشبه بالأدلة القاطعة، وإنْ كان الأمر في ذلك واضحًا، بحمد الله لكل من له أدنى بصيرة، ولكن مقصودنا من ذلك إنكار هذا المنكر وإيضاح الحق لمن قد تروج عليه بعض هذه الشبه ويحار في ردها، والله المستعان.

فنقول: القول بأنَّ القرآن متناقض، فهذا تنقص للقرآن، وسبٌّ له؛ لأنَّ السبَّ هو التنقص للمسبوب ووصفه بما لا يليق، وقد بينّا فيما مضى بالأدلة القاطعة أنَّ القرآن بريئ من ذلك، وأنَّه بحمد الله في غاية الإحكام والإتقان، كما قال سبحانه: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢] إلى غير ذلك من الآيات السابقات الدالة على إحكامه وإتقانه، وأنه أحسن الحديث وأحسن القصص، وتقدم ذكر إجماع العلماء على ذلك، وعلى كفر من تنقصه أو جحد شيئًا منه، أما الآيتان المذكورتان وما جاء في معناهما من الآيات الدالة على إثبات القدر، وعلى تعليق المسببات بأسبابها فليس بينها تنقض، وإنما أتى من زعم ذلك من جهة فساد فهمه، ونقص علمه، كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

وقد أجمع كل من لديه علم وإنصاف وبصيرة باللغة العربية من علماء الإسلام وخصومه، أنَّ كتاب الله في غاية من الإحكام والإتقان، وأنَّه خير كتاب وأفضل كتاب، وأنه لم ينزل كتاب أفضل منه، لما اشتمل عليه من العلوم النافعة والأحكام العادلة، والأخبار الصادقة، والشرائع القويمة والأسلوب البليغ المقنع، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٥]. أي صدقًا في الأخبار، وعدلا في الشرائع والأحكام، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]، قال

العلماء: الهدى: هو ما فيه من العلوم النافعة والأخبار الصادقة، ودين الحق: هو ما فيه من الشرائع القويمة والأحكام الرشيدة.

إذا علم هذا فالجمع بين الآيتين المذكورتين وما في معناهما هو أن الله سبحانه قد قدَّر مقادير الخلائق، وعلم ما هم عاملون، وقدر أرزاقهم وآجالهم، وكتب ذلك كله لديه، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي الصحيحين عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار" فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فقال ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أمَّا من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة" ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة ﷺ أن جبرائيل سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، هذا لفظ عمر، ولفظ أبي هريرة: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه، ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله".

وفي صحيح مسلم ـ أيضًا ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع

النبي ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء".

وفي صحيح مسلم ـ أيضًا ـ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفي هذه الآيات والأحاديث الدلالة على أن الله سبحانه قد قدَّر الأشياء وعلمها وكتبها، وأن الإيمان بذلك أصل من أصول الإيمان الستة التي يجب على كل مسلم الإيمان بها، ويدخل في ذلك أنه سبحانه، خلق الأشياء كلها، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. فعلمه سبحانه، محيط بكل شيء، وقدرته شاملة لكل شيء، كما قال سبحانه: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وهو مع ذلك سبحانه قد أعطى العباد العقول والأسماع والأبصار والأدوات التي يستطيعون بها أنْ يفعلوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، وأنْ يعرفوا بها الضار والنافع، والخير والشر، والضلال والهدى، وغير ذلك من الأمور التي مكن الله العباد من إدراكها بعقولهم وأسماعهم وأبصارهم وسائر حواسهم، وجعل لهم سبحانه عملا واختيارًا ومشيئة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وأمرهم بالأسباب، ووعدهم على طاعته الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، وعلى معاصيه العذاب الأليم، فهم يعملون ويكدحون، وتنسب إليهم

أعمالهم وطاعاتهم ومعاصيهم؛ لأنهم فعلوها بالمشيئة والاختيار، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، و﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال سبحانه: (﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وفي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من ذلك ما لا يحصى ولكنهم مع ذلك لا يخرجون عن مشيئة الله بهذه الأعمال وإرادته الكونية، كما قال ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١]. وبما ذكرنا من هذه الآيات يتضح قوله سبحانه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١]. قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد: ١١]، فالآية الأولى دلت على أن جميع ما يصيب العباد، مما يحبون ويكرهون، كله مكتوب عليهم، ودلَّت الثانية على أنَّ الله سبحانه قد رتب على أعمال العباد وما يقع منهم من الأسباب، مسبباتها وموجباتها، فالمؤمن عند المصيبة يفزع إلى القدر فيطمئن قلبه، وترتاح نفسه به، لإيمانه بأنَّ الله سبحانه قد قدَّر كل

شيء، وأنّه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، ويحارب الهموم والغموم والأوهام، ويصبر ويحتسب رجاء ما وعد الله به الصابرين بقوله سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. ولا يمنعه ذلك من الأخذ بالأسباب والقيام بما أوجب الله عليه، وتركه ما حرم الله عليه عملا بقول الله ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقول النبي ﷺ: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء الله فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان"(١).

وبذلك يستحق المدح والثناء والثواب العاجل والآجل على أعماله الطيبة وأخذه بالأسباب النافعة، وابتعاده عن كل ما يضره، ويستحق الذم والوعيد وأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة على ما يفعله من المعاص والمخالفات، وعلى تفريطه في الأخذ بالأسباب وعدم إعداده لعدوه ما يستطيع من القوة، وقد جرت سنة الله سبحانه في عباده أنهم إذا استقاموا على دينه، وتباعدوا عن غضبه، وجاهدوا في سبيله أنَّه ينصرهم، ويجمع كلمتهم ويجعل لهم العاقبة الحميدة، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

ﭐلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وقال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. أما إذا ضيَّعوا أمره وتابعوا الأهواء واختلفوا بينهم، فإن الله سبحانه يغير ما بهم من عز واجتماع كلمة، ويسلط عليهم الأعداء، ويصيبهم بأنواع العقوبات من القتل والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك جزاءً وفاقًا وما ربك بظلام للعبيد، وهذا هو معنى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]. والمعنى: أنه سبحانه لا يغير ما بالعباد، من عز ورغد عيش واتحاد كلمة وغير ذلك من صنوف النعم، إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من طاعته والاستقامة على دينه، والأخذ بالأسباب النافعة، وإعداد المستطاع من القوة، والقيام بالجهاد، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فصاروا بعد العزة أذلة، وبعد الاجتماع والاتحاد متفرقين ومختلفين، وبعد رغد العيش وأمن السبل إلى فقر وحاجة واختلال أمن، إلى غير ذلك من أنواع العقوبات وهذا هو معنى قوله ﷻ في الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فإذا تابوا إلى الله سبحانه، وبادروا إلى الأعمال الصالحات، والأخذ بالأسباب الشرعية والحسية، وأعدّوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة وجاهدوا في الله حق جهاده، أعطاهم الله العزة بعد الذلة، والقوة بعد الضعف، والاتحاد بعد الاختلاف، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف إلى غير ذلك من أنواع النعم، وكما أن النصوص من الكتاب والسنة، قد دلَّت على ما ذكرنا، فالواقع التاريخي شاهد بذلك، ومن تأمَّل أحوال هذه الأمة، في ماضيها وحاضرها، وما جرى عليها من أنواع التغير والاختلاف عرف ما ذكرنا واتضح له معنى الآيتين، وأوضح شاهد

على ذلك ما جرى لصدر هذه الأمة من العز والتمكين والنصر على الأعداء بسبب قيامهم بأمر الله وتعاونهم على البر والتقوى، وصدقهم في الأخذ بالأسباب النافعة وجهاد الأعداء، فلما غيروا غير عليهم، وفي واقعة بدر وأُحدٍ شاهد لما ذكرنا، فإن المسلمين لما صدقوا مع نبيهم ﷺ في جهاد العدو يوم بدر، نصرهم الله مع قلتهم وكثرة عدوهم، وصارت الدائرة على الكافرين، ولما أخلَّ الرماة يوم أُحدٍ بموقفهم، وفشلوا وتنازعوا وعصوا نبيهم ﷺ في أمره لهم بلزوم موقفهم جرى ما جرى من الهزيمة، وقُتِلَ سبعون من المسلمين، وجُرِح عدد كثير منهم، ولما استنكر المسلمون ذلك واستغربوه أنزل قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فإذا كان خير الأمة وأفضلهم، وفيهم سيد الخلق نبينا محمد ﷺ إذا غيَّروا غيَّر عليهم، فكيف بغيرهم من الناس!، لاشك أنَّ غيرهم من باب أولى أنّ يُغيِّرُ عليهم إذا غَيَّروا، وهم في ذلك كله لم يخرجوا عن قدر الله وما كتبه عليهم لقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]. وبهذا يتضح لطالب الحق معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، ويُعلَم أنَّ كلا منهما حق وأنه ليس بينهما تناقض، مع العلم بأن الله ﷻ قد يبتلي عباده المؤمنين بالسراء والضراء، ليمتحن صبرهم وجهادهم، وليكونوا أسوة لغيرهم، ثم يجعل لهم العاقبة؛ كما قال سبحانه:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما الثاني والثالث من الأمور المنكرة التي وقعت في الكلام المذكور، فهما: الزعم أن قصة موسى، وقصة أهل الكهف من الأساطير، ومن الخرافات التي نقلها الرسول ﷺ إلى القرآن؛ لأنَّه ﷺ في زعم هذا القائل ـ كان إنسانًا بسيطًا يسافر في الصحراء العربية، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت التي منها ـ بزعمه ـ القصتان المذكورتان.

ولا ريب أن هذا الكلام الشنيع مما يثقل على القلب واللسان ذكره، لما اشتمل عليه من أنواع الكفر الصريح، والردة الكبرى في الإسلام ـ كما تقدَّم بيان ذلك ونقلنا الإجماع عليه، ولكن لمسيس الحاجة إلى كشف شبهة قائله، اضطررنا إلى نقله وكتابته وشبهته فيما افتراه من هذا الزعم الباطل هي أن هاتين القصتين لا يقبلهما العقل؛ لكون العصا جمادًا لا تقبل الحياة، ولأنَّ نوم أهل الكهف طويل جدًا، وهذه الشبهة باطلة من وجوه.

الوجه الأول: أن العقل لا مجال له في هذا المقام، وإنما الواجب على جميع العقلاء التصديق بما أخبر الله به ورسوله واتباعه، وعدم التكذيب بشيء منه، وليس لأحد أن يحكم عقله في الإيمان ببعض المنزل وإنكار بعضه؛ لقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨]، وقال ﷻ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الأعراف: ٣]. وقد أثنى الله سبحانه على الرسول والمؤمنين بالتصديق بما أنزل إليهم من ربهم ووصف المتقين بذلك، وأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح، فقال سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥]. وحكم سبحانه على من آمن ببعض وكفر ببعض بأنه هو الكافر حقًا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وأنكر سبحانه على اليهود هذا التفريق وتوعدهم عليه، فقال سبحانه: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

الوجه الثاني: أنَّ الله سبحانه لا أصدق منه، وهو العالم بكل ما كان وما سيكون، وكتابه هو أحسن الحديث، وأحسن القصص، وقد ضمن حفظه وأخبر أنَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢]. وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣]، ومعنى قوله: ﴿مُّتَشَـٰبِهًا ﴾ في هذه الآية: يشبه بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا ـ كما سبق بيان ذلك ـ وقال جلا وعلا: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]. فكيف يجوز ـ بعد هذا ـ لأحد من الناس أن يُحكِّم عقله في التصديق ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ثم الرسول ﷺ هو أصدق الناس وأعلمهم بما أنزل عليه، وأكملهم عقلا وأزكاهم نفسًا ـ بالنص والإجماع ـ وقد وصفه الله سبحانه بأزكى الصفات وأفضلها، وأخبر أنه لا ينطق علن الهوى، كما قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ١-٤]. وقد أجمع العلماء على أنه ﷺ وجميع المرسلين معصومون في كل ما يبلغونه عن الله ﷻ من الكتب والشرائع، وقد توعده الله سبحانه بالوعيد الشديد لو تقول عليه ما لم يقل، فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. وقد حماه الله من ذلك

وصانه وحفظه ونصره وأيده حتى بلَّغ الرسالة أجمل تبليغ، وأدَّى الأمانة أكمل أداء، فكيف بعد هذا كله يجوز لأحد من الناس أن ينكر شيئًا مما جاء به ﷺ من كتاب الله العظيم وشرعه الحكيم، ويزعم أن الرسول ﷺ أدخل في كتاب الله ما ليس منه!، سبحانك هذا بهتان عظيم، وكفر صريح عامل الله قائله بما يستحق.

الوجه الثالث: أنَّ وظيفة العقول هي التدبر للمُنزَّل، والتعقُّل لما دلَّ عليه من المعنى بقصد الاستفادة والعمل والاتباع. كما قال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]. وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. أما تحكيمها في الإيمان ببعض المنزل ورد بعضه فهو خروج بها عن وظيفتها، وتجاوز لحدودها، وعدوان من فاعل ذلك كما سبق بيانه.

الوجه الرابع: أنَّ العقول الصحيحة الصريحة لا تخالف المنقول الصحيح، ولا تُضاده، لأنَّ الرسل ـ صلى الله عليهم وسلم ـ لا يأتون بما تحيله العقول الصحيحة، ولكن قد يأتون بما تحار فيه العقول لقصورها وضعف إدراكها، فيجب عليها أن تُسلِّم للصادق الحكيم العليم بكل شيء، خبره وحكمه، وأنْ تخضع لذلك وتؤمن به. وقصة عصا موسى، وقصة أهل الكهف ليستا مما تحيله العقول؛ لأنَّ قدرة الله سبحانه، عظيمة وشاملة، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]. ولما سبق من الآيات الكثيرات، في هذا المعنى وقد جعل الله هذه العصا معجزة باهرة لرسوله وكليمه موسى ﷺ، وأيَّده بها على عدوه فرعون؛ ليقيم الحجة عليه وعلى

قومه، فكانت من الآيات العظيمة التي خرق الله بها العادة من أجل تأييد الحق، وإبطال ما جاء به السحرة من السحر العظيم، الذي سحروا به أعين الناس واسترهبوهم، فلقفت هذه العصا في صور ثعبان عظيم جميع حبالهم وعصيهم، وعرف السحرة أنَّ هذا شيء من عند الله، لا طاقة لمخلوق به، فآمنوا برب موسى وهارون وخروا لله سجدًا، كما قال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٢]. وقد ثبت بالنقل المعصوم والشاهد المعلوم، ما هو من جنس قصة عصا موسى أو أعجب منها، فأما النقل المعصوم فهو ما ذكره الله سبحانه في قصة آدم والجان، وأن الله ﷻ خلق آدم من الطين، من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، ثم نفخ في آدم من روحه، والطين جماد كالعصا، ولما نفخ الله فيه الروح صار إنسانًا عاقلاً، سميعًا بصيرًا، وهكذا النار جماد محرق، وقد خلق الله منها الجان، وجعله حيًا سميعًا بصيرًا، فالذي قَدَرَ على ذلك هو الذي جعل في عصا موسى الحياة، حتى صارت بذلك حية تسعى، ولقفت ما ألقاه السحرة من العصي والحبال، وربك على كل شيء قدير، أما الشاهد المعلوم فجميع بني آدم كلهم مخلوقون من ماء مهين، كما قال الله ﷻ في سورة السجدة: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٦-٨]. وهذا الماء هو النطفة المكنونة من ماء الرجل وماء المرأة، ثم تكون بعد ذلك علقة، ثم مضغة وهي في أطوارها الثلاثة جماد، ثم ينفخ الله فيها الروح فتكون بعد ذلك خلقًا آخر حيًا ذا سمع

وبصر وعقل، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. ففي خلق آدم وذريته آيات بينات على قدرة الخالق سبحانه، وأنَّه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنَّه سبحانه لا يعجزه شيء، ومن المشاهد المعلوم ـ أيضًا ـ البيضة، فإنها مخلوق جماد، ثم يجعل الله في ذلك الجماد الذي في داخلها ـ بالأسباب التي قدرها وعلمها عباده ـ طائرا حيا سمعيًا بصيرًا، والشواهد من مخلوقاته ﷻ على قدرته العظيمة وحكمته وعلمه الشامل كثيرة لا تحصى، وبما ذكرنا يتضح ـ لطالب الحق ـ بطلان هذه الشبهة التي شبَّه بها القائل في الكلام المنسوب إليه، ويُعلَم بذلك أنها من أبطل الباطل نقلا وعقلاً، ومن الدلائل القطعية على بطلانها أنَّ الله سبحانه قد خلق السموات والأرض، وخلق جميع المخلوقات الجامدة والمتحركة بقدرته العظيمة وذلك أعظم وأكبر من جعل عصا موسى حية تسعى، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. وقال سبحانه: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧-٨٣]. وأمَّا قصة أهل الكهف فليس فيها بحمد الله ما تحيله العقول، بل أمرها أسهل وأيسر من قصة العصا، والله سبحانه قد أرانا شاهدًا لها في أنفسنا، وذلك بما من به على العباد من النوم الذي قدَّره عليهم، وجعله رحمة لهم، لما يترتب عليه من إجمامهم من التعب، واستعادة قواهم بعد الكلال والمشقة وضعف القوى، وجعل ذلك من آياته الدالة على قدرته العظيمة، وكمال إحسانه ولطفه بعباده، وجعله دليلاً على الحياة بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣]. وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد أوضح فيها سبحانه أن النوم وفاة ونعمة ورحمة، وآية باهرة على قدرته العظيمة، فالذي قدر على ذلك وجعل ذلك نعمة عامة، ورحمة لجميع عباده، في ليلهم ونهارهم، عند الحاجة إليه، وجعله دليلاً على البعث والنشور والحياة بعد الموت، هو الذي قدّر على أهل الكهف النومة الطويلة، لحكمٍ كثيرة، وأسرارٍ عظيمة، وقد بيَّن بعضها في كتابه العزيز حيث قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن

لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ٩-١١] إلى قوله سبحانه: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]. فذكر سبحانه في هذه الآية أنَّ من الحكمة في إيوائهم إلى الكهف أن ينشر لهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقًا، لما اعتزلوا قومهم وهجروهم لله بسبب شركهم وكفرهم، ثم قال ﷻ بعد آيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١]، فأبان سبحانه في هذه الآية أن في قصة أهل الكهف وإعثار الناس عليهم، إقامة الحجة على صدق وعد الله بالبعث والنشور وقيام الساعة، وأن الذي يحيي النائم بعد نومه الطويل ووفاته بالنوم هو الذي يحيي العباد بعد موتهم وتفرُّق أوصالهم، ومعلوم أنَّ البعث والنشور قد أخبر به جميع الأنبياء، ودل عليه كتاب الله في مواضع كثيرة، وأجمع عليه المسلمون وغيرهم، ممن آمن بالرسل الماضين، فالذي يقدر على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم هو القادر سبحانه على إنامة الأحياء ثم بعثهم من باب أولى، فكل واحدة من الوفاتين ـ وفاة النوم، ووفاة الموت ـ دليل على الأخرى، وقد بين الله سبحانه في سورة البقرة إحياء الموتى، في الدنيا قبل الآخرة في خمسة مواضع ليقيم الحجة على المنكرين للبعث والنشور، ويوضح لهم سبحانه أنه القادر على إحياء الموتى في الدنيا والآخرة.

الموضع الأول: قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

الموضع الثاني: قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣]. والمعنى: أن الله سبحانه أمرهم بضرب القتيل الذي اختلفوا في قاتله، ببعض البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها، فضربوه بجزء منها، فرد الله عليه روحه فتكلم وأخبرهم بقاتله، وبيّن سبحانه أن في القصة دليلا على إحيائه الموتى لذوي العقول.

الموضع الثالث: قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الموضع الرابع: قوله سبحانه: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

الموضع الخامس: قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ففي هذه المواضع الخمسة من كتاب الله بيان منه سبحانه لعباده لقدرته على إحياء الموتى قبل يوم القيامة، فالذي قدر على ذلك هو القادر على إطالة مدة النائم ما شاء سبحانه من الوقت، ثم بعثه متى شاء من باب أولى وأحرى؛ لأن إطالة النوم ثم بعث النائم من نومه أسهل بكثير من إحياء الموتى بعد انقطاع مادة الحياة منهم، ومُصَيِّرهم جمادًا لا إحساس فيه، كما أن ذلك أسهل وأيسر - أيضًا - من

إحياء الموتى يوم القيامة بعد تفرُّق أوصالهم، ومصيرهم رفاتًا وترابًا، وقد دلت الدلائل القطعية، والكتب السماوية، والعقول الصحيحة على البعث والنشور، كما جاءت به الرسل ونطق به أفضل الكتب وأفضل الرسل، وأجمع عليه المسلمون، فكيف يبقى ـ بعد ذلك ـ شبهة لمن لديه أدنى عقل في قصة أهل الكهف، وقدرة الله سبحانه على ما أخبر به عنهم، فنسأل الله العافية من زيغ القلوب، والضلال بعد الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/٨٨-١١٢].

الرد على مطاعن نشرتها جريدة الصباح

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((وأما الرابع والخامس من المنكرات الواقعة في ذلك الكلام حسب ما ذكرته صحيفة (الصباح) في عددها الصادر في ٢٠/ ٣/ ١٩٧٤م - فهما: الاعتراض على إعطاء الأنثى في الميراث نصف ما للذكر، والاعتراض على تعدد النساء، والزعم أنَّ إعطاء المرأة - في الميراث - مثل نصف الذكر نقص يجب تداركه، وأنَّ الواجب - في هذا العصر - مساواة المرأة للذكر في الميراث كما ساوته في المدرسة والمعمل والفلاحة والشرطة، وأنَّه ليس من المنطق في هذا العصر أن يُفَضَّل الذكر على الأنثى، والزعم بأن هذا المبدأ يجد ما يُبرره عندما يكون الرجل قوامًا على المرأة، حين كانت المرأة في مستوى اجتماعي لا يسمح لها بمساواة الذكر، حين كانت تدفن حية وتحتقر، أما اليوم فقد اقتحمت ميدان العمل، وشاركت الرجال في ذلك، وجاء فيه: إنَّ علينا أن نتوخي طريق الاجتهاد في تحليلنا لهذه المسألة، وأنْ نبادر بتطوير الأحكام التشريعية، بحسب ما يقتضيه تطور المجتمع، وقد سبق في بعض الجهات أنَّ حجر تعدد الزوجات بالاجتهاد في مفهوم الآية الكريمة، وذكر أنَّ من حق الحكام - بوصفهم أمراء المؤمنين - أن يطوروا الأحكام بحسب تطور الشعب وتطور مفهوم العدل ونمط الحياة. انتهى المقصود من هذا الكلام الذي نشرته صحيفة (الصباح) ولم تشر إليه صحيفة (الشهاب) فيما نقلته من الكلام المذكور، وفي هذا التصريح الخطير أنواعٌ من الكفر والضلال، منها اتهام الله سبحانه في حكمه، والدعوة الصريحة للحكام إلى أن يتلاعبوا بإحكام الشريعة، حسب عقولهم، واجتهادهم وتطور الشعوب وأساليب الحياة في نظرهم، ولا شك أنَّ هذا من أبطل الباطل، وفيه تشبه باليهود والنصارى في تلاعبهم بشرائع

أنبيائهم، وافترائهم على الله سبحانه بما لم يشرعه، ونسبتهم إلى أحكامه ـ سبحانه ـ ما ليس منها، ومقتضى ما ذكره هذا الرجل أنَّ الله سبحانه لم يعلم ما تنتهي إليه الشعوب في آخر الزمان، ما ستصل إليه مجتمعاتهم من التطور، فلهذا دعا الحكام إلى أن يبادروا لتطوير الأحكام، ومن المعلوم ـ بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ـ أن الله سبحانه يعلم ما كان وما سيكون، ويعلم أحوال عباده في ماضيهم وفي حاضرهم وقت التنزيل، وفيما سيصلون إليه في المستقبل، كما قال ﷻ: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢]. كما أنَّ من المعلوم ـ أيضًا ـ بالنص والإجماع أن الله سبحانه حكيم عليم، وأنَّه الرحمن الرحيم لا يظلم ولا يجور، بل هو الحكيم العليم بأحوال عباده واللطيف بهم، وقد شَرَع لهم من الأحكام ما فيه صلاحهم ورحمتهم وإقامة العدل بينهم في المواريث وغيرها، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وهو العالم بأحوال عباده وما يصلحهم في آخر الزمان، كما أنه العالم سبحانه بما يصلحهم في وقت التشريع، ومن زعم خلاف ذلك فقد اتهم الله في حكمته وعلمه، ولو أراد سبحانه أن يقوم الحكام أو العلماء بتطوير الأحكام في وقت من الأوقات، لِبُيِّن ذلك لعباده في كتابه أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام.

فلما لم يقع شيء من ذلك عُلِمَ أن ما شرعه من الأحكام يجب الأخذ به والسير عليه، والحكم به في وقت التشريع وفيما يأتي من الزمان إلى قيام الساعة، كيف وقد بيّن الله في كتابه أنَّ الواجب اتباع ما أنزل، والاستمساك به، والحكم بين

الناس بذلك، والحذر من الخروج عنه، فقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الزخرف: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]. وقال تعالى يخاطب نبيه ﷺ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠].

وقد أوجب سبحانه في هذه الآيات الكريمات الحكم بما أنزل، والحذر من مخالفته، كما حذر سبحانه من متابعة أهواء الناس في خلاف الحق، وأخبر أنَّ حكمه هو أحسن الأحكام، وأنَّه لا حكم أحسن منه، وبين أن ما خالف حكمه فهو من حكم الجاهلية، وبيَّن في آية أخرى أن ما خالف حكمه فهو من حكم الطاغوت، كما في قوله ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠-٦١]، ففي هذا أعظم بيان لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أنَّ كل ما خالف ما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ من الأحكام فهو من حكم الطاغوت، ومن عمل المنافقين، وأنَّه في غاية البعد عن الهدى، وحكم سبحانه في آيات على أنَّ من لم يحكم بما أنزل على نبيه ﷺ فهو كافر ظالم فاسق، وأخبر تعالى ـ في موضع آخر من كتابه ـ أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون له الخيرة من أمرهم، فقال ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فهل يجوز ـ بعد هذا البيان العظيم والتحذير الشديد ـ لحاكم أو عالم أو غيرهما أن يخالف ما أنزل الله وحكم به في المواريث أو غيرها، وهل يجوز له أن يدعو الحكام إلى تطوير الأحكام باجتهادهم وآرائهم، كلما تطورت الشعوب والمجتمعات،وهل هذا إلا الكفر والضلال والاعتراض على الله سبحانه واتهامه في حكمه، والخروج عن شريعته والتلاعب بدينه.

ما أشنع هذا القول، وما أشد بعده عن الحق، وما أعظم كفر من استجازه أو استحسنه، أو دعا إليه، ثم يُقال ـ أيضًا ـ لهذا الرجل وأمثاله: قد أجمع علماء المسلمين ـ من عهد الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا ـ على أنَّ الاجتهاد محله المسائل الفرعية التي لا نص فيها، أما العقيدة والأحكام التي فيها نص صريح من الكتاب، أو السنة الصحيحة، فليست محلا للاجتهاد، بل الواجب على الجميع الأخذ بالنص، وترك ما خالفه، وقد نصَّ العلماء على ذلك في كل مذهب من المذاهب المتبعة، ثم الاجتهاد ـ حيث جاز ـ إنما يكون من أهل العلم بكتاب الله

وسنة رسوله ﷺ الذين لهم قدمٌ راسخ في معرفة أصول الأدلة الشرعية وأصول الفقه والحديث ولهم باع واسع في معرفة اللغة العربية، وليس ذلك لغيرهم من الحكام؛ لأنه ليس كلّ حاكم يكون عالمًا يصح منه الاجتهاد، كما أنه ليس كلَّ حاكم ـ سواء كان ملكًا أو رئيس جمهورية ـ يُسمى أمير المؤمنين، وإنما أمير المؤمنين من يحكم بينهم بشرع الله ويُلْزِمُهم به، ويمنعهم من مخالفته، هذا هو المعلوم بين علماء الإسلام والمعروف بينهم، فليعلم من يقول بمثل هذا القول هذا الأمر على حقيقته، وليبادر بالتوبة إلى الله مما نسب إليه، وليرجع إلى طريق الهدى، فالرجوع إلى الحق شرف وفضيلة، بل واجب وفريضة، أما التمادي في الباطل فهو ذل وهوان واستكبار عن الحق وسير في ركاب الشيطان، والله سبحانه يتوب على التائبين، ويغفر زلات المذنبين إذا صدقوا في التوبة إليه، كما قال الله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال في حق النصارى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال النبي ﷺ فيما صح عنه: "الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها"، والله المستعان، وهو سبحانه ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

تنبيه هام:

قد عُلِم بالأدلة الكثيرة ـ من الكتاب والسنة وبإجماع العلماء ـ أنَّ الله سبحانه حكيم عليم في كل ما شرعه لعباده، كما أنَّه حكيم عليم في كل ما قضاه وقدَّره عليهم، ولذلك أكثر في كتابه العزيز من ذكر حكمته وعلمه ليعلم العقلاء من عباده أنه سبحانه عليم حكيم في كل ما قدَّر وشرع، فتطمئن قلوبهم للإيمان بذلك وتنشرح صدورهم للعمل بشريعته وحكمه، ولهذا ـ لما ذكر سبحانه ميراث الأولاد والأبوين، وتفضيل الذكر على الأنثى ـ ختم ذلك بقوله سبحانه:

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١]، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنَّه العالم بأحوال عباده، أما العباد فلا يدرون أي أقاربهم أقرب نفعا لهم، وبين سبحانه أن تفصيل هذه المواريث صدر عن علم وحكمة، لا عن جهل وعبث، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ثم ختم ما ذكره من ميراث الزوجين، وتفضيل الزوج على الزوجة، وما ذكره من ميراث الإخوة من الأم، والمساواة بينهم، بقوله سبحانه: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢]. كما ختم تفضيله الذكر على الأنثى في ميراث الإخوة للأبوين أو لأب بالعلم، فقال: ﴿ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النساء: ١٧٦]. فبين بذلك أنه فصَّل هذه المواريث عن علم بأحوال عباده، وما هو لائق بهم، وأنه حليم لا يعاجل من عصى بالعقوبة لعله يندم ويتوب، ثم أخبر ﷻ بعد ما ذكر أحكام المواريث أن ذلك من حدوده، وتوعد من تعداها فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

ثم يقال لهذا الرجل وأمثاله: إنَّ مساواة المرأة بالرجل في كل شيء لا يُقِرُّه شرع ولا عقل صحيح، لأنَّ الله سبحانه قد فاوت بينهما في الخلقة والعقل وفي أحكام كثيرة، وجعل الرجل أفضل منها، وقوَّامًا عليها؛ لكونه يتحمل من المشاق والأعمال ما لا تتحمله المرآة ـ غالبًا ـ ولأنَّ عقله أكمل من عقلها ـ غالبًا ـ ولذلك جعله الله سبحانه قائما عليها حتى يصونها، ويحفظها مما يضرها ويدنس عرضها،

وجعل شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل، لكونه أكمل عقلاً وحفظًا منها، وخصها سبحانه بأن تكون حرثًا للرجل ومحل الحمل، والولادة والرضاع، فهي - في هذه الأحوال - مطالبة بأمور لا يطالب بها الرجل، وهي في نفس الوقت تعجز عن الأعمال التي يقوم بها الرجل؛ لأنّ حَمْلها وولادتها وما أوجب الله عليها من العناية بأطفالها وتربيتهم وإرضاعهم عند ضرورتهم إلى إرضاعها لهم، يمنعها من الكثير من الأعمال، ولأنَّ الرجل في حاجة شديدة إلى بقاء المرأة في البيت لتربية أطفالها والعناية بشؤون بيتها، وإعداد ما يحتاجه زوجها - في الغالب، وليس كل أحد يجد من يقوم مقام زوجته، في العناية بهذه الشؤون، ثم المرأة هي موضع طمع الرجال للاستمتاع بها، وقضاء وطرهم الجنسي منها، فهي في أشد الحاجة إلى من يحميها من الرجال ويقف سدًا منيعًا دون عبث السفهاء بها.

أما ما ذكر من اختلاطها بالرجال، في المدرسة والمعمل والشرطة وغير ذلك، فليس أمرًا جائزًا على إطلاقه، بل فيه تفصيل، وهو أنَّه لا يجوز لها ذلك إلا في حدود الشريعة، حيث تأمن على نفسها وعرضها، وتتمكن من الحجاب الشرعي، وحيث تسلم من خلوة الرجل بها؛ لقول النبي ﷺ: "ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما"، لقوله ﷺ: "لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم"، ولأن الله سبحانه قد جعل الرجال قوامين على النساء بما فضلهم الله به عليهن في الخَلْق والخُلُق والعقل - كما تقدم - وبما ينفقونه من الأموال عليهن، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤] فأطلق سبحانه في هذه الآية قيام الرجال على النساء، ولم يخص ذلك بوقت دون وقت، وهو سبحانه يعلم ما يكون في آخر الزمان، فلو كان الحكم يتغير لبين ذلك سبحانه ولم يهمله،

أو لبينه رسوله ﷺ في سنته، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن قيام الرجال على النساء حكم مستمر إلى يوم القيامة، وقد علم كل من له أدنى بصيرة بأحوال العالم الحاضر، ما قد ترتب على اختلاط المرأة بالرجل في المدرسة والعمل وغيرهما، من الفساد الكبير، والشر العظيم والعواقب الوخيمة، وكل ذلك يبين فضل ما جاءت به الشريعة، وأنَّ الواجب هو الالتزام بأحكامها في جميع الأحوال، وفي كل زمان ومكان، والحذر من خلافها، ومما ينبغي أن يعلم أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس، ولا يلزم من ذلك أن يكون كل فرد من أفراد الرجال أفضل من كل واحدة من أفراد النساء، بل قد يكون بعض النساء، أفضل من بعض الرجال من وجوه كثيرة - كما هو معلوم من النقل والواقع في كل زمن - فعائشة وخديجة وحفصة، وغيرهن من أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن جميعًا - أفضل من كثير من الرجال وهكذا في كل زمان يوجد في النساء من تفوق بعض الرجال، في عملها وعقلها ودينها، ولكن ذلك لا يلزم من مساواة المرأة للرجل في كل شيء، كما لا يلزم منه الدعوة إلى مساواتها في الميراث والأحكام، وقد سبق فيما ذكرنا من الأدلة عند الكلام على قصة عصا موسى وأهل الكهف، أنَّ الواجب على جميع المكلفين هو الإيمان بالكتاب المنزل، والخضوع له والتصديق به، والعمل بمقتضاه، وأنه لا يجوز رده أو بعضه، أو التكذيب بشيء منه؛ لأنَّ الله سبحانه هو أصدق قيلا من خلقه، وهو العالم بأحوال عباده وما يصلحهم، ولأنَّه سبحانه أمر باتباع الكتاب المنزل ولم يجعل لعباده الخير في رد شيء منه، ولأنَّ الرسول ﷺ هو أصدق الخلق وأكملهم عقلاً وأزكاهم نفسًا، وهو الأمين على وحيه سبحانه، وقد أخبر ﷺ أنَّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد بلغ كلام ربه كما

أنزل، وبلَّغ شريعته كما أُمِرَ بذلك فلا يجوز لأحد بعد ذلك مخالفة المنزَّل، أو تغيير المشروع برأي أو اجتهاد. وقد أجمع العلماء كافة على أنَّه لا يجوز لأحد التكذيب بشيء مما أنزل الله أو دفعه، وعدم الرضى به أو العدول عما شرع، وذكروا أن ذلك كفر صريح، ورِدة عن الإسلام؛ لما سبق من الأدلة، ولقوله سبحانه في هذا المعنى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩]. وقد سبق ما نقله الإمام الكبير إسحاق بن راهويه، والقاضي عياض بن موسى، وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهم الله ـ من إجماع العلماء على ما ذكرنا فراجعه تجد ما يشفي ويكفي.

وأما الاعتراض على تعدد الزوجات وتأييد الحجر على بعض الناس بالجمع بين زوجتين فأكثر، والزعم بأنَّه فعل ذلك بالاجتهاد في مفهوم قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣]، فجوابه أن يقال: هذا من الغلط الكبير، والجهل العظيم؛ لأنَّه ليس لأحد من الناس أن يُفسِّر كتاب الله بما يخالف ما فسره به رسوله محمد ﷺ أو فسره به أصحابه ﷺ أو أجمع عليه المسلمون؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو أعلم الناس بتفسير كتاب الله، وأنصحهم لله ولعباده، وقد أباح الجمع لنفسه ولأمته، وأمر بالعدل بين النساء، وحذر الرجال من الميل، وهكذا أصحابه ﷺ هم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بتفسير كتاب الله ﷻ، كما أنَّهم أعلم الناس بسنته، وهم أنصح الناس للناس بعد الأنبياء، ولم يقل أحد منهم بتحريم الجمع، فكيف يجوز ـ بعد ذلك ـ لحاكم أو عالم أو أي شخص مهما كان أن يقدم على خلافهم، وأن يقول على الله خلاف ما علموه من شرع الله وأجمع عليه العلماء بعدهم، هذا من أبطل الباطل، ومن أقبح الكفر والضلال، ومن أعظم الجرأة على

كتاب الله وعلى أحكام شريعته بغير حق، ثمَّ إن من تأمل ما شرعه الله سبحانه، من إباحة التعدد، عُلِمَ أن في ذلك مصالح كثيرة، للرجال والنساء وللمجتمع نفسه ـ كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله ـ وعلم أيضًا أن ذلك من محاسن الشريعة الإسلامية التي بعث الله بها رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة، وجعلها مشتملة على ما فيه صلاحهم وسعادتهم في المعاش والمعاد، واتضح له من ذلك ـ أيضًا ـ أن إباحة التعدد من كمال إحسان الله لعباده ولطفه بهم، وله فيه الحكمة البالغة لمن تدبر هذا المقام، وعقل عن الله شرعه وأحكامه، وما ذلك إلا لأنَّ المرأة عرضة لأشياء كثيرة منها المرض والعقم وغير ذلك، فلو حُرِّم التعدد لكان الزوج بين أمرين، إذا كانت زوجته عاقرًا أو كبيرة السن، أو قَدْ طال بها المرض هو في حاجة إلى من يعفه ويصونه ويعينه على حاجاته، أو في حاجة إلى الولد أو غير ذلك، فإمَّا أن يطلقها ـ وذلك مضرة عليه وعليها ـ وإما أن يبقيها في عصمته فيحصل له بذلك الضرر والتعب الكثير، والتعرض لما حرم الله من الفاحشة، وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى على المتأمل، وكلا الأمرين شر لا يرضى بهما عاقل، وقد يكون الرجل ـ أيضًا ـ لا تعفه المرأة الواحدة فيحتاج إلى ثانية أو أكثر، ليعف نفسه عما حرم الله، وقد تكون المرأة التي لديه قليلة النسل، وإن لم تكن عاقرًا فيحتاج إلى زوجة ثانية، أو أكثر لطلب تكثير النسل الذي حثَّ عليه النبي ﷺ ورغب فيه الأمة، وقد تكون المرأة عاجزة عن الكسب، وليس لها من يقوم عليها ويصونها فتحتاج إلى زوج يقوم عليها ويعفها، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة للرجل والمرأة وللمجتمع نفسه في تعدد الزوجات، وقد تكثر النساء بسبب الحرب أو غيرها، فيقل من يقوم عليهن، فيحتجن إلى زوج يعفهن ويرعى مصالحهن

ويحصل لهن بسبب الولد الشرعي، وقد علمت ـ مما ذكرنا سابقًا ـ أنَّ الله سبحانه، هو الحكيم العليم في كل ما قضاه وقدره، فلا يجوز لأحد ـ كائنا من كان ـ أن يعترض عليه في حكمه، أو يتهمه في شرعه، كما أنَّه لا يجوز لأحد أنَّ يزعم أنَّ غير حكم الله أحسن من حكمه، أو أنَّ غير هدي الرسول ﷺ أحسن من هديه، كما قال ﷻ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وكان النبي ﷺ يقول في خطبه: "أمَّا بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة".

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وقد كان بعض أهل الجاهلية يجمعون بين العدد الكثير من النساء، فجاء الإسلام وقصرهم على أربع، كما في قصة غيلان بن سلمة ﷺ فإنه أسلم وتحته عشر نسوة، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعًا ويفارق سائرهن، وثبت عن النبي ﷺ ما يدل على أنَّ الله سبحانه أباح لنبييه الكريمين داود وسليمان عليهما السلام أكثر من أربع، فجاءت الشريعة الإسلامية المحمدية الكاملة العامة لجميع البشر على يد أفضل الخلق وخاتم الرسل - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - بأمر وسط يجمع المصالح كلها، وهو إباحة الجمع بين أربع من النساء، ومنع ما زاد على ذلك، وقد أجمع العلماء - رحمهم الله - على إباحة الجمع بين أربع ـ كما تقدم ـ وأجمعوا ـ أيضًا ـ على تحريم ما زاد على ذلك، وقدَ شذَّ عنهم في جواز الزيادة على ذلك من لا يُعتَّد بخلافه، ما عدا النبي ﷺ فإنَّ الله خصَّه بخصائص، منها جواز الجمع بين تسع نسوة، لأسباب وحِكم كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، ومن تأمل حال من أنكر التعدد، كالنصارى وأشباههم علم من واقع الكثير منهم أنَّهم وقعوا فيما حرم الله من الزنا، واتخذوا

الخدنات الكثيرات، فاعتاضوا الحرام عن الحلال، والخبيث عن الطيب، وشابهوا من قال الله فيهم: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١]. ومعلوم أن الرسول ﷺ هو أعلم الناس بتفسير كتاب الله، وقد فسر قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣] بأنَّ المراد من ذلك إباحة الجمع بين أربع من النساء فأقل، دون ما زاد عن ذلك، وهكذا أصحابه ﷺ لم يحفظ أن أحدًا منهم أنكر الجمع بين أربع أو نكح أكثر من أربع، وهم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بتفسير كتاب الله، كما أنَّهم أعلم الناس بسنته ﷺ كما سبق بيانه، وفي ذلك كفاية ومقنع لطالب الحق، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

وأما المنكر السادس من المنكرات الستة التي ذُكِرَتْ، وهو الزعم أنَّ المسلمين في إكثارهم من الصلاة على رسول الله ﷺ قد ألّهوه بذلك، فجوابه أن هذا ليس من التأليه لرسول الله ﷺ والعبادة له، بل ذلك عبادة لله وحده، وامتثال لأمره ﷻ حيث قال في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فقد أخبر سبحانه أنَّه وملائكته يصلون على النبي ﷺ ثم أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فدلَّ ذلك على شرعيه الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ، وأنَّ ذلك من أفضل القربات، وقد أجمع علماء الإسلام على ذلك وصح عنه ﷺ أنَّه أمر بذلك ورغب فيه فقال: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنَّه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له

الشفاعة"، وفي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن كعب ابن عُجْرة ﷺ أنَّ الصحابة ﷺ قالوا: يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟، فقال: "قولوا اللهم صل علي محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. والصلاة من الله سبحانه معناها: الثناء على عبده في الملأ الأعلى، بذكر صفاته الحميدة، وأعماله الجليلة، ومن العباد طلبهم ذلك من الله سبحانه، ويراد بالصلاة ـ أيضًا ـ الثناء من الله سبحانه على عباده ورحمته إياهم، كما في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]. وهذه المسألة من أوضح المسائل لصغار طلبة العلم وعامة المسلمين، فكيف خفي هذا على هذا القائل؟ فالله المستعان.

فإن قيل: إذا كان الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ ليس تأليهًا له، فما هو التأليه للرسول ﷺ والعبادة له؟، قلنا: إنَّ التأليه للرسول ﷺ ولكثير ممن يُسمون بالأولياء وغيرهم واقع من كثير من الجهال، ومنتشر في أنحاء الأرض، يعلم ذلك من خَبَرَ واقع الناس، وعرف دين الله الذي بَعَث به رسله وأنزل به كتبه، وخلق الثقلين من أجله، وهذا التأليه الذي وقع من كثير من الجهال، وهو صرف بعض العبادة للنبي ﷺ أو لغيره من المخلوقين، كدعائه والاستغاثة به، وطلبه المدد والشفاء للمرضى، والنصر على الأعداء، ونحو ذلك من أنواع العبادة، والله سبحانه أوجب على عباده أن يخصوه بالعبادة، ونهاهم عن الشرك به، وبعث الرسل وأنزل الكتب لبيانها وبيان ما يضادها، كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال سبحانه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [هود: ١-٢]. وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالله سبحانه هو الذي يشفي المرضى، وينصر على الأعداء، ويكشف الكروب ويجيب المضطر، وينزل المدد على عباده ـ إذا لجأوا إليه واستغاثوا به ـ كما قال سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٩-١٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]. وقال ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد عرف المشركون ذلك في جاهليتهم، فكانوا يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيُخلصون لله العبادة، كما قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. كما اعترفوا ـ أيضًا ـ أنَّ الله سبحانه هو الخالق الرزاق، النافع، الضار، وما عبدوا الملائكة والجن والأصنام والأوثان ـ إلا ليشفعوا لهم عند الله، وليقربوهم لديه زلفى، كما ذكر الله عنهم ذلك في كتابه المبين حيث قال ﷻ في سورة يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ

شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال في سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٢-٣].

ففي هذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة، الدالة الصريحة على أنَّ الله سبحانه هو الإله، المستحق للعبادة، وأنَّه لا يجوز تأليه غيره ولا صرف شيء من ذلك لسواه، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]. وقد أخبر في غير موضع من كتابه أنَّه حرَّم الشرك على عباده وأنَّه لا يغفر لمن لقيه به، كما أخبر أنَّ صرف شيء من العبادة لغيره شرك به وعبادة لسواه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦]. وقال ﷻ: في سورة المائدة: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] فبيَّن سبحانه في هذه الآية أنَّ دعاءهم غيره شرك به ﷻ كما أوضح سبحانه أنَّ ذلك من الكفر الأكبر فقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وأخبر ﷻ أنه لا أضل ممن دعاء غير الله وأن المدعوين من دونه - من الملائكة والأنبياء وغيرهم - يتبرؤون من عابديهم وداعيهم، وأنَّهم غافلون عن ذلك لا شعور لهم به، فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. وقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٨-٢٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة، وفيما ذكرناه منها كفاية ودلالة صريحة على أنَّ العبادة حق الله وحده، وأنَّه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه، فالواجب على أهل العلم أن يبينوا ذلك للناس، وأن يشرحوا لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ، ومن قبله من الرسل، وأن يُعلموهم ما جهلوا من ذلك، وأن يُحذروهم من الشرك بالله ﷻ، وعلى الحكام أن يُنفذوا أمر الله في عباده، ويمنعوهم من عبادة غيره، ومخالفة شريعته، على ما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ مستعينين بعلماء الحق على معرفة ما جهلوا من كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، وفي ذلك عزهم وشرفهم، ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"، وقال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، وقال ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، وفي الأثر المشهور عن عثمان ﷺ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب ﷺ - أيضًا -: (إنَّ

الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، وقال الإمام مالك ﷺ: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) وهذه الكلمة العظيمة هي قول جميع أهل العلم، والذي صلح به الأولون وصاروا به قادة الناس، وأئمة الهدى وحكام الأرض، هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ـ ورد ما تنازعوا فيه إليهما، لا إلى آراء الناس واجتهاداتهم، ولن يصلح آخرهم إلا بهذا الأمر الذي صلح به أولهم، فنسأل الله أن يوفق أئمة المسلمين وعلماء هم كذلك، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يصلح عامة المسلمين، ويمنَّ عليهم بالفقه في الدين، ويولي عليهم خيارهم، إنَّه جواد كريم))[1] .

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ١١٣-١٢٩].

الرد على مقال بصحيفة اليمامة يطعن في تعدد الزوجات

حكم الإسلام فيمن أنكر تعدد الزوجات

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اطلعت على ما نشرته صحيفة اليمامة في عددها الصادر في ١٨/ ٣/ ١٣٨٥هـ، تحت عنوان حول مشكلة الأسبوع، وقرأت ما كتبه الأستاذ ناصر بن عبدالله في حل مشكلة الأخت في الله م.ع.ل المنوه عنها في العدد الصادر في ١١/ ٣/ ١٣٨٥هـ تحت عنوان:

خذيني إلى النور

وقرأت أيضًا ما كتبه ابن السراة في حل المشكلة ذاتها فألفيت ما كتبه الأستاذ ناصر حلاً جيدًا مطابقًا للحق ينبغي للأخت صاحبة المشكلة أن تأخذ به وأن تلزم الأخلاق الفاضلة والأدب الصالح، والصبر الجميل، وبذلك تتغلب على جميع الصعوبات وتحمد العاقبة إن شاء الله.

وإذا كان الضرر الذي تشكو منه من جهة الزوج وعدم عدله فلتطلب منه إصلاح السيرة بلطف وإحسان وصبر جميل، وبذلك نرجو أن تدرك مطلوبها، وبقاؤها في البيت عنده أقرب إلى العدل إن شاء الله.

أمَّا إن كان الضرر من الضَّرة، فالواجب على الزوج أن يمنع ضرر الضرة أو يُسكن صاحبة المشكلة في بيت وحدها ويقوم بما يلزم لها من النفقة، وإيجاد مُؤنِسة إذا كانت لا تستطيع البقاء في البيت وحدها، والواجب عليه أنْ ينصف من نفسه، وأنْ يتحرى العدل ويبتعد عن جميع أنواع الضرر، فإن لم يقم بذلك، ولم تجد في

أقاربه وأصدقائه من يحل المشكلة، فليس أمامها سوى رفع أمره إلى المحكمة.

وينبغي لها قبل ذلك أن تتضرع إلى الله سبحانه وتسأله بصدقٍ أن يُفرِّج كربتها ويسهل أمرها، ويهدي زوجها وضرتها للحق والإنصاف.

وعليها أيضًا أن تحاسب نفسها، وأن تستقيم على طاعة ربها، وأن تتوب إليه سبحانه من تقصيرها في حقه وحق زوجها فإن العبد لا يصيبه مصيبة إلا بما كسب من سيئات، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وأما حل ابن السراة للمشكلة فهو حل صادر من جاهل بالشريعة وأحكامها وهو في أشد الحاجة إلى أن يُؤخذ إلى النور، ويُوجَّه إلى الحق؛ لأنَّه قد وقع فيما هو أشد خطورة وأكثر ظلمة مما وقعت فيه صاحبة المشكلة وما ذاك إلا لأنَّه عاب تعدد الزوجات، وزعم أنَّه داء خطير يجب أن نحاربه بكل وسيلة من شأنها الحد من تفشي هذا الداء العضال الذي يهدد استقرار مجتمعنا وأهاب بالحكومة إلى منعه.

وزعم أيضًا أن الذي يسعى في تعدد الزوجات جاهل يجب علينا أن نتعاون على الحيلولة دون رغباته الحيوانية، واستئصال هذا الداء من شأفته.

وزعم أيضًا أنَّه ما دخل التعدد في أسرة إلا وشتت شملها وأقضَّ مضجعها.. إلخ.

وقوله: هذا الكلام لا يصدر من شخص يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أنَّ الكتاب العزيز والسنة المطهرة جاءا بالتعدد وأجمع المسلمون على حله، فكيف يجوز لمسلم أن يعيب ما نص الكتاب العزيز على حِله بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا

طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣].

فقد شرع الله لعباده في هذه الآية أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء مثنى وثلاث ورباع بشرط العدل، وهذا الجاهل يزعم أنَّه داء خطير ومرض عُضال مُشتِّت للأسر ومقض للمضاجع يجب أن يحارب، ويزعم أن الراغب فيه مشبه للحيوان. وهذا كلام شنيع يقتضي التنقص لكل من جمع بين زوجتين فأكثر، وعلى رأسهم سيد الثقلين محمد ﷺ.

فقد جمع ﷺ بين تسع من النساء ونفع الله بهن الأمة وحملن إليها علومًا نافعة وأخلاقًا كريمة وآدابًا صالحة.

وكذلك النبيان الكريمان داود وسليمان عليهما السلام فقد جمعا بين عدد كثير من النساء بإذن الله وتشريعه، وجمع كثير من أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان، وفي تعدد النساء مع تحري العدل مصالح كثيرة وفوائد جمة:

منها: عفة الرجل وإعفافه عددًا من النساء.

منها: كفايته لهن وقيامه بمصالحهن.

ومنها: كثرة النسل الذي يترتب عليه كثرة الأمة وقوتها وكثرة من يعبد الله.

ومنها: مباهاة النبي ﷺ بهم الأمم يوم القيامة.

إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة التي يعرفُها من يُعظم الشريعة، وينظر في محاسنها وحكمها وأسرارها وشدة حاجة العباد إليها بعين الرضا والمحبة والتعظيم والبصيرة.

أما الجاهل الذي ينظر إلى الشريعة بمنظار أسود، وينظر إلى الغرب والشرق

بكل عينيه معظمًا مستحسنًا كل ما جاء منهما، فمثل هذا بعيد عن معرفة محاسن الشريعة وحكمها وفوائدها ورعايتها لمصالح العباد رجالاً ونساء.

وقد كان التعدد معروفًا في الأمم الماضية ذوات الحضارة، وفي الجاهلية بين العرب قبل الإسلام، فجاء الإسلام، وحدد من ذلك وقصر المسلمين على أربع، وأباح للرسول ﷺ أكثر من ذلك لحكم وأسرار ومصالح اقتضت تخصيصه ﷺ بالزيادة على أربع وقد قصره الله على تسع كما في سورة الأحزاب.

وقد ذكر علماء الإسلام أن تعدد الزوجات من محاسن الشريعة الإسلامية ومن رعايتها لمصالح المجتمع وعلاج مشاكله.

ولولا ضيق المجال، وخوف الإطالة لنقلت لك أيها القارئ شيئًا من كلامهم لتزداد علمًا وبصيرة.

وقد تنبه بعض أعداء الإسلام لهذا الأمر، واعترفوا بحسن ما جاءت به الشريعة في هذه المسألة رغم عداوتهم لها إقرارًا بالحق واضطرارًا للاعتراف به.

وأنا أنقل لك بعض ما أطلعت عليه من ذلك وإن كان في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام علماء الإسلام ما يشفي ويغني عن كلام كُتَّاب أعداء الإسلام، ولكن بعض الناس قد ينتفع من كلامهم أكثر مما ينتفع من كلام علماء الإسلام، بل أكثر مما ينتفع من الآيات والأحاديث وما ذاك إلا لما قد وقع في قلبه من تعظيم الغرب وما جاء عنه، فلذلك رأيت أن أذكر هنا بعض ما اطلعت عليه من كلام كُتَّاب وكاتبات الغرب.

قال في المنار جزء ٤ صفحة ٤٨٥ منه نقلاً عن جريدة (لندن ثروت) بقلم بعض الكتاب ما ترجمته ملخصًا (لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء، وحاد الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة تراني انظر إلى هاتيك البنات

وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحبًا، وماذا عسى يفيدهن بشيء حزني ووجعي وتفجعي وإن شاركني فيه الناس جميعًا، إذ لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة).

ولله در العالم (توس) فإنَّه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل للشفاء وهو الإباحة للرجل التزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الوساطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بامرأة واحدة، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة.

أي ظن وخرصٍ يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كَلًّا وعالة وعارًا في المجتمع الإنساني، فلو كان تعدد الزوجات مباحًا لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب والهوان، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن، فإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار. ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها، وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين).

ونقل في صفحة ٣٦٢ عن كاتبة أخرى أنَّها قالت: (لأن تشتغل بناتنا في البيوت كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة حيث الخادمة والرقيق تنعمان بأرغد عيش ويعاملان

كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، نعم إنَّه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال. فما بالنا لا نسعى وراءها بجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها)) أ.هـ.

وقال غيره: قال غوستاف لوبون: (إنَّ نظام تعدد الزوجات نظام حسن يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تمارسه، ويزيد الأسر ارتباطًا ويمنح المرأة احترامًا وسعادة لا تجدهما في أوربا).

ويقول برنارد شو الكاتب: (إنَّ أوربا ستضطر إلى الرجوع إلى الإسلام قبل نهاية القرن العشرين شاءت أم أبت).

هذا بعض ما اطلعت عليه من كلام أعداء الإسلام في محاسن الإسلام وتعدد الزوجات، وفيه عظة لكل ذي لب، والله المستعان.

أما حكم ابن السراة فلا شك أن الذي قاله في تعدد النساء تنقص للإسلام وعيب للشريعة الكاملة واستهزاء بها وبالرسول ﷺ، وذلك من نواقض الإسلام، فالواجب على ولاة الأمور استتابته عما قال فإن تاب وأعلن توبته في الصحيفة التي أعلن فيها ما أوجب كفره فالحمد لله.

ويجب مع ذلك أن يُؤدب بما يردعه وأمثاله، وإن لم يتب وجب أن يُقتل مرتدًا ويكون ماله فيئًا لبيت المال لا يرثه أقاربه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى في حق الكفرة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

فنَبَّه سبحانه عباده إلى أن من استهزأ بدينه، أو كره ما أنزل كفر وحبط عمله.

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟

رِضْوَانَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].

ولا ريب أنَّ ابن السراة قد كره ما أنزل الله من إباحة تعدد النساء، وعاب ذلك؛ وزعم أنه داء عضال فيدخل في حكم هذه الآيات، والأدلة على هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله أن يهدينا وسائر المسلمين لمحبة ما شرعه لعباده والتمسك به، والحذر مما خالفه، وأن ينصر دينه وحزبه، ويخذل الباطل وأهله إنَّه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ٢٢٩-٢٣٥].

الرد على صحيفة محلية تسخر من القرآن وأهله

حكم من يسخر من القرآن وأهله[1]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه:

أما بعد: فقد اطَّلعت على ما نشرته مجلة الدعوة في عددها الصادر في يوم الاثنين الموافق ٢٧/ ١/ ١٣٩٧هـ، تحت عنوان (صحيفة محلية تسخر من القرآن وأهله) ثم ذكرت تحت هذا العنوان ما نصه: (وطلعت علينا الصحيفة المشار إليها في عددها الصادر بتاريخ ٧/ ٤/ ١٣٩٦هـ لتسخر من القرآن وأهله ولتقول ما نصه:

(والرجال يعتقدون أن المرأة كائن آخر، والمرأة في تعبيرهم ناقصة عقل ودين وهم يعتقدون أن الرجال قوامون على النساء) انتهى ما نقلته مجلة الدعوة.

ولقد دُهِشت لهذا المقال الشنيع واستغربت جدًّا صدور ذلك في مهبط الوحي وتحت سمع وبصر دولة إسلامية تُحكِّم الشريعة وتدعوا إليها، وعجبت كثيرًا من جرأة القائمين على هذه الجريدة حتى نشروا هذا المقال الذي هو غاية في الكفر والضلال، والاستهزاء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والطعن فيهما، وليس هذا ببدع من القائمين على هذه الصحيفة، فقد عُرِفَتْ بنشر المقالات الداعية إلى الفساد والإلحاد والضرر العظيم على المجتمع، كما عرفت بالحقد على علماء الإسلام والاستطالة في أعراضهم والكذب عليهم، لأنَّه ليس لدى القائمين عليها وازع إيماني ولم تردع بوازع سلطاني، فلهذا أقدَمتْ على ما أقدَمتْ عليه من الكفر

(١) مقال لسماحة الشيخ نشر بمجلة الجامعة الإسلامية.

والضلال في هذا المقال الذي لا يقوله، ولا ينشره من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يقوله وينشره من يحترم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ولمزيد التثبت والرغبة في الوقوف على أصل المقال ومعرفة من قالها، طلبت الصحيفة المذكورة المنشور فيها هذا المقال، فأُحْضِرت لي، فألفيتها قد نشرت ما نقلته عنها مجلة الدعوة حرفيًا ونسبت ذلك إلى من سمت نفسها (أمل بنت فلان) ولم تُعلِّق الصحيفة شيئًا في إنكار هذا المقال فَعُلِم بذلك رضاها به وموافقتها عليه. ومعلوم أنَّ الذي جعل الرجال قوامين على النساء هو الله ﷻ في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

فالطعن في قوامة الرجال على النساء اعتراض على الله سبحانه وطعن في كتابه الكريم وفي شريعته الحكيمة وذلك كفر أكبر بإجماع علماء الإسلام كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم القاضي عياض في كتابه (الشفاء)، كما أنَّ الذي وصف النساء بنقصان العقل والدين هو النبي ﷺ وذكر عليه الصلاة والسلام أن من نقصان عقلها أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد، وذكر أنَّ من نقص دينها أنَّها تمكث الليالي والأيام لا تصلي وتفطر في رمضان بسبب الحيض، وإن كان هذا النقصان ليس عليها فيه إثم.

ولكنه نقصان ثابت معقول لا شك فيه ولا اعتراض على الرسول ﷺ في ذلك، لأنَّه أصدق الناس فيما يقول وأعلمهم بشرع الله وأحوال عباده. فالطاعن عليه في ذلك طاعن في نبوته ورسالته، ومعترِض على الله سبحانه في تشريعه؛

وذلك كفر وضلال لا ينازع فيه أحد من أهل العلم والإيمان، والأدلة النقلية والعقلية والشواهد من الواقع ومن معرفة ما جبل الله عليه المرأة وميزها به عن الرجل، كل ذلك يؤيد ما أخبر الله سبحانه من قوامة الرجال على النساء وفضلهم عليهن، وما أخبر به النبي ﷺ من نقصان عقل المرأة ودينها بالنسبة إلى الرجل، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون كل فرد من أفراد الرجال أفضل ولا أعقل من كل فرد من أفراد النساء، وكم من امرأة أفضل وأعلم وأعقل من بعض الرجال، وإنما المراد تفضيل الجنس على الجنس وبيان أنَّ هذا أكمل من هذا والأدلة القطعية شاهدة بذلك كما سبق، وقد اتضح من كلام صاحبة المقال - أمل المذكورة - أنها أرادت من طعنها على قوامة الرجال على النساء، ومن اعتراضها على نقصهن في العقل والدين أنَّ ذلك يسبب انقسام المجتمع وعدم ترابطه وتعاونه وذلك يؤيد ما ذكرنا آنفًا من كون المقصود بالمقال المذكور هو الطعن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتهامهما بأنَّهما سبب التخلف وانقسام المجتمع وعدم تعاونه، ولا شك أنَّ هذا من أوضح الكذب وأبطل الباطل، وليس في اعتقاد ما دل عليه كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ من قوامة الرجال على النساء ونقص عقول النساء ودينهن ما يوجب الضرر على المجتمع الإسلامي وانقسامه وعدم ترابطه وتعاونه، بل ذلك من تزيين الشيطان وإيحائه إلى أوليائه من الجهال والمشركين ومن سار في ركابهم، كما أنَّه لا يلزم من ذلك إهدار المرأة من حساب المجتمع ولا إعفاؤها من المشاركة فيما يصلح المجتمع وغير ذلك من الأمور الواجبة على الجميع، بل هي مأمورة بذلك ومفروض عليها القيام بما تستطيع في هذا السبيل، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد قَبِلَ النبي ﷺ مشورة أم سلمة يوم الحديبية وحصل بذلك نفع كبير؛ وقصة خديجة ﵂ في بدء الوحي وما حصل بها من الخير الكثير والتفريج عن النبي ﷺ معروفة لدى أهل العلم، والوقائع من هذا النوع في التاريخ الإسلامي كثيرة.

وإنَّه لعجب عظيم أن يجترئ أصحاب هذه الصحيفة على نشر هذا المقال مع انتسابهم للإسلام وقبضهم المعونات السخية من دولة الإسلام لتشجيع صحيفتهم واستمرار صدورها، ولكن لا عجب في الحقيقة فقد صح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت" وفي الأمثال السائرة المتداولة: (من أمن العقاب أساء الأدب) وقد روي عن عمر وعثمان ﵄ أنَّهما قالا: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، وإنَّ هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود، واجترأت على محاربة الدين، والطعن فيه بهذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها، ولا يحل لوزارة الإعلام ولا للحكومة الإغضاء عنها بل يجب قطعًا معاقبتها معاقبة ظاهرة بإيقافها عن الصدور ومحاكمة صاحبة المقال والمسئول عن تحرير الصحيفة وتأديبهما تأديبًا رادعًا واستتابتها عما حصل منها؛ لأنَّ هذا المقال يعتبر من نواقض الإسلام ويوجب كفر وردة من

قاله أو اعتقده أو رضي به لقول الله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. فإن تابا وإلا وجب قتلهما لكفرهما وردتهما، ولا يخفى على ذوي العلم والإيمان أنَّ هذا الإجراء من أهم الواجبات، لما فيه من الحماية لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وشريعة الله الكاملة، ولما في ذلك أيضًا من ردع كل من تُسوِّل له نفسه أن يفعل ما فعلته هذه الصحيفة ويجترئ على ما اجترأت عليه.

وصلي الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ١٦٥-١٦٩].

الرد على صحيفة المساء المصرية في استهزائها بالرسول ﷺ وتنقصه حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة السلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئًا مما حرمه[(١)]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله..

لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة (صوت الإسلام) بالقاهرة نقلاً عن صحيفة (المساء) المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجناب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا: محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات، وهو الديك، لا يشك مسلمٌ أنَّ هذا التمثيل كفر بواح، وإلحاد سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها لجرأةٌ تُحزِن كل مسلم، وتُدمي قلب كل مؤمن، وتُوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب الله الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب الله المبين، وشرعه الحكيم، قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، وقد أَجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه

---

(١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي نشر بمجلة الجامعة الإسلامية.

أو شيء من الدين، وأجمعوا على أنَّ من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام يجب قتله؛ لقول الرسول ﷺ: "من بدلَّ دينه فاقتلوه".

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه ـ أنَّ الاستهزاء تنقصٌ واحتقارٌ للمستهزأ به، والله سبحانه له صفة الكمال، كتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله ﷻ، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم، وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه ـ فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ونفاق سافر، وعداء لرب العالمين، وكفر برسوله الأمين.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم ﷺ أو تنقصه، وعلى وجوب قتله.

قال الإمام أبوبكر بن المنذر رحمه الله: (أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي) انتهى.

وقوله: (عوام): جمع عامة، والعامة هنا بمعنى: الجماعة، فمراده رحمه الله: أنَّ جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ.

ولا شك أنَّ السب يتنوع أنواعًا كثيرة، ولا ريب أنَّ الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقصه وتمثيله بحيوان حقير ـ من أقبح السب ـ، وأعظم التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرًا حلال الدم والمال.

وقال القاضي عياض رحمه الله: (أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه) انتهى.

وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية: (أجمع العلماء على أنَّ شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر) انتهى.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله بعدما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: [الصارم المسلول على شاتم الرسول] ما نصه: وتحرير القول فيه: أنَّ الساب إن كان مسلمًا أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله يقول: من شتم الرسول ﷺ أو انتقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب. انتهى.

وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق.

ولقد وُفِقَتَ صحيفة (صوت الإسلام) القاهرية في ردها على جريدة (المساء) المصرية ما اقترفته من المحاربة للإسلام ومن الجرم الفظيع والمنكر الشنيع في حق المصطفى ﷺ وشريعته بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد عطية خميس، ولقد أحسن فضيلته إحسانًا عظيمًا حيث أنكر ما فعلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء السافر بسيد عباد الله وأفضل رسول، واحتج على حكام مصر وطالبهم بوضح حد لهذه الفتنة.

وإلى القراء بعض كلمته، قال وفقه الله بعد كلام سبق في رد مقالات شنيعة كتبتها بعض الصحف المأجورة ما نصه:

((فلا عجب بعد كل هذا أن يجترئ صحفي من صحفيي جريدة (المساء) ليُعرِّض برسول الله ﷺ في صورة كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير

الماضي، فيرسم شخصًا له جسم الديك، ويقول تحت هذه الصورة (اهوه ده يا سيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع) بمثل هذا الخبث تنشر مثل هذه الصورة التي تُعرِّض برسول الله ﷺ وبشريعة الإسلام.

مَنْ الذي تزوج تسعًا غير رسول الله ﷺ؟ أيصل الأمر إلى أن ينشر مثل هذا الرسم في جريدة يومية يشرف عليها الاتحاد القومي، وتصل السخرية والتريقة على شخص رسول الله ﷺ وأن يقال عنه: (محمد أفندي) ويرمز إليه بمثل هذا الرمز، لماذا اختار المحرر أو الرسام (محمد أفندي) بالذات، ولم يختر (علي أفندي)، أو (سعيد أفندي)، أو أي اسم آخر؟! ولماذا حدد العدد بتسع بالذات؟! ولم يحدد بسبع أو عشر أو اثني عشر؟! إنَّ خبث الرسَّام ظاهر واضح ولا يحتاج إلى تأويل والتماس عذر له، إنَّ مثل هذا الرسم لو نُشِر في أية صحيفة إنجليزية أو أمريكية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية لقامت الدنيا وقعدت، ولاتخذت سلاحًا بتارًا للدعاية والتشهير، أما أنْ ينشر في جريدة من جرائد هذه الأمة فتغمض عنها الأعين وتمر بها مرورًا عابرًا، ومن المؤسف المؤلم أن يحدث هذا في صحافتنا في الوقت الذي يعمل فيه الأعداء أكثر من حساب لمشاعرنا نحن المسلمين، فأمريكا وإيطاليا يريدان إنتاج فيلم عن رسول الله ﷺ فإذا بهم يلجأون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية لياخذوا رأيها وموافقتها في كل ما يتعلق بهذا الفيلم من حوار وسيناريو وخلافه، وكان باستطاعة هاتين الدولتين أن تخرجا الفيلم كما تشاءان وعلى النحو الذي يتفق مع روحهما العدائية لنا، هذا ما يحدث من أعدائنا، وهذا ما يحدث من أبناء أمتنا. إلى متى يسكت المسؤولون عن هذه الصحافة؟ وإلى متى نسكت نحن أبناء هذه الأمة؟ هل ننظر إلى أن يلجأ هؤلاء الخونة والمفسدون إلى التصريح بدلاً من التلميح؟ أننتظر إلى أن يسخر من إسلامنا في الشوارع والطرقات؟ والله إنها

لفتنة سوداء يوقدها هؤلاء الجهلاء المأجورون تنذر بالخطر الفادح إن لم يوضع لها حد، فإننا لن نستطيع أن نسكت بعد هذا على هذا التمادي في محاربة الإسلام والأخلاق وفي التعريض برسول الله ﷺ وشريعته، فالأمة لا تزال مُعتزة بدينها غيورة على رسولها، فإن أرادت هذه الصحافة الماجنة أن تعلنها حربًا فلتعلنها كما تريد، ولكن لن نقف مكتوفي الأيدي..

وكفى! فإسلامنا هو وطننا ولا وطن لنا غيره، وإسلامنا هو روحنا ولا حياة لنا بسواه، وإسلامنا هو رزقنا، ولا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه، وإسلامنا هو كل شيء في الوجود بالنسبة لنا، وأقول هذا باسم أكثر من عشرين مليون[1] مسلم من أبناء هذا الشعب العزيز، ونحن في انتظار بيان رسمي من الاتحاد القومي، وما صنعه مع جريدة (المساء) ورسامها والمسؤولين عنها، ومع صحافتنا على العموم حتى نطمئن إلى مستقبل ديننا، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين)) انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس.

ولقد أجاد وأفاد، وصدع بالحق، فجزاه الله عن ذلك خيرًا وزاده من الهدى والتوفيق، وكثر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللئام، والحمد لله الذي أوجد في مصر من ينطق بالحق ويصدع بالرد على من حاد عنه، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنَّ بالزوايا خبايا، وأنَّ في الرجال بقايا، ولا شك أنَّ ذلك من حفظ الله لدينه وحمايته لخاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد ﷺ، ولقد أخبر الله سبحانه في كتابه المجيد عن أعدائه من الكفار والمنافقين أنهم يسخرون بالمرسلين والمؤمنين، ويضحكون منهم، فلا غرابة أن سلك القائمون

---

(١) كان هذا العدد للشعب المصري في ذلك الوقت، والآن قد تجاوز ثمانين مليونا.

على صحيفة المساء مسلك أئمتهم من المشركين والمنافقين وساروا على منهاجهم الوخيم، وطريقهم الذميم: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١١]، وقال جلا وعلا عن رسوله نوح وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨-٣٩]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ففي هذه الآيات المحكمات والبراهين البينات دلالة ظاهرة وحجج قاهرة على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين، ومن عدائهم السافر وكفرهم الظاهر.

ولقد تخلّق بعض القائمين على صحف القاهرة في هذا العصر بأخلاقهم وساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم، فلهم حكمهم في الدنيا والآخرة، وقد ثبت عن المصطفى ﷺ أنّه قال: "من تشبّه بقوم فهو منهم"، فليس من شك عند كل من له أدنى مسكة من علم وهدى أنّ من شبّه الرسول ﷺ بشيء من الحيوانات الحقيرة فقد تنقصه واحتقره، ومن فعل ذلك أو رضيه من حاكم أو صحفي أو غيرهما فهو كافر ملحد حلال الدم والمال.

وهنا أمر عظيم ينبغي التنبيه له، **هو أن يُقال**: ما السر في تشبيه صحيفة (المساء) القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقية الحيوانات، إنه ظاهر لمن تأمله، إنه الجحود لنبوته والإنكار لرسالته ورميه بأنه ثائر شهواني ليس له هم إلا إشباع نهمته من النساء، وهذا إمعان في الكفر، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجناب العظيم، والمقام الرفيع، لعن الله من تنقصه أو رماه بما هو براء منه، وقاتل الله صحيفة (المساء) القاهرية، والقائمين عليها، الراضين بهذا الاستهزاء، فما أعظم ما اجترؤوا عليه من الباطل، وما أقبح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء، ولقد صان اللهُ رسولَه ﷺ وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون، فقد كان أعف الناس وأنصحهم لله ولعباده وأرفعهم قدرًا وأشرفهم نفسًا وأشدهم صبرًا وأقومهم بحق الله وتبليغ رسالته، وأخشاهم لله وأتقاهم له، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم، أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ، وإنما تزوج النساء كسنة من قبله من المرسلين، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وفي تزوجه ﷺ بتسع من النساء حكم كثيرة، وأسرار بديعة، ومصالحُ عظيمة، منها: إعفافهن والإحسان إليهن، ومنها: أن يتعلمن منه ﷺ أصول الشريعة وأحكامها ويعلمنَها الناس بعده كما قد وقع، فقد كان ببيت كل واحدة منهن مدرسة للمسلمين والمسلمات، يَرِدُونها للتعلم ويشربون من معينها الصافي عللاً بعد نهل، ويسألون أمهات المؤمنين عن حياته ﷺ وشمائله وأخلاقه وأعماله داخل بيوته وخارجها، ومن ذلك ما في تعددهن من مصلحة التأليف والتعاون على البر والتقوى، وتبليغ القرآن والسنة بواسطة أصهاره ومن يتصل بهم؛ لأن أزواجه كن من قبائل شتى وذلك أبلغ في مقام

الدعوة والتأليف وأنفع للأمة وأكمل من جهة التبليغ والتعليم، ومن ذلك ما في تعددهن من راحته ﷺ وأنسه، فإنّ الله سبحانه قد حبب إليه النساء والطيب، وجعل قُرةَ عينه في الصلاة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: "الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة"، وقد جبل اللهُ الرجالَ على حب النساء والميل إليهن، وجعلَهن سكنًا للرجال، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وأعطى نبيه ﷺ في ذلك من كمال الرجولة والقوة على القيام بأمر الزوجات وحقوقهن ما لم يعطه الكثير ممن قبله، وليس هذا بمستنكر في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنَّهم أكمل الرجال رجولة وأعفهم فرجًا وأقومهم بحق الله وحق عباده، وقد كان لنبي الله داود زوجات كثيرة، ولابنه نبي الله سليمان بن داود كذلك، وقد قواهما الله على الطواف عليهن والقيام بحقهن، فكيف يستغرب على من هو أفضل منهما وأرفع عند الله منزلة، وهو محمد ﷺ، أن يبيح له تسعًا من النساء مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تقدَّم بعضها، وكلها تعود على الأمة بالخير والإحسان والنفع العام، وقد خَصَّ الله نبيه ﷺ بخصائص عظيمة، وحباه بصفات كريمة، فبعثه إلى الناس عامة، وجعله رحمة للعالمين، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ورفع منزلته في أعلى الجنة وهي الوسيلة، وجعله سيدَ أولاد آدم كلهم، وأعطاه المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وشرح له صدره وغفر له ذنبه ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، فلا يُذكر سبحانه إلا ذُكِر معه، كما في الخطب والتشهد والإقامة والتأذين، وخصائصه وشمائله ﷺ كثيرة جدًا، فكيف بعد هذا كله تجترئ صحيفة (المساء) المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحط من قدْرِه وتمثيله بحيوان من

أحقر الحيوانات وأدناها؛ إمعانًا في الاحتقار ومبالغة في الاستهزاء، سبحان الله ما أعظم شأنه، والله أكبر ما أوسع حلمه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وليس هذا الكفر الظاهر والنفاق السافر والاستهزاء الصريح بأشرف عباد الله ومن أخرج اللهُ به العبادَ من الظلمات إلى النور - بغريب من صحف الخلاعة والمجون وأبواق الكفر والإلحاد ومنابر الظلم والعدوان ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل، ليس ذلك بغريب على بعض القائمين على صحف القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضوا عمَّا جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واهتموا بالفراعنة والملاحدة وعُبَّاد الصُلبان، وجندوا بعض صحفهم لمحاربة الإسلام، وطمس شعائره العظام، والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وسفهاء الأحلام.

ثم أقول: ليس هذا وحده جرم صحف القاهرة، فكم لهم من جرائم، وكم لهم من مخازٍ، وكم لهم من مكفرات ونواقض للإسلام؟! أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الاشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على الظلم للعباد، وزعما تَلْبيسًا وتضليلاً أنها من الإسلام، والإسلام براء من ذلك. فالإسلام حرَّم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

الإسلام ويحترم مال الفرد والجماعة ويحرسه ويحميه بقطع يد السارق، وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال فقط، ويقول الرسول العظيم ﷺ في حجة الوداع يوم النحر: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم

هذا"[١]، ويقول ﷺ: "من ظلم شبرًا من الأرض طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"[٢]، ويقول عليه الصلاة والسلام: "من اقتطع حقَ امرئ مسلم بيمينه فقد أوجبَ الله له النار، وحرَّم عليه الجنة"، قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: "وإن كان قضيبًا من أراك"[٣]، ويقول الله في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال سيد الخلق ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظّلموا"، وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه"، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم المتنوعة على عصمة مال المسلم وتحريم دمه وماله وعرضه إلا بحق، وأجمع علماء المسلمين على ذلك، ومع هذا كله فدعاة الاشتراكية والشيوعية وأعوانهم على الظلم والعدوان استباحوا أموال الناس ودماءهم بغير حق، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراءهم ظهريًا، ولو أنَّهم قالوا: قد عرفنا أنَّه ظلم وعدوان وأقدمنا عليه، لكان أسهل عند الله وعند المؤمنين، ولكن بعضهم مع الظلم السافر والكفر الظاهر

---

(١) متفق على صحته.

(٢) متفق على صحته.

(٣) خرجه الأمام مسلم في صحيحه.

يزعمون أعمالهم الماركسية، وتصرفاتهم الشيوعية، وسيرتهم الكفرية والإلحادية من الإسلام، ويزعم لهم أذنابهم وعبيدهم تلبيسًا وتضليلاً أنَّ الإسلام جاء بذلك، والله سبحانه ورسوله ودينه براء من ذلك كله ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، ولقد صدق الله سبحانه حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

ومن زعم أنَّ ما يفعله دعاة الاشتراكية والشيوعية من الظلم والاستبداد والتعدي على حرمات المسلمين من الإسلام ـ فهو كافر ضال كاذب على الله ورسوله وعلى شرعه، كما أنَّ من أنكر الحدود كحد السرقة أو غير، وزعم أنَّها ليست من شرع الله ـ كما ينعق بذلك دعاة الإلحاد من الشيوعيين وغيرهم فهو كافر مكابر مكذب لقول الله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]، ومن زعم أن الاشتراكية الماركسية مباحة وأنَّها من الإسلام، أو أنَّها خير من الإسلام وأرحم من الإسلام فهو من أكفر عباد الله وأضلهم عن سواء السبيل؛ لأنَّه لا شيء أحسن من الإسلام ولا حكم أعدل من حكمه، ومن جعل الظلم منه ونسبه إليه فقد تنقصه وكذب عليه، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، والله سبحانه قسم بين الناس معيشتهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ لتنتظم أمورهم ويستعين بعضهم ببعض، فتكمل مصالحهم وتظهر مواهبهم ويتميز غنيهم من فقيرهم وشاكرهم من كافرهم وناصحهم من خائنهم وطيبهم من خبيثهم، إلى غير ذلك من الحكم والأسرار الكامنة في حكمة التفاوت بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالى منكرًا على المشركين الأولين: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فلو سوَّى بينهم سبحانه في المعيشة والأخلاق والعقول والأسباب؛ لتعطلت مصالحهم، ولم تظهر هذه الحِكم والأسرار التي رتب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولم يعرف العباد معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولم يخضع أحد لأحد ولم يعرف أحد قدر نعمة الله عليه، ولم يؤد ما يجب عليه من الشكر، إلى غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفة والحكم الرفيعة التي لا يدركها ولا يوفق لها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الأخر وأرباب العلم النافع والبصائر.

والاشتراكية استوردها أربابها؛ ليغْنوا بها الفقراء بزعمهم، وإنما جلبوها في الحقيقة؛ ليفْقروا بها الأغنياء ويسلبوا بها أموال الناس بالباطل باسم رحمة الفقراء، ويصرفوها في مطامعهم وأغراضهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية، ويخمدوا بها جذوة الحركة والعمل، ويصدوا بها الناس عن التفكير في حق رب العالمين،

والتنافس في مصالح الحياة، والثورة على الكفر والطغاة الملحدين هذه حال الاشتراكية وأهلها، حسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، وتجرؤوا على شرعه، وظلموا العباد، واستبدوا بالأموال والعتاد، وحاربوا الله في أرضه، واستكبروا عن طاعته وحقه، تبّاً لهم ما أخسر صفقتهم، وأخس مروءتهم، وأسوأ عاقبتهم، فالحذر الحذر ـ أيها المسلمون ـ من أرباب هذه الفتنة العمياء، والبدعة النكراء، والكفر الصريح، والمعاداة لله ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون، وقد شرع الله في الإسلام ما يغني عن هذا المذهب الهدام ويبطل كيد مخترعيه الكفرة اللئام، فأوجب سبحانه في أموال الأغنياء من الزكاة وصنوف النفقات، وشرع لعباده ﷻ من أنواع الكفَّارات والصدقات وسُبل الإحسان ما تسد به حاجات الفقراء، ويستغنى به عن ظلم العباد، والتحيُّل على سلب أموالهم، بل جعل ﷻ أداء الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وتوعد من بخل بها بأنواع العذاب والآلام، ووعد من بذلها كما شرع الله بالطهرة، والزكاة لهم ولأموالهم، ومضاعفة الأجور، وعظيم الخلف، كما قال ﷻ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال هو أصدق القائلين: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين جميعًا أن يؤدوا ما أوجب الله عليهم لإخوانهم الفقراء، وأن يطيبوا نفسًا بذلك، وأن يرحموهم ويعطفوا عليهم؛ أداءً لما أوجب الله، ورجاء الرحمة من الله، وحذرًا من غضب الله، وسدًا لأبواب الفتن والفساد، وإغلاقًا لسبل الكفر والإلحاد، وشكرًا لله على إنعامه، وطمعًا في المزيد من فضله وكرمه، وإرغامًا لأنوف الكفار والملحدين الذين قد ساءت ظنونهم بالإسلام واعتقدوا أنَّه قد أهمل جانب الفقراء ولم يُعطهم حقهم، ولقد أخطأ ظنهم وخسرت صفقتهم وكذبوا على الله وحادوا عن الحق الواضح.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ومثلوا الإسلام في أعمالكم وأقوالكم، وارحموا فقراءكم، وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة وغيرها؛ لتفوزوا بالسعادة والنجاة وتسلموا من غضب الله وأليم عقابه في الدنيا والآخرة.

والله المسؤول أن يُصلِح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمنحهم الفقه في دينه، وأن يهديّ زعماءهم وقادتهم لصراطه المستقيم، وأن يقيم علم الجهاد، ويكبت أهل الشرك والكفر والإلحاد، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه))[1].

نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبدالله بن باز

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٦/ ٣٢٦-٣٤٠].

رد سماحة الشيخ على رشاد خليفة

كلمة تحذيرية حول إنكار رشاد خليفة للسنة المطهرة(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فالداعي لكتابة هذه الكلمة أنَّه ظهر في مدينة (توسان) التابعة لولاية (أريزونا) بأمريكا، شخص يدعى رشاد خليفة مصري الأصل أمريكي الجنسية، يقوم بالدعوة على أساس بعيد عن الإسلام وينكر السنة وينتقص من منزلة الرسول ﷺ ويحرِّف كلام الله بما يناسب مذهبه الباطل.

والمذكور ليس له علم بأصول الشريعة الإسلامية، إذ هو يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة الزراعية مما لا يؤهله للقيام بالدعوة إلى الله على وجه صحيح، وقد قام بالتغرير ببعض المسلمين الجدد والسذج من العامة باسم الإسلام في الوقت الذي يحارب فيه الإسلام بإنكاره السنة والتعاون مع المنكرين لها قولاً وفعلاً، فقد سجَّل في إذاعة ليبيا أثناء زيارته لها عام ١٣٩٩هـ أحاديث إذاعية ولما سُئل من قبل أحد أساتذة الجامعة الليبية قُبيل صعوده للطائرة عن رأيه في أحاديث الرسول ﷺ، أجاب باختصار نظرًا لضيق الوقت قائلاً: (الحديث من صنع إبليس) ومن أقواله التي توضح رفضه للسنة وتأويله القرآن الكريم برأيه ما يلي:

---

(١) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد٨، ص ٣٩-٤٢. وراجع أبحاث هيئة كبار العلماء [٧/ ١٣٩] وراجع رد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ردا مفصلا على رشاد خليفة في أبحاث هيئة كبار العلماء [٧/ ١٠٥ - ١٣٨] ط ١، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

١- قوله: إنَّه لا يجوز رجم الزاني أو الزانية سواء كانا محصنين، أو غير محصنين؛ لأنَّ ذلك لم يرد في القرآن.

٢- تبجحه بصورة مستمرة بما يُروى (لا تكتبوا عنّي سوى القرآن) أنَّه لا تجوز كتابة الأحاديث.

٣- استدلاله على ما ذهب إليه من أنَّه لا حاجة للسنة ولا لتفسير الرسول ﷺ للقرآن، بقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

٤- ادعاؤه أن الأخذ بالسنة وكتابتها، وجمع الأحاديث في القرنين الثاني والثالث كان سببًا في سقوط الدولة الإسلامية.

٥- عدم التصديق بالمعراج، وأن الرسول ﷺ لم يأت بجديد في الصلاة؛ لأن العرب قد توارثوها بهذه الكيفية المعهودة عن جدهم إبراهيم عليه السلام.

٦- له تأويلات في كيفية كتابة الحروف المقطعة الواردة في أول السور، ويقول: هذه ليست الكتابة الصحيحة لها ففي قوله تعالى: (ألم) يجب أن تكتب هكذا (ألف لام ميم)، وقوله تعالى: (ن) يجب أن تكتب هكذا (نون)، وغير ذلك من الآراء الباطلة التي يفرق بها كلمة المسلمين مع ما فيها من محادة لله ورسوله.

لذا فقد رأيت من الواجب توضيح أمره وكشف حقيقته للمسلمين لئلا يغتر أحد بكلامه أو ينخدع بآرائه، وحتى يكون الجميع على معرفة بمكانة السنة المطهرة.

فلا يخفى على كل مسلم أنَّ سنة المصطفى ﷺ هي المصدر الثاني للتشريع، وقد أجْمَع على ذلك سلف الأمة وعلماؤهم، وقد حفظ الله سنة نبيه ﷺ كما حفظ كتابه

فقيَّض لها رجالاً مخلصين وعلماء عاملين وَهَبوا نفوسهم وكرَّسوا حياتهم لخدمتها وتمحيصها وتدقيقها ونقلها بأمانة وإخلاص، كما نطق بها رسول الله ﷺ من غير تحريف، ولا تغيير لا في المعنى، ولا في اللفظ، ولم يزل أهل العلم من أصحاب الرسول ﷺ ومن بعدهم يؤمنون بهذا الأصل العظيم، ويحتجون به، ويعلمونه الأمة، ويفسرون به كتاب الله، وقد ألَّفوا فيه المؤلفات، وأوضحوا ذلك في كتب الأصول والفقه، وقد جاء في كتاب الله تعالى الأمر باتباع الرسول وطاعته حتى تقوم الساعة؛ لأنَّه ﷺ هو المفسر لكتاب الله والمبين لما أجمل فيه بأقواله وأفعاله وتقريره، ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات وما أوجب الله فيها من حدود وعقوبات.

ومما ورد في ذلك من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَ ٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]. فهذه الآيات وغيرها جعلت طاعة الرسول ﷺ طاعة لله ومتممة لها، وأناطت الهدى والرشاد والرحمة

باتباع سنته وهديه ﷺ، ولا يكون ذلك مع عدم العمل بها وإنكارها والقول بعدم صحتها.

وإن ما تَفوَّه به رشاد خليفة من إنكار السنة، والقول بعدم الحاجة إليها كفر ورِدةٌ عن الإسلام؛ لأنَّ من أنكر السنة فقد أنكر الكتاب، ومن أنكرهما أو أحدهما فهو كافر بالإجماع، ولا يجوز التعامل معه وأمثاله، بل يجب هجره والتحذير من فتنته، وبيان كفره وضلاله في كل مناسبة حتى يتوب إلى الله من ذلك توبة معلنة في الصحف السيارة، لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله كفر من جحد السنة في كتابه المسمى (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) فقال: (اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أنَّ كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كَفَر وخرج عن دائرة الإسلام وحُشِرَ مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة) انتهى المقصود.

هذا ما أردت إيضاحه والتنبيه عليه من أمر هذا الرجل براءة للذمة ونصحًا للأمة، وأسأل الله أن يهدينا وإياه صراطه المستقيم، وأن يعصمنا وجميع إخواننا المسلمين من الضلال بعد الهدى، ومن الكفر بعد الإيمان، كما أسأله تعالى أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويكبت أعداء شرعه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين))[١].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ٤٠٠-٤٠٤].

الرد على صحيفة الشرق الأوسط لنشرها مقالاً فيه إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة

بيان كفر وضلال من زعم أنه يجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد ﷺ(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أطَّلعت على المقال المنشور بجريدة الشرق الأوسط بعددها رقم (٥٨٢٤) وتاريخ ٥/ ٦/ ١٤١٥هـ كتبه من سمى نفسه: عبد الفتاح الحايك تحت عنوان: (الفهم الخاطئ).

وملخص المقال: إنكاره لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وبالنص والإجماع، وهو عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس، وادّعاؤه أنَّ من لم يتبع محمدًا ﷺ ولم يطعه، بل بقي يهوديًا أو نصرانيًا فهو على دينٍ حق، ثم تطاول على رب العالمين سبحانه في حكمته في تعذيب الكفار والعصاة وجعل ذلك من العبث.

وقد قام بتحريف النصوص الشرعية، ووضَعَها في غير مواضعها، وفسَّرها بما يمليه هواه، وأعرض عن الأدلة الشرعية والنصوص الصريحة الدالة على عموم رسالة محمد ﷺ، وعلى كفر من سَمِعَ به ولم يتبعه، وأنَّ الله لا يقبل غير الإسلام دينًا، إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التي أعرض عنها؛ لينخدع بكلامه الجهال.

(١) نشرت في جريدة الشرق الأوسط في العدد (٥٨٩٥) بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٤١٥هـ الموافق ١٨/ ١/ ١٩٩٥م.

وهذا الذي فَعَله كفر صريح، ورِدةٌ عن الإسلام، وتكذيبٌ لله سبحانه ولرسوله ﷺ، كما يعلم ذلك من قرأ المقال من أهل العلم والإيمان.

والواجب على ولي الأمر إحالته للمحكمة لاستتابته والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر.

والله ﷻ قد بيَّن عموم رسالة محمد ﷺ، ووجوب اتباعه على جميع الثقلين، وذلك لا يجهله من له أدنى مسكة من علم من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وروى البخاري ومسلم، عن جابر ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: "أُعطِيتُ خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي المغانم ولم تحل

لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"، وهذا بيانٌ صريحٌ لعموم وشمول رسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع البشر، وأنَّها نَسَخَتْ جميع الشرائع المتقدمة، وأنَّ من لم يتبع محمدًا ﷺ ولم يطعه فهو كافر عاص مستحق لعقابه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله سبحانه قد قَرنَ طاعة الرسول ﷺ بطاعته، وبين أنَّ من اعتقد غير الإسلام فهو خاسر لا يقبل منه صرف ولا عدل، فقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦].

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموتُ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار".

وقد بيَّن رسول الله ﷺ بفعله وقوله بطلان ديانة من لم يدخل في دين الإسلام، فقد حارب اليهود والنصارى، كما حارب غيرهم من الكفار، وأخذ ممن أعطاه منهم الجزية حتى لا يمنعوا وصول الدعوة إلى بقيتهم، وحتى يدخل من شاء منهم في الإسلام دون خوف من قومه أن يصدوه أو يمنعوه أو يقتلوه.

وعن أبي هريرة ؓ قال: (بينما نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: "انطلقوا إلى يهود" فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: "يا معشر يهود، أسلموا تسلموا"، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ذلك أريد، أسلموا تسلموا"، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ذلك أريد"، ثم قالها الثالثة..) الحديث[1].

والمقصود: أنَّه ﷺ ذهب إلى أهل الديانة من اليهود في بيت مدراسهم فدعاهم إلى الإسلام، وقال لهم: "أسلموا تسلموا"، وكررها عليهم، وكذلك بعث بكتابه إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ويخبره أنَّه إن امتنع فإنَّ عليه إثم الذي امتنعوا من الإسلام بسبب امتناعه منه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن هرقل دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه فإذا فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]"، ثم لما تولوا ورفضوا الدخول في الإسلام قاتلهم ﷺ هو وأصحابه ؇ وفرض عليهم الجزية.

(١) رواه البخاري ومسلم.

ولتأكيد ضلالهم، وأنَّهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد ﷺ أمر الله المسلم أنَّ يسأل الله في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة أن يهديه الصراط المستقيم الصحيح المتقبل، وهو: الإسلام، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم، وهم: اليهود وأشباههم الذين يعلمون أنّهم على باطل ويصرون عليه، ويجنبه طريق الضالين الذين يتعبَّدون بغير علم ويزعمون أنَّهم على طريق هدى، وهم على طريق ضلالة، وهم: النصارى، ومن شابههم من الأمم الأخرى التي تتعبد على ضلال وجهل، وكل ذلك؛ ليعلم المسلم علم اليقين أنّ كل ديانة غير الإسلام فهي باطلة، وأنَّ كل من يتعبد لله على غير الإسلام فهو ضال، ومن لم يعتقد ذلك فليس من المسلمين. والأدلة في هذا الباب كثيرة من الكتاب والسنة.

فالواجب على صاحب المقال ـ عبدالفتاح ـ أن يبادر بالتوبة النصوح، وأن يكتب مقالاً يعلن فيه توبته، ومن تاب إلى الله توبة صادقة تاب الله عليه؛ لقول الله سبحانه:

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، ولقول النبي ﷺ: "الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها"، وقوله ﷺ: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له". والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وأسأل الله ﷻ أن يُرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يَمُنَّ علينا، وعلى الكاتب عبدالفتاح، وعلى جميع المسلمين بالتوبة النصوح، وأن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن وطاعة الهوى والشيطان، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين))[١].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٨/١٩٦-٢٠١].

حكم الشريعة في غلام أحمد برويز[1]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد:

فقد اطلعت على ما نشرته (مجلة الحج) في عددها الثاني الصادر في ١٦ شعبان عام ١٣٨٢هـ، من الاستفتاء المقدم إليها من أخينا العلامة الشيخ محمد يوسف البنوري مدير المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي عن حكم الشريعة الإسلامية في غلام أحمد برويز[2] الذي ظهر أخيرًا في بلاد الهند، وعن حكم معتقداته التي قدم فضيلة المستفتي نماذج منها لاستفتائه وعن حكم من اعتنق تلك العقائد واعتقدها ودعاء إليها؟ إلخ..

والجواب: كل من تأمل تلك النماذج التي ذكرها المستفتي في استفتائه من عقائد غلام أحمد برويز، وهي عشرون أنموذجًا موضحة في الاستفتاء المنشور في المجلة المذكورة، كل من تأمل هذه النماذج المشار إليها من ذوي العلم والبصيرة يعلم علمًا قطعيًا لا يحتمل الشك بوجه ما أن معتنقها ومعتقدها والداعي إليها كافر كفرًا أكبر مرتد عن الإسلام يجب أن يستتاب، فإن تاب توبة ظاهرة وكذب نفسه تكذيبًا ظاهرًا ينشر في الصحف المحلية، كما نشر فيها الباطل من تلك

---

(١) تعقيب من سماحة الشيخ على ما نشر في مجلة الحج "التضامن الإسلامي" حول عقيدة غلام أحمد برويز نشر في الصحف عام (١٣٨٢هـ) عندما كان سماحته نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) غلام أحمد برويز داعية من دعاة الضلال في شبه القارة الهندية له معتقدات باطلة اغتر بدعوته كثير من العوام في الهند.

العقائد الزائفة وإلا وجب على ولي الأمر للمسلمين قتله، وهذا شيء معلوم من دين الإسلام بالضرورة والأدلة عليه من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم كثيرة جدًا لا يمكن استقصاؤها في هذا الجواب، وكل أنموذج من تلك النماذج التي قدمها المستفتي من عقائد [غلام أحمد برويز] يوجب كفره وردته عن الإسلام عند علماء الشريعة الإسلامية.

وإلى القارئ الكريم نبذة من تلك النماذج التي أشرنا إليها ليعلم مدى بشاعتها وشناعتها وبعدها عن الإسلام وأن معتقدها لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يؤمن بالرسول ﷺ ولا بما أخبر الله به ﷻ ورسوله ﷺ عن الآخرة والجنة والنار، وليعلم أيضًا أن معتقدها بعيد كل البعد عما جاءت به الرسل شديد العداوة والحقد والكيد للإسلام والمسلمين بارع في المكر والتلبيس، متجرد من الحياء والأدب، نسأل الله تعالى العافية والسلامة لنا وللمسلمين من شر ما ابتلى به هذا الزنديق الملحد.

النموذج الأول: من عقائد الملحد [غلام أحمد برويز] على ما نشرته المجلة المذكورة في الاستفتاء المنوه عنه آنفًا يقول: (إن جميع ما ورد في القرآن الكريم من الصدقات والتوريث وما إلى ذلك من الأحكام المالية كل ذلك مؤقت تدريجي، إنما يتدرج به إلى دور مستقل يسميه هو نظام الربوبية فإذا جاء ذلك الوقت تنتهي هذه الأحكام؛ لأنها كانت مؤقتة غير مستقلة).

النموذج الثاني: (أن الرسول والذين معه قد استنبطوا من القرآن أحكامًا فكانت شريعة، وهكذا كل من جاء بعده من أعضاء شورائية لحكومة مركزية لهم أن يستنبطوا أحكامًا من القرآن فتكون تلك الأحكام شريعة ذلك العصر وليسوا مكلفين بتلك الشريعة السابقة، ثم لا تختص تلك بباب واحد، بل العبادات والمعاملات والأخلاق كلها يجري فيه ذلك ومن أجل ذلك القرآن لم يعين

تفصيلات العبادة).

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] أن المراد من إطاعة الله ورسوله هو إطاعة مركز الأمة أي الحكومة المركزية، والمراد بأولي الأمر الجمعيات التي تنعقد تحتها، فالحكومة المركزية تستقل بالتشريع وليس المراد بإطاعة الله إطاعة كتابه القرآن ولا بإطاعة الرسول إطاعة أحاديثه، فكل حكومة مركزية قامت بعد عهد الرسالة منصبها منصب الرسول، فإطاعة الله والرسول إنما هي إطاعة تلك الحكومة والرسول كان مطاعًا من جهة أنه كان أميرًا وإمامًا للحكومة المركزية والحكومة المركزية هي المطاعة).

النموذج الرابع: (قد صرَّح القرآن الكريم بأنه لا يستحق الرسول أن يكون مطاعًا وليس له أن يأمرهم بطاعته، وليس المراد من إطاعة الله، وإطاعة الرسول إلا إطاعة مركز نظام الدين الذي ينفذ أحكام القرآن فقط).

النموذج السادس: (ليس المراد بالجنة والنار أمكنة خاصة، بل هي كيفيات للإنسان).

النموذج التاسع عشر: (الإيمان بالقدر خيره وشره مكيدة مجوسية جعلتها عقيدة للمسلمين).

فهذه أيها القارئ الكريم نماذج نقلتها لك من الاستفتاء المنشور في المجلة حسب ترتيبها فيها لتعلم صحة ما ذكرته لك آنفًا، وإذا قرأت بقية النماذج التي في المجلة علمت من كفره وشناعة آرائه ما يؤيد ذلك، ويرشدك إلى كثير من آيات الله الساطعة، وبراهينه القاطعة على حكمته في عباده، وقدرته العظيمة على تقليب

القلوب والقضاء عليها بالزيغ حتى تصل إلى حد لا يكاد يتصوره العقل البشري فسبحان الله ما أعظم شأنه وما أكمل قدرته ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩] وهذه النماذج التي نقلنا يدل على بطلانها وعلى بطلان بقية النماذج الأخرى آيات كثيرات وأحاديث صحيحة وإجماع أهل العلم. فمن الآيات قوله ﷻ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧]، وهذا الملحد لم يؤمن بما أنزل الله على محمد ﷺ وما أنزل على الرسل قبله، بل أنكر ذلك غاية الإنكار كما يدل على ذلك إنكاره طاعة الله ورسوله وتأييد شريعته وإنكاره الجنة والنار وإنكار القدر، فيكون بذلك غير مهتد بل هو من أهل الشقاق والكفر والإلحاد وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وهذا الملحد لا يدين بذلك ويرى أن طاعة الرسول ﷺ مقيدة بحياته وأنه لم يطع لكونه رسول الله وإنما أطيع لكونه أمير الحكومة المركزية. وهذا الملحد أيضًا لا يرى طاعة الله ولا يلتزم بها وإنما الطاعة عنده للحكومة المركزية كيفما كانت. وهذا صريح في تكذيب الله وتكذيب كتابه وصريح في إنكار الإسلام وإنكار أن يكون هو الدين الذي يجب التزامه، وإنما الدين عنده ما شرعته الحكومة المركزية وأمرت به وإن خالف القرآن والسنة، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا الملحد كما سبق لا يدين بهذه الآية فيكون مكذبًا لله ومعترضًا على الله

فيكون في الآخرة من الخاسرين والخاسر في الآخرة الخسارة المطلقة هو الكافر المستوجب للخلود في النار نعوذ بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]. وهذا الزائغ الملحد لا يدين بهذه الآيات ولا يوجب طاعة الله ورسوله ولا التحاكم إليهما كما سبق، بل يرى كل ذلك للحكومة المركزية، وهذا كله كاف في تكفيره، وشناعة عقيدته، وتكذيبه لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين، ومن كان بهذه المثابة، فكفره وزيغه وبعده عن الهدى، لا يحتاج إلى إقامة الأدلة، لكونه أظهر وأبين من الشمس في رابعة النهار في اليوم الصحو، والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة.

وأما الأحاديث فقد صح عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما أنه قال: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل: يارسول الله، ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"(١). وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وهذا الملحد لا يؤمن ببعثته، ولا بوجوب طاعته، ولا يراه رسولاً إلى الناس عامة، وإنما

---

(١) رواه البخاري.

يطاع عند هذا الزنديق في حياته فقط، لكونه أمير الحكومة المركزية، لا لكونه رسول الله، فسبحان الله ما أشنع هذا القول وما أبعده عن الهدى، وقد أجمع المسلمون إجماعًا قطعيًا معلومًا من الدين بالضرورة ومنقولاً في كتب أهل العلم التي تحكي الإجماع، والخلاف على أنّ من كذب الله سبحانه، أو كذب رسوله ﷺ، ولو في شيء يسير، أو أجاز الخروج عن دينه، أو قال إن محمدًا ﷺ رسول إلى العرب خاصة أو إلى أهل زمانه خاصة فهو كافر مرتد عن الإسلام يباح دمه وماله، ليس في ذلك بين أهل العلم بحمد الله خلاف فلا حاجة إلى التطويل بنقل إجماعهم من مصادره. وأرجو أن يكون فيما ذكرته كفاية للقارئ والمستفتي؛ على كفر هذا الملحد [غلام أحمد برويز] على حسب ما ذكر من آرائه ومعتقداته يعلم بالبداهة لعامة المسلمين فضلاً عن علمائهم، فلا ضرورة إلى بسط الأدلة عليه، ونسأل الله أن يعافي المسلمين، من شره وأمثاله، وأن يكبت أعداء الإسلام أينما كانوا، ويبطل كيدهم ويميتهم بغيظهم لم يدركوا ما أرادوا إنه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي والعظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا وإمامنا محمد بن عبدالله المبعوث إلى الناس عامة بالشريعة الكاملة إلى يوم القيامة، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ٢٦٨-٢٧٣].

الفصل الثالث

بعنوان

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في كشف الغزو الفكري في بلاد المسلمين

ويشتمل على:

١- تمهيد عن الغزو الفكري لبلاد المسلمين.

٢- حوار مع سماحة الشيخ حول الغزو الفكري وأساليبه.

٣- أساليب مجابهة الغزو الفكري.

٤- مستقبل الإسلام أمام التيارات الفكرية المعاصرة.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الثالث
جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في كشف الغزو الفكري في بلاد المسلمين

تمهيد:

لقد تعرض العالم الإسلامي منذ مطلع القرن الثالث عشر لغزوٍ فكري مُرَّكزٍ بدلاً من الغزو الصليبي المسلح، أو تزامنًا معه، وسعى أعداء الإسلام إلى بث أفكار غريبة عن المجتمعات الإسلامية، وذلك عبر وسائل متعددة بدأت بالصحافة التي راحت تُروِّج لهذه المذاهب، وتدعو الشعوب إلى اعتناقها، وقد قامت معاهد الغرب والشرق باستقدام أبناء المسلمين إلى بلادهم، ولقنتهم هذه المبادئ والمذاهب الهدَّامة حتى يكونوا دعاة لها في بلاد المسلمين، لأنَّهم يُدركون أنَّ دخولهم المعركة بوضوح وبأنفسهم لن يكون له الأثر المطلوب، فكان لابد من تهيئة أُناس من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا يحملون لواء هذه المذاهب، ويدعون إليها، وقد نجحوا في ذلك نجاحًا كبير فأصبح في بلاد المسلمين من يحمل لواء هذه المذاهب من علمانية ـ وقومية واشتراكية ـ وماسونية وغيرها. وهذا يطول شرحه وإيضاحه[1] وكان لسماحة الشيخ رحمه الله جهود مباركة في كشف أساليب الغزو الفكري لبلاد المسلمين وسبل مقاومته. وسوف نقوم بعرضها في هذا الفصل.

---

(١) راجع في ذلك: ١ – الغارة على العالم الإسلامي. ٢ – الغزو الفكري على جريشه.
٣ – والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ٤ – الإسلام والحضارة الغربية.
٥ – حصوننا مهددة من داخلها. ٦ – الدولة العثمانية والغزو الفكري.

حوار مع سماحة الشيخ حول الغزو الفكري وأساليبه[(١)]

س١: ما هو تعريف الغزو الفكري في رأيكم؟

ج: الغزو الفكري هو: مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى، أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السِّرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تُحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له. وتكون نتيجته أنَّ هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

هو داءٌ عضال يفتك بالأمم، ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تُبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمرًا صعبًا وإفهامها سبيل الرشد شيئًا عسيرًا.

وهذا الغزو يقع بواسطة المناهج الدراسية، والثقافة العامة، ووسائل الإعلام والمؤلفات الصغيرة والكبيرة، وغير ذلك من الشؤون التي تتصل بالأمم، ويرجو العدو من ورائها صرفها عن عقيدتها، والتعلق بما يلقيه إليها، نسأل الله السلامة والعافية.

س٢: هل يتعرض العرب عامة والمملكة العربية السعودية خاصة لهذا النوع من الغزو؟

ج: نعم: يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب وغيرهم، والمملكة وغيرها

---

(١) حوار مع سماحة الشيخ نشرته صحيفة الراية القطرية.

راجع مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ٤٢٨-٤٤٦].

لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره:

١- الغزو النصراني الصليبي.

٢- الغزو الصهيوني.

٣- الغزو الشيوعي الإلحادي.

أما الغزو النصراني الصليبي فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح أدرك النصارى أنَّ حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهي وقتية لا تدوم، ولذا فكروا في البديل الأنكى وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية، وهو أنْ تقوم الأمم النصرانية فرادى وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين؛ لأنَّ الاستيلاء على الفكر والقلب أمْكَن من الاستيلاء على الأرض، فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يرى الكافر له الأمر والنهي في بلده، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده، ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه، وهذا ما حصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيوش الصليبية الغازية أما المسلم الذي تعرَّض لذلك الغزو الخبيث، فصار مريض الفكر عديم الإحساس، فإنه لا يرى خطرًا في وجود النصارى، أو غيرهم في أرضه، بل قد يرى أنَّ ذلك من علامات الخير، ومما يعين على الرقي والحضارة، وقد استغنى النصارى بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنَّه أقوى وأثبت، وأي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد، أو عن غير قصد، وبثمن أو بلا ثمن، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة

المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التي تستدعي العجل كما حصل في غزوه أوغندة أو الباكستان، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات، وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التي تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء.

أما الغزو الصهيوني فهو كذلك لأنَّ اليهود لا يألون جهدًا في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم، ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها، ولهم مخططات أدركوا بعضها، ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى، وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح، واستولوا على بعض أرضهم، فإنَّهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم، ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونِحِلا باطله؛ كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها، ويستعينون بالنصارى وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم أما الغزو الشيوعي الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة والسليمة، فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرهما أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان، أو معدومي الإيمان، وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعي الخبيث، وتَعِدُهم، وتُمنيهم بأعلى المناصب والمراتب، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم، وأدَّبت بعضهم ببعض، وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعانا من بني الإنسان حربًا على أممهم وأهليهم وعذابا على إخوانهم وبني قومهم، فمزقوا بهم أمة الإسلام، وجعلوهم جنودًا للشيطان يعاونهم في ذلك النصارى واليهود بالتهيئة والتوطئة أحيانًا، وبالمدد والعون أحيانًا أخرى، ذلك أنَّهم وإنْ اختلفوا فيما بينهم، فإنهم جميعًا يد

واحدة على المسلمين يرون أنَّ الإسلام هو عدوهم اللدود، ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

س٣: ما هي الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره؟

ج: الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها:

١. محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين، وترسيخ المفاهيم الغربية فيها؛ لتعتقد أنَّ الطريقة الفضلى هي طريقة الغرب في كل شيء، سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق، أو ما هو عليه من عادات وطرائق.

٢. رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم، وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية، وعادوا إلى بلادهم أحاطوهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلَّموا المناصب والقيادات في بلدانهم، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له.

٣. تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تزاحم لغة المسلمين اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه، والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج والأذكار وغيرها، ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدَّامة التي تحارب اللغة العربية، وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التي يُراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي.

٤. إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكارًا لأغراضهم السيئة وتشجيع الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عونًا لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين.

٥. محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها، إما: بطريق مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام حينما تولى [دنلوب] القسيس تلك المهمة فيها، أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس (دنلوب) (١) وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحًا فتاكًا من أسلحة العدو، يعمل جاهدًا على توجيه التعليم توجيهًا علمانيًا لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله، وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد.

٦. قيام طوائف كبيرة من النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولي كراسي التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشُبَه التي يُلقنونها لطلبتهم أو التي تمتلئ بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين، حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية، ولقد تخرَّج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال قاموا بنصيب كبير في أحداث الفتنة الكبرى، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب، وما يتولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة، فأكملوا ما بدأه أساتذتهم

---

(١) مستشرق بريطاني عاش في مصر زمنا طويلا ووضع مناهج التعليم في مصر على أسس تغريبية خبيثة.

وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين، ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم، فالله المستعان.

٧. انطلاق الأعداد الكثيرة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يُجند لها مئات الآلاف من الرجال والنساء، وتُعد لها أضخم الميزانيات، وتسهل لها السبل، وتذلل لها العقبات:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]. وإذا كان هذا الجهد منصبًا على الطبقة العامية غالبًا فإنَّ جهود الاستشراق موجهة إلى المثقفين كما ذكرت آنفًا وأنهم يتحمَّلون مشاقًا جِساما في ذلك العمل في بلاد إفريقيا وفي القرى النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا وغيرها، ثم هم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمرات يراجعون حساباتهم وينظرون في خططهم، فيُصححون ويعدِّلون ويبتكرون، فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة (١٩٠٦م)، وفي ادنمبرج سنة (١٩١٠م)، وفي لكنو سنة (١٩١١م)، وفي القدس (١٩٣٥م)، ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله.

٨. الدعوة إلى إفساد المجتمع المسلم وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التي حدَّ الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها، وذلك حينما يُلقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى، وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال، وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال، يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم، والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه، وإقامة قضايا وهمية، ودَعَاوى باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظُلِمت، وأنَّ لها الحق في

كذا وكذا، ويريدون إخراجها من بيتها، وإيصالها إلى حيث يريدون، في حين أنَّ حدود الله واضحة، وأوامره صريحة، وسنة رسول الله ﷺ جلية بينة، يقول الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ويقول سبحانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]. ويقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ويقول: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول ﷺ: "إياكم والدخول على النساء" قال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت". وقال: "لا يخلو رجل بامرأة فإنَّ الشيطان ثالثهما".

٩. إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين، وصرف الأموال الكثيرة عليها، وتزيينها، وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن، وفي أكبر الميادين.

١٠. تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية والشيوعية، وتُشِيد بأهدافها، وتضلِّل بأفكارها أبناء المسلمين السُذج الذين لم يفهموا الإسلام، ولم تكن لهم تربية كافية علمية، وخاصة في إفريقيا حيث يصاحب هذا؛ الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها، وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين.

هذه بعض الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم من الشرق والغرب في سبيل غزو أفكار المسلمين، وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار

أخرى غربية أو شرقية، وهي كما ترى أيها القارئ جهود جبارة، وأموال طائلة، وجنود كثيرة، كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام، وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية، إذْ يعتقد القوم أنَّ المهمة الرئيسية في ذلك هي إخراجهم من الإسلام، وإذا تمَّ التوصُّل إلى هذه المرحلة فما بعدها سهل وميسور، ولكننا مع هذا نقول: إنَّ الله سيخيب آمالهم ويبطل كيدهم، إذا صدق المسلمون في محاربتهم والحذر من مكائدهم، واستقاموا على دينهم؛ لقوله ﷻ: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين، قال الله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق: ١٥-١٧]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولا شك أن الأمر يحتاج من المسلمين إلى وقفة عقل وتأمل، ودراسة في الطريق التي يجب أن يسلكوها، والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون لهم من الوعي والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم، وعاملين على إحباطها وإبطالها.

ولن يتم لهم ذلك إلا بالاعتصام بالله والاستمساك بهديه والرجوع إليه

والإنابة له والاستعانة به، وتذكر هديه في كل شيء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين، وتفهم معنى سورة "قل يا أيها الكافرون" وما ذكره سبحانه في قوله: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أسأل الله سبحانه أن يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشدًا وأن يعيذها من مكائد أعدائها ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها العزة والقوة والكرامة، إنَّه خير مسئول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم))[١].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ٤٢٨-٤٤٦].

أساليب مجابهة الغزو الفكري المعاصر

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله موضحًا كيفية الغزو الفكري المعاصر:

((الحمد لله وحده الصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد: فمما لا شك فيه أنَّ أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى، ذلك أنَّ الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها، ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها حيث إنَّ الأخذ بالقوة، وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطباع، وتنفر منه النفوس لا سيما في الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعي بين الناس، واتصل الناس بعضهم ببعض وأصبح هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب، وترفض الاستعمار عن طريق القوة، وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب، وأنَّ لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم في أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم في الحياة، وحسب ما تدين به تلك الشعوب من معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضُطر معه إلى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية.

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكَّر في عدة وسائل، واتخذ كثيرًا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل، وتصورٍ كامل لأبعاد هذه المخططات

ومدى فعاليتها وتأثيرها والطريق التي ينبغي أن تتخذ للوصول إلى الغاية التي يريد، وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين مبالغة في الدهاء والمكر والتلبيس، ركَّز فيها على خدمة أهدافه، ونشر ثقافته، وترسيخ الإعجاب بما حققه في مجال الصناعات المختلفة، والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس حتى إذا ما تشربت بها قلوبهم، وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها، وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة، لا سيما في صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون في سن المراهقة والشباب ــ اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة؛ لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوربية والأمريكية وغيرها حيث يُواجهون هناك بسلسلة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشرقين والملحدين بشكل منظم، وخطط مدروسة، وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهاء، وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكك ومجون وإباحية.

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من إغراء وتشجيع وعدم وازع من دين أو سلطة، قلَّ من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها، وهؤلاء بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة في دولهم، حتى يطمئن إليهم المستعمر بعد رحيله، ويضع الأمانة الخسيسة في أيديهم لينفذوها بكل دقة، بل بوسائل وأساليب أشد عنفًا وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر، كما وقع ذلك فعلاً في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به، أما الطريق إلى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره فيتلخص في إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث إلى الخارج، وتدريس العلوم بكافة أنواعها مع العناية بالمواد الدينية

والثقافة الإسلامية في جميع الجامعات والكليات والمعاهد؛ حرصا على سلامة عقيدة الطلبة، وصيانة أخلاقهم، وخوفًا على مستقبلهم، وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على نور من تعاليم الشريعة الإسلامية، وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة. والواجب التضييق من نطاق الابتعاث إلى الخارج وحصره في علوم معينة لا تتوافر في الداخل.

فنسأل الله التوفيق لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وحماية المسلمين من كل ما يضرهم في عقائدهم وأخلاقهم إنه جواد كريم.

وهذا المقام مع ما ذكرنا آنفا يحتاج إلى مزيد من العناية في إصلاح المناهج وصبغها الإسلامية على وجه أكمل، والاستكثار من المؤسسات العلمية التي يستغني بها أبناء البلاد عن السفر على الخارج واختيار المدرسين والمدرسات والمديرين والمديرات، وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة الطيبة والسيرة الحسنة، والغيرة الإسلامية والقوة والأمانة؛ لأنَّ من كان بهذه الصفات أُمن شره وُرجي خيره وبذل وسعه في كل ما شأنه إيصال المعلومات إلى الطلبة والطالبات سليمة نقية.

أما إذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب إلى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لا سيما في مجال التصنيع، وأشباهه، فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح في دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الإسلامية، واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه في الدعوة؛ ليرافق البعثة المذكورة، ويقوم بالدعوة إلى الله هناك، وفي الوقت نفسه يشرف على البعثة، ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها، ويقوم

بإرشادهم وتوجيههم، وإجابتهم عما قد يعرض لهم من شُبهٍ وتشكيك وغير ذلك.

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التي قد تواجههم في البلاد التي يُبتعثون إليها، ويبين لهم موقف الشريعة الإسلامية منها، والحكمة فيها حسب ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام أهل العلم مثل أحكام الرق، وتعدد الزوجات بصفة عامة، وتعدد أزواج النبي ﷺ بصفة خاصة، وحكم الطلاق، وحكمة الجهاد ابتداءً ودفاعًا وغير ذلك من الأمور التي يوردها أعداء الله على شباب المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه.

أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر، وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السُمِّ الزعاف، والدعاية المضللة فهي في أهم المهمات حماية الإسلام والثقافة الإسلامية من مكائده وشره مع التأكيد على دعاة الإسلام وحماته للتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة، والدعوة إلى الإسلام، والرد على أصناف الغزو الثقافي، وكشف عواره، وتبيين زيفه حيث إنَّ الأعداء قد جنَّدوا كافة إمكاناتهم وقدراتهم، وأوجدوا المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين والتلبيس عليهم، فلابد من تفنيد هذه الشبهات وكشفها، وعرض الإسلام عقيدة وتشريعًا وأحكاما وأخلاقا عرضًا شيقًا صافيًا جذابًا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة، وعن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن عن طريق جميع وسائل الإعلام حسب الطاقة والإمكان؛ لأن دين

الإسلام هو الدين الكامل الجامع لكل خير، الكفيل بسعادة البشر، وتحقيق الرقي الصالح، والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة، والفوز في الدنيا والآخرة.

وما أُصِيبَ المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته، وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه، وتقصير الكثير من العلماء في شرح مزاياه، وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر في الدعوة إليه، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر، ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف، وجهل الأكثر بأحكام الإسلام، والتباس الأمور عليهم.

ومعلوم أنَّه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها والذي صلح به أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقد وعدهم الله ﷻ على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة، كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولاً وعملاً وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم، ومكّن لهم في الأرض، ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد، وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى، ولما غيَّر مَنْ بعدهم غُيِّر عليهم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

فنسال الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبا إلى دينهم ردًا حميدًا، وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به، وأن يجمع كلمتهم على الحق، ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه إنّه سميع قريب. وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٦/ ٣٨٥-٣٩٠].

مستقبل الإسلام أمام التيارات الفكرية

س: سماحة الشيخ: كيف ترون مستقبل الإسلام أمام التيارات والأديولوجيات والمذاهب المختلفة التي تناصبه العداء؟

ج: أرى أنَّ الإسلام سوف ينتصر بإذن الله على تلك التيارات والنِّحِل الزائفة التي ابتلى بها العالم في عصرنا الحاضر، وأنَّ كل ما يوجه إلى الإسلام من عداء ماكر للنيل منه وإزاحته عن قيادة العالم سوف يعود في النهاية بإذن الله تعالى على نحور أصحابه، وذلك أن الله جلا شأنه قد تكفل بحفظ القرآن الكريم الذي هو الأساس العظيم للإسلام، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقد هيأ الله سبحانه ـ وله الحمد والمنة ـ لدينه أنصارًا، كما قال النبي ﷺ: "لاتزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله"، وفي رواية أخرى: "لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة".

ومما يبشر بما ذكرنا ما انتشر في العالم الإسلامي وغيره من الحركات التي توصي باتباع الكتاب والسنة والسير عليهما، ثم إنَّ تلك المبادئ والمذاهب من شيوعية ورأسمالية غربية وغيرها من المذاهب التي يروج لها اليوم أصحابها قد ثبت بالتجربة زيفها وفشلها، وأنَّها لا تُسعِد البشرية، بل تضرها في دينها وأخلاقها واقتصادها، حيث إنها من صنع البشر الذي طبيعته القصور والجهل والهوى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقد بدأت البشرية تتلفت يَمْنةً ويَسْرةً علَّها تجد منهجًا صالحًا ينقذها من

الهاوية التي تردَّت فيها جميع شؤون حياتها، والإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من تلك المهالك، وستكتشف البشرية بإذنِ الله تلك الحقيقة إنْ عاجلاً أو آجلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

وكلامنا هذا هو في الإسلام النقي من شوائب الشرك والبدع الذي أخذ به النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من بعده، فأفلحوا ونجحوا، وفتحوا البلاد، وقادوا العباد إلى سبيل الرشاد وشاطئ السلام.

والله الموفق(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٦/ ٢٩٢-٢٩٣].

ما يجب بذله من مجهود لمجابهة الغزو الفكري

س: يحرص أعداء الله على التغلغل في ديار الإسلام بشتى الطرق فما المجهود الذي ترون بذله للوقوف أمام هذا التيار الذي يهدد المجتمعات الإسلامية؟

ج: هذا ليس بغريب من الدعاة إلى النصرانية أو اليهودية أو غيرهما من ملل الكفر ومذاهب الهدم؛ لأنَّ الله سبحانه وبحمده قد أخبرنا عن ذلك بقوله في محكم التنزيل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولهذا فإنَّهم يبذلون كل ما يستطيعون للنفوذ في ديار الإسلام، ولهم طرقهم المختلفة في هذا منها: التشكيك، وزعزعة الأفكار، وهم دائبون على ذلك بدون كلل أو ملل تحركهم الكنيسة والحقد والبغضاء بالتوجيه والدفع والبذل، والجهود التي يجب أن تبذل هي التوعية والتوجيه لأبناء المسلمين من القادة والعلماء ومقابلة جهود أعداء الإسلام بجهود معاكسة، فأمة الإسلام أمة قد حملت أمانة هذا الدين وتبليغه، فإذا حرصنا في المجتمعات الإسلامية على تسليح أبناء وبنات المسلمين بالعلم والمعرفة، والتفقه في الدين، والتعويد على تطبيق ذلك من الصغر، فإننا لن نخشى بإذن الله عليهم شيئًا ما داموا متمسكين بدين الله معظمين له متبعين شرائعه محاربين لما يخالفه، بل العكس سيخافهم الأعداء؛ لأنَّ الله سبحانه وبحمده يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. ويقول ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فأهم عامل للوقوف أمام هذا التيار هو تهيئة جيل عارف بحقيقة الإسلام، ويتم هذا بالتوجيه والرعاية في البيت والأسرة، والمناهج التعليمية، ووسائل الإعلام، وتنمية المجتمع.

يضاف إلى هذا دور الرعاية والتوجيه من القيادات الإسلامية والدأب على العمل النافع وتذكير الناس دائمًا بما ينفعهم وينمي العقيدة في نفوسهم: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولا ريب أنَّ الغفلة من أسباب نفاذ أعداء الإسلام إلى ديار الإسلام بالثقافة والعلوم التي تباعد المسلمين عن دينهم شيئًا فشيئًا، وبذلك يكثر الشر بينهم ويتأثرون بأفكار أعدائهم، والله سبحانه وتعالى يأمر الفئة المؤمنة بالصبر والمصابرة، والمجاهدة في سبيله بكل وسيلة، في قوله جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يصلح أحوال المسلمين، ويفقهم في الدين، وأن يجمع كلمة قادتهم على الحق ويصلح لهم البطانة، إنَّه جواد كريم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[١].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٥/ ٢٠٤-٢٠٦].

الفصل الرابع

بعنوان

ردود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله على دعاة وحدة الأديان أو التقريب بينها

واشتمل على:

١- تمهيد في نشأة الدعوة إلى وحدة الأديان، وحكم من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم.

٢- رد سماحة الشيخ على مقالٍ لشيخ الأزهر نُشر بجريدة الجزيرة.

٣- رد سماحة الشيخ على مقال نُشر بجريد الشرق الأوسط يجيز الخروج عن شريعة محمد ﷺ.

٤- رد سماحة الشيخ على المفكر الفرنسي روجيه جارودى في دعوته لوحدة الأديان على ضوء مقابلة مجلة المجلة لروجيه جارودى.

٥- رد سماحة الشيخ على جريدة عكاظ بعنوان لا أخوة بين المسلمين والكافرين ولا دين حق غير دين الإسلام.

٦- رد سماحة الشيخ على بعض الصحف المحلية في دعوتها لعدم عداوة اليهود والنصارى.

٧- رد سماحة الشيخ على جريدة اليوم بعنوان (الإسلام هو الدين الحق).

٨- رد سماحة الشيخ على صحيفة المدينة بعنوان (الإسلام هو دين الله ليس دين سواه).

٩- جواب لسماحة الشيخ بعنوان (إنّ الدّين عند الله الإسلام).

الفصل الرابع

ردود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله على دعاة وحدة الأديان أو التقريب بينها

تمهيد:

نشأة الدعوة إلى وحدة الأديان، أو التقريب بينها:

من الدعوات المشبوهة في العصر الحاضر، وإن كانت لها جذور في القديم الدعوة إلى وحدة الأديان، أو التقريب بينها باسم الحوار بين الأديان، وعُقِدَت لذلك مؤتمرات مشبوهة، اجتمع فيها من يسمونهم علماء الدين من الأديان الثلاثة وتحاوروا فيما بينهم تقريبًا للمفاهيم بين الأديان، بل وصل الكفر والردة بأحد الداعين إلى التقريب بين الأديان أن يقول: ((الشيخ والقسيس قسيسان، وإن شئت فقل هما شيخان)) نعوذ بالله من الكفر والرِدة والخذلان، ولا شك أنَّ الدعوة إلى وحدة الأديان، كفر بواحٌ، ورِدة عن الإسلام، وإن تسمت بمسميات أخرى كالتقارب بين الأديان، والتعايش بين الأديان، التقارب والحوار بين الأديان، وزمالة الأديان، أو التقارب من أجل مقاومة الإلحاد، فتغير الاسم لا يُغير من حقيقة المُسمى أو حكمه.

وهذه الدعوة قد وُجِدتْ قديمًا من الملاحدة، والزنادقة من الصوفية كابن الفارض، وابن عربي، والتلمساني وابن سبعين كما وُجِدت عند التتار الذين اظهروا الإسلام مع عدم التزامهم به وقد أشار شيخ الإسلام إلى ذلك في مواضع من كتبه[1].

---

(١) راجع الصفدية [١/ ٢٦٨]، ومجموع الفتاوى [١٤/ ١٦٥]. ومجموع الفتاوى [٢٨/ ٥٢٣] راجع في تاريخ الدعوة إلى وحدة الأديان (الموسوعة الميسرة) [٢/ ١١٦٩-١١٨٨] ط/ الندوة العالمية للشباب للطباعة والنشر.

ومن أشهر دعاة وحدة الأديان في العصر الحديث، الرافضي الماسوني داعية التفرنج والتحرر والتغريب: "جمال الدين الأفغاني" وعنه تلقفها تلميذه "محمد عبده"[(١)] ومن دعاتها أيضًا روجيه جارودي الذي يدعوا إلى ديانة تسمى الديانة "الإبراهيمية"[(٢)].

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على روجيه جارودي الشيوعي الفرنسي من دعاة وحدة الأديان: ((افتضح أمره وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين، وأنَّه لم يزل على كفره وإلحاده فانضم إلى أشكاله من المنافقين، ... وآخر ما نشر عنه الحوار الذي أجرته مجلة المجلة في عددها (٨٣٩) حيث جاء فيه أنه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة، وأنَّه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمون، وإنما اعتنق إسلامًا آخر تخيله بذهنه زعم أنَّه خليط من الأديان اليهودية والنصرانية، ومن الإسلام، ... وكذب في ذلك لأنَّ الإسلام في مخيلته معناه التوحيد، والتقارب بين المسلمين، وغير المسلمين ويريد إسلامًا يجمع بين المتناقضات والمتضادات))[(٣)].

يقول جمال الدين الأفغاني مبينًا أنَّ اختلاف أهل الأديان ليس من تعاليمها: ((أما اختلاف أهل الأديان فليس هو من تعاليمها، ولا أثر له في كتبها وإنما هو من صنع بعض رؤساء أولئك الأديان الذين يتجرون بالدين، ويشترون بآياته

---

(١) انظر كشف هذه الشخصية وماسونيتها كتاب (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام) مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال ـ دار طيبة ـ رسالة علمية فريدة في بابها. وانظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر في ذلك كتاب (لا لجارودي ووثيقة أشبيلية) لسعد ظلام.

(٣) ورد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز عليه وحكمه عليه بالكفر والردة (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) [٩/ ١٦٣-١٩٥] ط/ أصداء المجتمع.

ثمنًا قليلاً، ساء ما يفعلون))[1].

سبحانك هذا بهتان عظيم الخلاف بين أهل التوحيد، وأهل التثليث من صنع رؤساء الأديان، الخلاف بين أهل التوحيد، ومن يقولون المسيح ابن الله، أو عزير ابن الله من صنع رؤساء الأديان، الخلاف بين من يؤلهون المسيح وبين أهل التوحيد خلاف طارئ من صنع البشر، ما أجرأ صاحب هذا الكلام على دين الله.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾ [مريم: ٨٨].

قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ [المائدة:١٧].

ليس الخلاف كذلك، إنما هو خلافٌ بين الكفر والإيمان، والتوحيد، الشرك، وإذا كان الأمر كذلك فما لزوم بعثة الرسول ﷺ، ودعوته لليهود والنصارى ليدخلوا الإسلام.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

يقول الأفغاني كلامًا خطيرًا مكفرًا مخرجًا عن الملة: ((إنَّ الأديان الثلاثة الموسوية ـ والعيسوية ـ والمحمدية من تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر استكملته الثانية...، وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير، أن يتحد أهل الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وأنَّه بهذا الاتحاد يكون البشر قد

(١) راجع في ذلك (الأعمال الكاملة) [١٦٩] د/ محمد عمارة وقد تأثر به ونقل عنه هذه النقولات في الدعوة إلى وحدة الأديان. وتأول بعضها راجع في بيان ضلالات محمد عمارة (محمد عمارة في ميزان الإسلام) للخراشي فهي رسالة جيدة كشفت هذه الشخصية انحرافها عن الإسلام وراجع الأفغاني في ميزان الإسلام ص٢٤٣.

خطا نحو السلام خطوة كبيرة)) (١).

انظر إلى نسبته الأديان إلى الأنبياء، وليس إلى الله تعالى وهذا من توجهه الماسوني الواضح، وهذا فيه نوع من الزندقة، وإنكار أن تكون الرسالة من عند الله(٢).

وتأمل الدعوة الصريحة أنْ تتوحد الأديان، وأن يتحد أهلها.

وتأمل تصوره الفاسد عن وجود نقص في كل دين يمكن أن يستكمل من الدين الآخر، ويدخل في ذلك الإسلام واتهامه له بالنقص، وهذا من الكفر المحض اتهامه الإسلام بالنقص وقد قال تعالى في نص واضح محكم: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

يقول محمود أبو رية وهو من تلاميذ الأفغاني والمتأثرين به: ((ويروي عن السيد (الأفغاني) أنَّه كان يحاول أن يحل مسألة الأقانيم الثلاثة عند المسيحية.. ومن هذا يظهر أن السيد (الأفغاني) كان يحاول أن تتسع الوحدة بين المسلمين والمسيحيين الأمتين اللتين كان بينهما عطف، وتعاون عريق من فجر الإسلام)) أما موقف تلميذه محمد عبده وهو من شيوخ الأزهر، فهو من أكبر الداعين إلى وحدة الأديان والتقريب بينها فقد ذكر رشيد رضا، وهو تلميذ محمد عبده رسالتين للشيخ محمد عبده في كتابه ((تاريخ الأستاذ الإمام، موجهتان إلى القس الإنجليزي (تيلور) للتقريب بين الإسلام والنصرانية وبين اشتراك اليهود فيها))(٣).

---

(١) الأعمال الكاملة [٦٩-٧٠].

(٢) انظر في إثبات ماسونية الأفغاني (موقف العقل والعلم من رب العالمين) مصطفى صبري (١/ ١٤٤)، وانظر اتهامه بالإلحاد والزندقة (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام) [٢٩٥].

(٣) جمال الدين الأفغاني ـ محمود أبو رية [٥٦]، راجع دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ص٢٤٧، وراجع تاريخ الدعوة إلى وحدة الأديان (الاتجاهات الوطنية) [٢/ ٣١٨-٣٢٠].

قال الدكتور توفيق الطويل متحدثًا عن محمد عبده: ((توخى الإمام أن يدافع في رده عن الإسلام دون أن يقدح في المسيحية، انتهى من رده إلى تنزيه الديانتين وإثبات أن من يدين بإحداهما على حقيقتها لا يحمل لمن يدين بالأخرى عداء،.. وسرت هذه الروح بعده حتى اشتعلت في مصر ثورة ١٩١٩م[١] بقيادة صحبه وتلاميذه، وفي مقدمتهم سعد زغلول، واتحد الهلال والصليب وخطب شيوخ الأزهر في الكنائس، واعتلى القس منابر الأزهر))[٢].

يقول الدكتور محمد محمد حسين: ((أما الدعوة إلى التوفيق بين المسيحية والإسلام فهي دعوة قديمة نرى طلائعها في مذكرات بلنت)) [٣].

((ولم تزل هذه المسألة من ذلك الوقت تثور بين حين وأخر تثيرها الصحف حينًا ويثيرها دعاة الغرب حينًا آخر، والعجيب المريب في هذه الدعوة أنَّ الذين يُنادون بالتقرب هم أنفسهم الذين يوجهون إلينا المطاعن الظالمة، ويذيعون التُّهم الباغية، وهم أنفسهم الذين يخوضون في دماء المسلمين))[٤].

سبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة فدعاة وحدة الأديان، والتعايش السلمي بين الأديان والحضارات يدكُّون بلاد المسلمين، ويحتلونها، ويخوضون في دماء المسلمين وصدق الله تعالى.

إذ يقول: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) ثورة وطنية علمانية دعت إلى فصل الدين عن الدولة، ودعا أصحابها إلى تحكيم الدساتير الوضعية، وإلى تعرية المرأة من حجابها وخروجها سافرة، وإعطائها حقوقها التي هضمها الإسلام في زعمهم.

(٢) الفكر العربي في مائة سنة ص٢٣٥/ دعوة جمال ٢٤٧.

(٣) ويلفرد بلنت بريطاني مستشرق ولد ١٨٤٠ ـ توفي ١٩٢٢ عاش في مصر زمنا ـ الاتجاهات الوطنية (٢/ ٣١٩) حاشية.

(٤) السابق [٢/ ٣٢٠/ ٢] وراجع في تاريخ هذه الدعوة (الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان) الشيخ أبو زيد ص١٦-٣٤.

قالت اللجنة الدائمة للإفتاء بالدِّيار السعودية في الدعوة إلى التقارب بين الأديان:

((إنَّ من يحدِّث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه بين النقيضين بين الحق والباطل بين الكفر والإيمان وما مثله إلا كما قيل.

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يمان[1]

الخلاصة مما سبق:

١- الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة كفرية خبيثة من اعتنقها، أو دعا إليها، فقد ارتدَّ عن الإسلام والعياذ بالله.

٢- روَّج لهذه الدعوة قديما، الملاحدة والزنادقة، ودعاة الحلول والاتحاد والزندقة.

٣- روَّج لهذه الدعوة حديثًا دعاة الماسونية المتأثرون بالغرب الداعون إلى الأخذ بحضارته وثقافته في كل الأمور.

٤- عُقِدَت المؤتمرات المشبوهة في بلاد المسلمين من أجل الترويج لهذه الدعوة.

٥- خطورة هذه الدعوة، وما فيها من كُفر ظاهر ووجوب كشفها، وكشف رموزها والداعين إليها في أقطار المسلمين.

٦- الدعوة إلى التقريب بين الأديان دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة [٢/ ١٣١] ط/ دار العاصمة ورجع الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ص٣٥ د/ بكر أبو زيد.

للمسلمين، ودعوة لهم إلى رِدة شاملة عن الإسلام لاصطدامها مع بدهيات الاعتقاد، ولا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًا الاستجابة لها، أو الدخول في مؤتمراتها ونداوتها واجتماعاتها أو محافلها، بل يجب نبذها، واحتساب الطعن فيها، وفي دعاتها[(١)].

(١) راجع في ذلك الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره [٣٥-٣٦].

من لم يكفر اليهود والنصارى أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم

إنَّ تكفير الكافرين من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أهل الملل الكافرة أمرٌ معلوم من الدين بالضرورة دلت عليه الأدلة المحكمة من القرآن والسنة وإجماع الأئمة.

قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى عن النصارى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال أيضًا عنهم مبينًا كفرهم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [مريم: ١٧].

وقال عن كفر اليهود: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال أيضًا عن كفرهم: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من الأمة يهودي ولا نصراني، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(١).

---

(١) صحيح مسلم [١/ ٩٣]، كتاب الإيمان.

أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في كفر من لم يكّفر اليهود والنصارى واستحسن دينهم:

١. قال شيخ الإسلام رحمه الله في بيان كفر من استحسن الشريعة النصرانية أو اليهودية: ((أو قول القائل: المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن بعض ما فيها: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية، المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيها، مما يخالف دين الله، أو التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة))[١].

٢. قال شيخ الإسلام مُبينًا كفر من لم يكفر اليهود والنصارى، وأنَّه ليس بمسلم باتفاق المسلمين: ((فمن لم يقر ظاهرًا وباطنًا بأنَّ الله لا يقبل دينًا سوى الإسلام، فليس بمسلم، ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه ﷺ، بدين اليهود والنصارى، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم))[٢].

٣. قال شيخ الإسلام مبينًا أن من أسباب كفر التتار اعتقادهم أنَّ الأديان طرق موصلة لله: ((وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهودية والنصارى، وأنَّ هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب، وهذا معلوم بالاضطرار من دين المسلمين، وباتفاق جميع المسلمين، أنَّ من سوَّغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد فهو كافر، وهو ككفر من آمن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم [١/ ٥٤٠].

(٢) مجموع الفتاوى [٢٧/ ٤٦٣-٤٦٤]، قال القاضي عياض رحمه الله: "ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم أوشك، أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهار ما أظهر من خلاف ذلك" الشفا [٢/ ١٠٧].

ببعض الكتاب وكفر ببعض))[١].

وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية:

س: نريد معرفة حكم من لم يكفر الكافر؟

ج: "من ثبت كفره وجب اعتقاد كفره والحكم عليه وإقامة ولي الأمر الحد عليه إن لم يتب، ومن لم يكفر من ثبت كفره، فهو كافر، إلا أن تكون له شبهة في ذلك، فلابد من كشفها"[٢].

الخلاصة:

إنّ من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر، لأن الله جلّ وعلا كفَّرهم في آيات كثيرة من كتابه وأمر بعداوتهم لافترائهم الكذب عليه، ولجعلهم شركاء مع الله، وادعائهم بأنَّ له ولدًا، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك مع ظهور الأمر فيهم، أو شك في كفرهم مع بيانه، فهو مثلهم، أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر والطغيان، فهذا كافر بإجماع المسلمين، ولابد لكل مسلم من أن يُكفر المشركين، وأن يعاديهم وأن يبغضهم[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى [٢٨/ ٥٣٤].

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة [٢/ ١٤٢]، ط دار العاصمة.

(٣) مستفاد بتصرف واختصار من كتاب (التبيان شرح نواقض الإسلام) للشيخ سليمان بن ناصر العلوان [٢٩-٣١]، ط دار الوطن وراجع شرح نواقض الإسلام للشيخ صالح الفوزان ط/ مكتبة الرشد.

تعقيب على مقالة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر نشر بجريدة الجزيرة بعنوان

علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((من عبد العزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ سماحة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفقه الله للخير

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطَّلعْت على مقالة لسماحتكم نشرتها صحيفة الجزيزة السعودية في عددها الصادر في يوم الجمعة ١٦/ ٥/ ١٤١٥هـ بعنوان: (علاقة الإسلام بالأديان الأخرى) ورد في أولها من كلامكم ما نصه:

(الإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى، هو السلام العام، والود والتعاون؛ لأنَّ الإنسان عمومًا في نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله تعالى، وفضَّله على كثير من خلقه؛ يدل لهذا قول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، والتكريم الإلهي للإنسان بخلقه، وتفضيله على غيره يُعَدُّ رباطًا ساميًا يشد المسلمين إلى غيرهم من بني الإنسان، فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله تعالى في سورة الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، أصبح واجبًا

عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، والشعوب غير المسلمة؛ نزولاً عند هذه الأخوة الإنسانية، وهذا هو معنى التعارف الوارد في الآية...) إلخ.

ولقد كدَّرني كثيرًا ما تضمنته هذه الجمل من المعاني المخالفة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ورأيت من النصح لسماحتكم التنبيه على ذلك، فإنَّه لا يخفى على سماحتكم أن الله سبحانه قد أوجب على المؤمنين بغض الكفار، ومعاداتهم، وعدم مودتهم وموالاتهم، كما في قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ١-٤]، وقال سبحانه في سورة المجادلة: ﴿ لَّا

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها من الآيات الأخرى كلها تدلُّ على وجوب بغض الكفار، ومعاداتهم، وقطع المودة بينهم وبين المؤمنين حتى يؤمنوا بالله وحده.

أما التعارف الذي دلَّت عليه آية الحجرات فلا يلزم منه المودة ولا المحبة للكفار، وإنما تدل الآية أنَّ الله جعل بني آدم شعوبًا وقبائل؛ ليتعارفوا، فيتمكنوا من المعاملات الجائزة بينهم شرعًا؛ كالبيع والشراء وتبادل السفراء،[1] وأخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس... وغير ذلك من العلاقات التي لا يترتب عليها مودة ولا محبة.

وهكذا تكريم الله سبحانه لبني آدم لا يدل على جواز إقامة علاقة المودة والمحبة بين المسلم والكافر، وإنما يدل ذلك على أنَّ جنس بني آدم قد فضله الله على كثير من خلقه.

فلا يجوز أن يستنبط من الآيتين ما يخالف الآيات المحكمات المتقدّمة وغيرها الدالة على وجوب بغض الكفار في الله ومعاداتهم، وتحريم مودتهم وموالاتهم؛ لما بينهم وبين المسلمين من البون العظيم في الدين.

والواجب على أهل العلم تفسير القرآن بما يصدِّق بعضه بعضًا وتفسير

---

(١) ينبغي التنبه: أنَّ مراد الشيخ من السفراء: الرسل الذين تدعو الحاجة إلى إرسالهم لا السفراء المقيمون كما هو الجاري، ومعلوم ما لهؤلاء السفراء من أهداف وأعمال في بلاد المسلمين، أفادها الشيخ البراك في تعليقه على هذا الكتاب.

المشتبه بالمحكم، كما قال جلا وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧]، مع أنَّ الحكم بحمد الله في الآيات المحكمات المذكورة وغيرها واضح لا شبهة فيه، والآيتان اللتان في التعارف والتكريم، ليس فيهما ما يخالف ذلك.

وقد ورد في المقال أيضًا ما نصه: (فنظرة المسلمين إذًا إلى غيرهم من اتباع اليهودية والنصرانية هي نظرة الشريك إلى شركائه في الإيمان بالله، والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة).

وهذا ـ كما لا يخفى على سماحتكم ـ حكم مخالف للنصوص الصريحة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان بالله ورسوله، وتسمية من لم يستجب منهم لهذه الدعوة كفارًا.

ومن المعلوم أنَّ جميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء قد نُسِختْ بشريعة محمد ﷺ، فلا يجوز لأحد من الناس أن يعمل بغير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ

ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال عن اليهود والنصارى في سورة التوبة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، والآيتين بعدها.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، كلها تدل على كفر اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وتكذيبهم لمحمد ﷺ، وعدم إيمانهم به إلا من هداه الله منهم للإسلام.

وقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" والأحاديث الدالة على كفر اليهود والنصارى، وأنَّهم أعداء لنا كثيرة.

وإباحة الله سبحانه للمسلمين طعام أهل الكتاب ونساءهم المحصنات منهن لا تدل على جواز مودتهم ومحبتهم، كما لا يخفى على كل من تدبر الآيات وأعطى المقام حقه من النظر والعناية.

وبذلك كله يتبين لسماحتكم خطأ ما ورد في المقال من:

١- القول بأنَّ الود والمحبة من أساسيات العلاقة في الإسلام بين الأديان والشعوب.

٢- الحكم لأتباع اليهودية والنصرانية بالإيمان بالله، والعمل بالرسالة الإلهية التي لا تختلف في أصولها العامة.

وتواصيًا بالحق كتبت لسماحتكم هذه الرسالة، راجيًا من سماحتكم إعادة النظر في كلامكم في هذين الأمرين، وأن ترجعوا إلى ما دلَّت عليه النصوص، وتقوموا بتصحيح ما صدر منكم في الكلمة المذكورة؛ براءةً للذمة، ونصحًا للأمة، وذلك مما يحمد لكم إن شاء الله، وهو يدل على قوة الإيمان، وإيثار الحق على غيره متى ظهرت أدلته.

والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم وسائر علماء المسلمين لمعرفة الحق واتباعه، وأن يمن علينا جميعًا بالنصح له ولعباده، وأن يجعلنا جميعًا من الهداة المهتدين، إنَّه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه))(١).

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ١٩٠-١٩٥].

رد سماحة الشيخ على مقال نشر بجريدة الشرق الأوسط يجيز الخروج على شريعة محمد ﷺ

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطَّلعت على المقال المنشور بجريد الشرق الأوسط بعددها رقم (٥٨٢٤) وتاريخ ٥/ ٦/ ١٤١٥هـ كتبه من سمى نفسه: عبدالفتاح الحايك تحت عنوان: (الفهم الخاطئ).

وملخص المقال: إنكاره لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وبالنص والإجماع، وهو عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس، وادعاؤه أن من لم يتبع محمدًا ﷺ ولم يطعه، بل بقي يهوديًا أو نصرانيًا فهو على دين حق، ثم تطاول على رب العالمين سبحانه في حكمته في تعذيب الكفار والعصاة، وجعل ذلك من العبث.

وقد قام بتحريف النصوص الشرعية، ووضعها في غير مواضعها، وفسرها بما يمليه هواه، وأعرض عن الأدلة الشرعية والنصوص الصريحة الدالة على عموم رسالة محمد ﷺ، وعلى كفر من سمع به ولم يتبعه، وأن الله لا يقبل غير الإسلام دينًا، إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التي أعرض عنها؛ لينخدع بكلامه الجهال.

وهذا الذي فعله كفر صريح، وردةٌ عن الإسلام، وتكذيبٌ لله سبحانه ولرسوله ﷺ، كما يعلم ذلك من قرأ المقال من أهل العلم والإيمان.

والواجب على ولي الأمر إحالته للمحكمة لاستتابته، والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر.

والله ﷻ قد بين عموم رسالة محمد ﷺ، ووجوب اتباعه على جميع الثقلين، وذلك لا يجهله من له أدنى مسكة من علم من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وروى البخاري ومسلم، عن جابر ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "أُعطِيتُ خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

وهذا بيان صريح لعموم وشمول رسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع البشر، وأنها نسخت جميع الشرائع المتقدمة، وأن من لم يتبع محمدًا ﷺ ولم يطعه فهو كافر عاص مستحق لعقابه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله سبحانه قد قرن طاعة الرسول ﷺ بطاعته، وبين أن من اعتقد غير الإسلام فهو خاسر لا يقبل منه صرف ولا عدل، فقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦]، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار".

وقد بين رسول الله ﷺ بفعله وقوله بطلان ديانة من لم يدخل في دين الإسلام، فقد حارب اليهود والنصارى، كما حارب غيرهم من الكفار، وأخذ ممن أعطاه منهم الجزية حتى لا يمنعوا وصول الدعوة إلى بقيتهم، وحتى يدخل من شاء منهم في الإسلام دون خوف من قومه أن يصدوه أو يمنعوه أو يقتلوه.

وقد روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﷺ قال: (بينما نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: "انطلقوا إلى يهود" فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: "يا معشر يهود، أسلموا تسلموا"، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ذلك أريد، أسلموا تسلموا"، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ذلك أريد"، ثم قالها الثالثة..) الحديث.

والمقصود: أنه ﷺ ذهب إلى أهل الديانة من اليهودية في بيت مدراسهم فدعاهم إلى الإسلام، وقال لهم "أسلموا تسلموا"، وكررها عليهم، وكذلك بعث بكتابه إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ويخبره أنه إن امتنع فإن عليه إثم الذين امتنعوا من الإسلام بسبب امتناعه منه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن هرقل دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه فإذا فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]"، ثم لما تولوا ورفضوا الدخول في الإسلام قاتلهم ﷺ هو وأصحابه ﷺ وفرض عليهم الجزية.

ولتأكيد ضلالهم وأنهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد ﷺ أمر الله المسلم أن يسأل الله في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة أن يهديه الصراط المستقيم الصحيح المتقبل، وهو: الإسلام، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم، وهم: اليهود وأشباههم الذين يعلمون أنهم على باطل ويصرون عليه، ويجنبه طريق الضالين الذين يتعبدون بغير علم ويزعمون أنهم على طريق هدى وهم على

طريق ضلالة، وهم: النصارى، ومن شابههم من الأمم الأخرى التي تتعبد على ضلال وجهل، وكل ذلك؛ ليعلم المسلم علم اليقين أن كل ديانة غير الإسلام فهي باطلة، وأن كل من يتعبد لله على غير الإسلام فهو ضال، ومن لم يعتقد ذلك فليس من المسلمين. والأدلة في هذا الباب كثيرة من الكتاب والسنة.

فالواجب على صاحب المقال ـ عبدالفتاح ـ أن يبادر بالتوبة النصوح، وأن يكتب مقالاً يعلن فيه توبته، ومن تاب إلى الله توبة صادقة تاب الله عليه؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، ولقول النبي ﷺ: "الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها"، وقوله ﷺ: "التائب من الذنب كَمنْ لا ذنب له"، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وأسأل الله ﷻ أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وان يمن علينا وعلى الكاتب عبدالفتاح وعلى جميع المسلمين بالتوبة النصوح، وأن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن وطاعة الهوى والشيطان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٨/ ١٩٦-٢٠١].

بيان حكم الشرع
في الجارودي على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كثر في الآونة الأخيرة في الصحف والمجلات، الكلام عن الرجل المسمى (روجيه جارودي) الشيوعي الفرنسي، الذي ادَّعى أنَّه دخل الإسلام عن اقتناع ومحبة، ففرح بذلك بعض المسلمين، وأظهروا حفاوة به وأكرموه ومنحوه الثقة، وجعلوه عضوًا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي، وصار يحضر الندوات واللقاءات التي تُعقد في العالم الإسلامي عن الإسلام متحدثًا ومناظرًا.

ثم لم يلبث أن تَكشَفت حقيقته، وافتُضِح أمره، وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين، وأنَّه لم يزل على كفره وإلحاده، فانضم إلى أشكاله من المنافقين الذي قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وأخر ما نُشِرَ عنه الحوار الذي أجرته معه مجلة المجلة في عددها (٨٣٩) حيث جاء فيه أنَّه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة، وأنَّه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمون، وإنما اعتنق إسلامًا آخر تخيله بذهنه، زعم أنَّه خليط من الأديان: اليهودية والنصرانية، ومن الإسلام الذي تخيله هو لا الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ وقال: إنَّ هذا الإسلام المزعوم هو دين إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم

(١) مقال صدر من مكتب سماحته برقم ٣٠٨٨/ ١ في ٢١/ ١١/ ١٤١٧هـ.

بزعمه هو أول المسلمين، فالإسلام بدأ من عهد إبراهيم قال: ولم يكن إبراهيم يهوديًا ولا مسيحيًا، ولا مسلمًا بالإسلام التاريخي للكلمة أي الذي عليه المسلمون اليوم، وكذب في ذلك، فإنَّ الإسلام الذي هو توحيد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو موجود من قبل إبراهيم من عهد آدم ونوح والنبيين من بعده وهو دين جميع الرسل. وهو الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهو دين المسلمين اليوم من أتباع محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ولم يكن دين إبراهيم عليه السلام خليطًا من الحق والباطل كما زعم هذا الضال بل كان دينه التوحيد الخالص لله ﷻ والبراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وهو الدين الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، ويرى هذا الضال أن البراءة من الكفر والشرك وما عليه اليهود والنصارى من الوثنيات والتخريفات الباطلة دين تفرقه؛ لأنَّ الإسلام في مخيلته معناه التوحيد والتقارب بين المسلمين، وغير المسلمين، يريد إسلامًا يجمع بين المتناقضات والمتضادات ويكفر المسلمين الذين يخالفونه في ذلك.

ويرى أيضًا أنَّ سنة الرسول ﷺ، وأنَّ الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب

والسنة انتهت صلاحيتها في هذا الزمان، لأنّهما كانا لزمان معين، وأنّه يجب إحداث فقه جديد وهذا معناه ترك دين الرسول ﷺ لأنّه لا يصلح لهذا الزمان، وإحداث دين جديد، وهذا كفرٌ بعموم رسالة الرسول لكل زمان ومكان، ولكل جيل، ولكل البشرية إلى أن تقوم الساعة، وكفر بختم الرسالة بمحمد ﷺ خاتم النبيين، وكفر بصلاحية رسالته لكل زمان ومكان، وهذا كفر صريح، وقول قبيح مناقض لقول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وقول النبي ﷺ: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(١). وقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"(٢). والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمع العلماء رحمهم الله من الصحابة ﷺ ومن بعدهم إجماعًا قطعيًا على أنَّ محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ هو رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن وهو خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثم يتناول هذا الملحد الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو الصلوات

---

(١) متفق على صحته: رواه البخاري في التيمم برقم ٣٢٣ واللفظ له، ورواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ٨١٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الإيمان برقم ٢١٨.

الخمس الثابت بالكتاب والسنة والمعلوم من الدين بالضرورة، فيرى أنَّ الصلوات ثلاث صلوات في اليوم والليلة لا خمس صلوات يزعم أنَّ هذا هو ما يدل عليه القرآن وهذا القول الباطل بل الكفر الصريح ناتج عن كفره بالسنة التي بينت الأوامر التي جاءت في القرآن ومن ذلك الصلوات، فقد بينت السنة الصحيحة المتواترة أنّها خمس صلوات في اليوم والليلة وأجمع المسلمون على ذلك.

ثمّ بينَّ هذا الضال الصلاة التي يعنيها، وأنَّها ليست الحركات التي هي عبارة عن القيام والقراءة والركوع والسجود، وإنما هي التفكير العميق في الذات الإلهية، وذلك يستغرق عنده ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين ساعة، وهذه صلاة الباطنية الملاحدة لا صلاة الأنبياء وأتباعهم، وهذا القول كفر صريح ورِدة عن الإسلام عند جميع أهل العلم ثم تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام وقال: إنَّه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وإنما هو معاني الصيام وأهدافه، ثم إنه أعفى سكان المناطق القطبية من الصيام، لأنَّه لا يمكن تطبيقه في مناطقهم لأنَّه ليس عندهم طلوع فجر ولا غروب شمس، وهذا تكذيب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين في أنَّ الصيام ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات. قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال النبي ﷺ: "إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم"(١) فمن أعظم منافيات الصيام الأكل والشرب، وأما الاقتصار على معاني الصيام وأهدافه، فليس صيامًا شرعيًا، وإنما هو صيام الباطنية الذين يقولون الصيام هو كتم الأسرار، وهذا إلحاد

---

(١) متفق على صحته: رواه البخاري في الأذان برقم٥٨٧، ورواه مسلم في الصيام برقم ١٨٢٩، واللفظ متفق عليه.

في دين الله ﷻ، وكذلك لا يعفى أحدٌ من الصيام في جميع أقطار الأرض لأنَّ أحكام الشريعة عامة للبشرية أينما كانت وإنما يصوم المسلم حسب استطاعته.

وكيفية صيام أهل المناطق القطبية قد بحثها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا وقرروا فيها رأيهم حسب ما ظهر من أدلة الكتاب والسنة، ثم إنَّ هذا الملحدُ يُجهِّل علماء المسلمين فيقول: قد عملت معهم عندما كنت عضوًا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد واكتشفت أنَّهم أناس جهلة، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقًا يرددون بطرق آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب، ولا اعتقد أن لديَّ استعدادًا للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذهني.

هذا شعوره نحو علماء الإسلام الذين اغتر الكثير منهم به، وأحسنوا به الظن وأكرموه وأشركوه معهم في مؤتمراتهم وندواتهم. وإنها لموعظة للعلماء أن لا يتسرعوا بمنح الثقة لمن تظاهر بالإسلام خصوصًا من أمثال جارودي ممن عُرِفوا بالإلحاد والزندقة والشيوعية قبل ادعاء الإسلام حتى يتثبتوا في شأنه.

ومن كفر جارودي الصريح أنَّه يدعو إلى تعطيل حد السرقة، وتغيير مقادير المواريث، فيرى أنَّ قطع يد السارق اليوم غير مناسب، وهذا اتهام للإسلام بالقصور وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان، بل هو وصفٌ لله سبحانه بالجهل، وأنه لا يعلم ما يُجِدُّ في المستقبل وما يناسبه من العقوبة فإن لله سبحانه أمر بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا ثم ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان ثم يقول: لو كنت قاضيًا، وجاءني أخ وأخت يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطي الذكر، وهذا مصادم لقول الله تعالى في

شأن الإخوة في أخر سورة النساء: ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولقوله تعالى في أول السورة: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] فهو اعتراض على الله في حكمه وكفى بذلك كفرًا وإلحادًا.

ثم يدعو علماء الإسلام أن يتمردوا على شرع الله كما تمرد المسيحيون على البابا، وثاروا في وجه الكنيسة، فهو يسوي بين الدين الحق الذي هو دين الإسلام ودين الكفر الذي هو دين البابوات ورجال الكنيسة المغير لشرع الله.

وأخيرًا فإنَّ روجيه جارودي لا يحكم عليه بأنَّه مرتد عن دين الإسلام كما توهمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف هو بذلك حيث يقول: (انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية).

إنَّ دين الإسلام لا يجتمع مع القناعات الإلحادية، ولا يجتمع مع اليهودية والنصرانية، لأنهما ديانتان محرفتان ومنسوختان بدين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، وأمره أن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"(١)، وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أُعطِيتُ خمسًا لم يعطَهنَّ

(١) سبق تخريجه.

أحد قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأُعطِيتُ الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(١)، وبذلك يعلم أنَّه لا يسعُ أحدًا من هذه الأمة جِنها وإنسها إلا اتباع محمد ﷺ ولا يقبل الله من أحد بعد بعثته إلا دينه، ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]. وتقدم قوله ﷺ: "والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار)(٢). وذلك أنَّ الله سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنَّه لو بعث وأحد منهم حي وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضًا، فإنَّ من زعم أنَّه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد ﷺ بعدما بعثه الله يتبعه لأنَّ رسالته ختمت الرسالات وشريعته نسخت الشرائع، ولم يبق دين مقبول عند الله سوى الدين الذي بعثه الله به كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى يوم القيامة، كما تقدم ذلك في قوله سبحانه آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للناس: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وتقدم قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقول النبي ﷺ: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(١)، وقوله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"(٢).

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة، وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يثبتنا وإياهم على دينه، وأن يمنحنا جميعًا الفقه فيه والاستقامة عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شر أعداء الله ومكائدهم كالجارودي وأشباهه من سائر الملحدين والكافرين، إنَّه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين)).

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء ورئيس المجلس
التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.(٣)

---

(١) متفق على صحته: رواه البخاري في التيمم برقم ٣٢٣ واللفظ له، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ٨١٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) راجع مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٩/ ١٦٣ـ١٩٥] ط/ مكتبة أصداء المجتمع.

لا أخوة بين المسلمين والكافرين ولا دين حق غير دين الإسلام(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٣٩٤هـ خبرًا يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذكرت فيه أنَّ الاحتفال بذلك يعد تأكيدًا لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود.

كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ٢٩/ ٨/ ١٣٩٤هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه (ولا شك أنَّ هذا العمل يعتبر تأكيدًا لسماحة الإسلام وأنَّ الدين واحد) إلى آخره.

ونظرًا إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة علي أنَّه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنَّه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني، لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه، أمَّا النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم، ومن الأدلة على ما ذكرنا قول الله سبحانه في سورة الحجرات: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقول الله ﷻ في سورة الممتحنة: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقوله سبحانه في سورة

---

(١) نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الرابع، السنة السابعة في ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ.

المجادلة: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى في السورة المذكورة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله سبحانه في سورة المائدة أيضًا: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقوله تعالى في سور الكهف: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

وقول النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه"(١)، ففي هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث ما يدل دلالة ظاهرة على أنَّ الأخوة والمحبة إنما تكون بين

---

(١) رواه مسلم.

المؤمنين أنفسهم.

أما الكفار فيجب بغضهم في الله ومعاداتهم فيه سبحانه، وتَحرُم موالاتهم وتولِّيهم حتى يؤمنوا بالله وحده ويدعوا ما هم عليه من الكفر والضلال.

كما دلَّت الآيات الأخيرة على أنَّ الدين الحق هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ وسائر المرسلين، وهذا هو معنى قول النبي ﷺ:"نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد"[(١)]، أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غيرهما فكلها باطلة، وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به أو ما هو أكمل منه، لأنَّها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أمّا ما سواها فشرائع خاصة نسخت بشريعة محمد ﷺ التي هي أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد كما قال الله سبحانه يخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقد أوجب الله على جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه، كما قال تعالى في سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ثم قال ﷻ بعدها: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ونفى الإيمان عن جميع من لم يُحكِّمه، فقال سبحانه في سورة النساء: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا

(١) رواه البخاري في صحيحه.

يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وحكم على اليهود والنصارى بالكفر ورهبانهم أربابًا من دون الله ﷻ بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٣].

ولو قيل إنَّ هذا الاحتفال يعتبر تأكيدًا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع، لكان ذلك وجيهًا ولا محذور فيه، ولواجب النصح لله ولعباده رأيت التنبيه على ذلك؛ لكونه من الأمور العظيمة التي قد تلتبس على بعض الناس.

وأسأل الله أن يوفقنا وسائر المسلمين للأخوة الصادقة في الله والمحبة فيه ومن أجله، وأن يهدي أبناء البشرية جميعًا للدخول في دين الله الذي بعث به نبيه محمدًا ﷺ، والتمسك به وتحكيمه ونبذ ما خالفه، لأنَّ في ذلك السعادة الأبدية والنجاة في الدنيا والآخرة، كما أنَّ فيه حل جميع المشاكل في الحاضر والمستقبل إنَّه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه))(١).

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الرابع، السنة السابعة ١٣٩٥هـ.
وراجع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ١٧٣].

وجوب عداوة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفار

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد فقد نشرت بعض الصحف المحلية تصريحًا لبعض الناس قال فيه ما نصه: (إننا لا نُكِنُّ العداء لليهود واليهودية وإننا نحترم جميع الأديان السماوية)، وذلك في معرض حديثه عن الوضع في الشرق الأوسط بعد العدوان اليهودي على العرب، ولما كان هذا الكلام في شأن اليهود واليهودية يخالف صريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ويخالف العقيدة الإسلامية وهو تصريح يخشى أن يغتر به بعض الناس، رأيت التنبيه على ما جاء فيه من الخطأ نصحًا لله ولعباده.. فأقول:

قد دلَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أنَّه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء، كما أخبر الله سبحانه في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فاليهود والمشركون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]... على قوله سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى

ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣]، وقال ﷻ في شأن اليهود: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨٠-٨٢].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدلُّ دلالة صريحة على وجوب معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده، وتدلُّ أيضًا على تحريم مودتهم وموالاتهم وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران ١١٨-١٢٠]، ففي هذه الآيات الكريمات حثُّ المؤمنين على بغض الكافرين، ومعاداتهم في الله سبحانه من وجوه كثيرة، والتحذير من اتخاذهم بطانة،

والتصريح بأنَّهم لا يقصرون في إيصال الشر إلينا، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ والخبال هو: الفساد والتخريب، وصرح سبحانه أنَّهم يودون عنتنا، والعنت: المشقة، وأوضح سبحانه أنَّ البغضاء قد بدت من أفواههم وذلك فيما ينطقون به من الكلام لمن تأمله وتعقله وما تُخفي صدورهم أكبر من الحقد والبغضاء ونية السوء لنا أكبر مما يظهرونه، ثم ذكر ﷻ أنَّ هؤلاء الكفار قد يتظاهرون بالإسلام نفاقًا ليدركوا مقاصدهم الخبيثة وإذا خلوا إلى شياطينهم عضوا على المسلمين الأنامل من الغيظ، ثم ذكر ﷻ أنَّ الحسنات التي تحصل لنا من العز والتمكين والنصر على الأعداء ونحو ذلك تسوؤهم وأن ما يحصل لنا من السوء كالهزيمة والأمراض، ونحو ذلك يسرهم، وما ذلك إلا لشدة عداوتهم، وبغضهم لنا ولديننا، ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلَّت عليه الآيات الكريمات من شدة عداوتهم للمسلمين، والواقع من اليهود في عصرنا هذا، وفي عصر النبوة وفيما بينهما من أكبر الشواهد على ذلك، وهكذا ما وقع من النصارى وغيرهم من سائر الكفرة من كيد للإسلام ومحاربة أهله، وبذل الجهود المتواصلة في التشكيك فيه والتنفير منه والتلبيس على متبعيه وإنفاق الأموال الضخمة على المبشرين بالنصرانية والدعاة إليها، كل ذلك يدلُّ على ما دلت عليه الآيات الكريمات من وجوب بغض الكفار جميعًا، والحذر منهم، ومن مكائدهم ومن اتخاذهم بطانة، فالواجب على أهل الإسلام أن ينتبهوا لهذه الأمور العظيمة، وأن يعادوا، ويبغضوا مَن أمرهم الله بمعاداته وبغضه من اليهود والنصارى، وسائر المشركين حتى يؤمنوا بالله وحده، ويلتزموا بدينه الذي بعث به محمدًا ﷺ، وبذلك يحققون اتباعهم ملة أبيهم إبراهيم ودين نبيهم محمد ﷺ الذي أوضحه الله في الآية السابقة، وهي قوله ﷻ: ﴿ قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة. وفي قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨٢]، دلالة ظاهرة على أنَّ جميع الكفار كلهم أعداء للمؤمنين بالله سبحانه وبرسوله محمد ﷺ، ولكن اليهود والمشركين عباد الأوثان أشدهم عداوة للمؤمنين، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين على معاداة الكفار والمشركين عمومًا وعلى تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في مقابل شدة عداوتهم لنا، وذلك يوجب مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم. ثم إنَّ الله سبحانه مع أمره للمؤمنين بمعاداة الكافرين أوجب على المسلمين العدل في أعدائهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] فأمر سبحانه المؤمنين أن يقوموا بالعدل مع جميع خصومهم، ونهاهم أن يحملهم بغضُ قوم على ترك العدل فيهم وأخبر ﷻ أنَّ العدل مع العدو والصدق هو أقرب للتقوى.

والمعنى: أنَّ العدل في جميع الناس من الأولياء والأعداء هو أقرب إلى اتقاء غضب الله وعذابه، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] وهذه الآية الكريمة من أجمع الآيات في الأمر بكل خير والنهي عن كل شر، ولهذا رُوي أن النبي ﷺ لما بعث عبدالله بن رواحة الأنصاري إلى خيبر ليُخرِّص على اليهود ثمر النخيل، وكان النبي ﷺ قد عاملهم على نخيلها وأرضها بنصف ثمر النخل والزرع، فخرَّص عليهم عبدالله ثمر النخل، فقالوا له إنَّ هذا الخرص فيه ظلم، فقال لهم عبدالله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنَّكم لأبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، وإنه لن يحملني بغضي لكم وحبي لرسول الله ﷺ على أن أظلمكم) فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض، فالعدل واجب في حق القريب والبعيد والصديق والبغيض، ولكن ذلك لا يمنع من بغض أعداء الله ومعاداتهم ومحبة أولياء الله المؤمنين وموالاتهم، عملاً بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، والله المستعان.

أما قول الكاتب: (وإننا نحترم جميع الأديان السماوية) فهذا حق، ولكن ينبغي أن يعلم القارئ أنَّ الأديان السماوية قد دخلها من التحريف والتغيير ما لا يحصيه إلا الله سبحانه ما عدا دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه وخليله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، فقد حماه الله، وحفظه من التغيير والتبديل، وذلك بحفظه لكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسلم، حيث قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فقد حفظ الله الدين وصانه من مكائد الأعداء بجهابذة نقاد أمناء، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وكذب المفترين وتأويل الجاهلين، فلا يقدم أحد على تغيير أو تبديل إلا فضحه الله وأبطل كيده.

أما الأديان الأخرى فلم يضمن حفظها سبحانه، بل استحفظ عليها بعض

عباده فلم يستطيعوا حفظها، فدخلها من التغيير والتحريف ما الله به عليم كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، أمَّا ما كان من الأديان السماوية السابقة سليم من التغيير والتبديل فقد نسخه الله ببعث رسول الله ﷺ وإنزاله القرآن الكريم، فإنَّ الله سبحانه أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة ونسخ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم مهيمنًا على سائر الكتب السماوية، فالواجب على جميع أهل الأرض من الجن والإنس سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم، ومن سائر أجناس الجن أن يدخلوا في دين الله الذي بعث به خاتم الرسل إلى الناس عامة وأن يلتزموا به ويستقيموا عليه، لأنَّه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠]، وقال ﷻ: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى في سورة المائدة بعدما ذكر التوراة والإنجيل يخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠] ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة، والبرهان القاطع على وجوب الحكم بين اليهود والنصارى وسائر الناس بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ، وعلى أنَّه لا إسلام لأحد، ولا هداية إلا

باتباع ما جاء به، وأنَّ ما يخالف ذلك فهو في حكم الجاهلية وأنّه لا حكم أحسن من حكم الله، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. ففي هذه الآية الكريمة الدليل القاطع والحجة الدامغة على عموم بعثة النبي ﷺ لليهود والنصارى وأنَّه بعث بالتخفيف عنهم، وأنَّه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم وهكذا ما بعد ذلك إلى قيام الساعة إلا بالإيمان به ونصره وتعزيزه واتباع النور الذي أنزل معه.

ثم قال سبحانه بعد ذلك تأكيدًا للمقام وبيانًا لعموم الرسالة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ومن هذه الآية وما قبلها من الآيات يتضح لكل عاقل أنَّ الهداية والنجاة والسعادة إنما تحصل لمن آمن بمحمد ﷺ واتبع ما جاء به من الهدى، ومن حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال وبُعدٍ عن الهدى، بل هو الكافر حقًا وله النار يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ

إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأُعطِيتُ الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة". وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار".

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه دلالة ومقنع للقارئ على وجوب معاداة الكفرة من اليهود وغيرهم وبغضهم في الله وتحريم مودتهم واتخاذهم أولياء، وعلى نسخ جميع الشرائع السماوية ماعدا شريعة الإسلام التي بعث الله بها خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد ابن عبدالله ﷺ، وعلى سائر النبيين والمرسلين، وجعلنا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين أنّه على كل شيء قدير، وليس معنى نسخ الشرائع السابقة أنّها لا تُحترم، أو أنَّه يجوز التنقص منها، ليس هذا المعنى هو المراد، وإنما المراد رفع ما قد يتوهمه بعض الناس أنَّه يسوغ اتباع شيء منها، أو أنَّ من انتسب إليها من اليهود أو غيرهم يكون على هدى، بل هي شرائع منسوخة لا يجوز اتباع شيء منها لو عُلمت على التحقيق وسلمت من التغيير والتبديل، فكيف وقد جهل الكثير منها، لما أُدِخل فيها من تحريف أعداء الله الذين يكتمون الحق وهم يعلمون. ويكذبون

على الله وعلى دينه ما تقتضيه أهواؤهم ويكتبون الكتب من عندهم وبأيديهم ويقولون: إنَّها من عند الله، وبذلك يعلم كل من له أدنى علم وبصيرة أنَّ الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام وأن يلتزموا، وأنَّه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك لا إلى يهودية ولا نصرانية ولا إلى غيرهما، بل المفروض على جميع المكلفين من حين بعث الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى قيام الساعة هو الدخول في الإسلام والتمسك به، ومن اعتقد أنَّه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام، فهو كافر بإجماع أهل العلم، يُستتاب وتُبَيَّن له الأدلة فإن تاب وإلا قُتِل، عملاً بما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الثقلين والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونسأله ﷻ أن يثبتنا على دينه وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يَمُنَّ على عباده بالدخول في دينه، والكفر بما يخالفه، إنّه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى سائر النبيين والمرسلين وسائر الصالحين، والحمد لله رب العالمين))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ١٧٨-١٨٩].

رد سماحة الشيخ على جريدة اليوم

بعنوان

الإسلام هو الدين الحق وما سواه من الأديان باطل[1]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله الذي ارتضى لأمة محمد ﷺ دين الإسلام، وجعل شريعة محمد ﷺ خاتمة الشرائع وأكملها، وأرسل بها أفضل خلقه محمدًا ﷺ وبعد:

فقد اطَّلعت على ما نشر في جريدة (اليوم) العدد ٤٠٨٠ وتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٠٤هـ الصفحة الأخيرة تحت عنوان (معبد غريب للسيخ في الإمارات) نقلاً عن وكالة أنباء الخليج. وقد جاء في ذلك الخبر ما يلي: "ووصف أحد علماء المسلمين في دبي هو الدكتور محمود إبراهيم الديك هذا المعبد بأنَّه يشكل خطرًا كبيرًا على المسلمين وينبغي إزالته، وقال: إنَّ الديانات المسموح بها في الإمارات هي التي لها كتب سماوية فقط أما ما عدا ذلك فهي معتقدات كافرة ينبغي إزالة معابدها، ومنعها من ممارسة طقوسها حتى لا تؤثر على المسلمين في هذه الأرض" انتهى كلامه.

ومن يقرأ كلام الدكتور محمود الديك هذا يدرك منه أمرين:

أحدهما: أنّ اليهودية والنصرانية مسموح بهما في الأمارات سواء الانتماء إليهما، أو إقامة معابد لهما، أو مزاولة كافة طقوسهما، ومعنى ذلك أنَّ التبشير النصراني علني ومسموح له رسميًا هناك وهذا أمر خطير.

والأمر الثاني: هو أخطر من الأول: الحكم ضمنًا من واقع كلام هذا المتحدث بأنَّ الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية ليست كافرة، وبالتالي فإنَّه إذا كان

---

(١) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٣ ص٧-١١.

الأمر كذلك يجوز الدخول فيهما والانتماء إليهما والدعوة إليهما والتبشير بهما، ولن أتعرض لمعبد السيخ هذا لأنَّ الخبر جاء فيه بأنَّ الشيخ عبد الجبار الماجد مدير أوقاف دبي قال: بأنَّ البلدية سوف تزيل هذا المعبد فجزاه الله خيرًا؛ لأنَّ وجود هذا المعبد يتضمن الدعوة إلى عبادة الأوثان التي يجب إنكارها.

أما كلام الدكتور محمود الديك فمعلوم ما فيه من بطلان وغلط فإنَّ الدين الإسلامي هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠]، هذا وقد وصف الله ﷻ اليهود والنصارى بالكفر لما قالوه عن الله، وبما حرَّفوه وغيَّروه في كتبهم، وتجاوزهم الحد في القول والعمل تبعًا لما تصف ألسنتهم، وتستهوي نفوسهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ

إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

والآيات الكريمات في هذا المعنى كثيرة، مما يُعلم معه بأنَّ الديانة اليهودية والديانة النصرانية قد نسختا بشريعة محمد ﷺ، وأنَّ ما فيهما من حق أثبته الإسلام، وما فيهما من باطل هو مما حرَّفه القوم، وبدلوه حسب أهوائهم؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترون، فدين الإسلام هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض وهو الدين الذي بشَّر به جميع الأنبياء.

روى النسائي عن النبي ﷺ أنَّه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ ورقة من التوراة فقال: "أمتهوكٌ يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني ضللتم". وفي رواية: "لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي" فقال عمر: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا.

وكما أنّ عيسى عليه السلام جاء مجددًا لديانة موسى وليحل لهم بعض ما حرم عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٥٠-٥١].

فإنّه كذلك سينزل في آخر الزمان ليجدد رسالة محمد ﷺ: ((يوشك أن ينزل

فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية))[1].

قال النـووي في شرحـه: قولـه (يـضع الجزيـة) أي لا يقبـل إلا الإسـلام أو السيف)) أ.هـ.

وعندما يرى هذه الآية أهل الأرض فعند ذلك يرجع لدين الإسلام من هدى الله قلبه، ويدخل فيه من أنار الله بصيرته من اليهود والنصارى، فيؤمن بعيسى بعدما ظهرت أمامه الآيات الساطعات، التي تتجلى فيها أنوار الحق الواضحة، والإيمان بعيسى عليه السلام في ذلك الوقت تصديق برسالة محمد ﷺ، وبالدين الذي جاء به من عند ربه وهو الإسلام، حيث ينكشف الكذب ويظهر الزيف الذي أدخله الأحبار والرهبان على الديانة النصرانية واليهودية، ليضلوا الناس، ويلبسوا عليهم دينهم قال الله تعالى في قصة عيسى عليه السلام مع أهل الكتاب الذين قالوا بأنَّهم قتلوه موضحًا كذبهم وأنَّ منهم من سوف يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته؛ لأنَّ الموت حق على جميع البشر في هذه الحياة الدنيا: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ١٥٨-١٥٩].

وهذا الموقف الذي أبانه القرآن الكريم جاء بعد أن وصفهم بالكفر في آيه قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٧].

---

(١) رواه مسلم.

وفي عهد رسول الله ﷺ وبعد أن وضحت شريعة الإسلام لأهل الأرض دخل من أنار الله وبصيرته من اليهود والنصارى في الإسلام بعدما عرف الحق، وتبرأ من الاعتقادات التي تناقض شرع الله الذي شرع لعباده، وهي الوحدانية لله جل وعلا، وعدم الإشراك معه في العبادة والاعتقاد، ودين الإسلام هو: الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه منذ الأزل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

ودين الإسلام هو الطريق المستقيم الموصل إلى الله، كما ورد في تفسير سورة الفاتحة، فإنَّ العبد يدعو ربه بأن يهديه إلى صراطه المستقيم، وأن يُبعده عن طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين عصوا الله عن علم ومعرفة، وطريق الضالين وهم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال.

ومما ذكرناه يتضح أنَّ الطريق إلى الله واحد وهو دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به محمدًا ﷺ كما بعث جميع الرسل، وأنَّ جميع ما خالفه من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو وثنية أو غير ذلك من نحل الكفر كله باطل، وليس طريقًا إلى الله، ولا يوصل إلى جنته وإنما يوصل إلى غضبه وعذابه، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال النبي ﷺ: ((لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم

يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار))[١].

والله المسؤول أن يمنحنا وجميع المسلمين الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأن يهدينا جميعًا الصراط المستقيم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم))[٢].

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) راجع مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٢/ ٢٧٧-٢٨٢]، ومجلة البحوث [العدد ١٣-٧-١١].

رد سماحة الشيخ ابن باز على جريدة المدينة

بعنوان

الإسلام هو دين الله ليس له دين سواه

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد اطَّلعت على ما نشرّته صحيفة المدينة الصادرة بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٤٠٣هـ، وعدد (٥٧٨٥) من الأجوبة الصادرة من بعض الكتاب عن أسئلة مجلة (لوفيفا رومافزين) فوجدت فيها ما نصه بعد كلام سبق: (الصراع بين المسيحية والإسلام والذي أندد به شخصيًا وتمكنت من ملاحظته أنّ بعض المبشرين المسيحيين الذين يلقون خطاباتهم في العالم الثالث يوزعون مناشير تنتقد الإسلام، كذلك فإني أعرف أنَّ بعض الوعاظ المسلمين يطبعون ويوزعون كتابات تنتقد المسيحية، وهذا مما يؤسف له غاية الأسف، فالإسلام والمسيحية ديانتان منزلتان، ونحن نعتقد في إله واحد، وبالتالي يجب علينا أن نتفادى كل تصادم بين دينينا، والعمل من أجل تفاهم بين المسلمين والمسيحيين في خدمة الإنسان) انتهى .

ونظرا إلى ما في هذا الكلام من الغلط الواضح والإجمال، وجب عليَّ وأمثالي التنبيه على ما وقع في هذا الكلام من الأخطاء المخالفة للشرع المُطهر، **فأقول:** عن الصراع بين الإسلام وبين الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والبوذية وغيرها لم يزال قائمًا من حين بعث الله نبيه محمدًا ﷺ إلى يومنا هذا، فالإسلام يذمُّ اليهود والنصارى ويعيبهم بأعمالهم القبيحة ويصرح بكفرهم تحذيرً للمسلمين منهم، كما

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقوله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، والآيات بعدها، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧]. ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]. والآيات في ذم اليهود والنصارى والتحذير مما هم عليه من الباطل كثيرة، وقال في حق المشركين كالبوذيين وغيرهم: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، وصح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(١).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أمَّ حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال النبي ﷺ: "أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله"(٢)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، واليهود كانوا على شريعة

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

التوراة وبعدما تُوفي موسى عليه السلام غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا، وانقسموا على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهم أتباع موسى عليه السلام، ولما بعث الله عيسى عليه السلام بشريعة التوراة وأنزل الله عليه الإنجيل وأحل الله لهم بعض ما حرم عليهم وبيَّن لهم بعض ما اختلفوا فيه، كفر به اليهود وكذَّبوه وقالوا إنَّه ولد بغي فكذبهم الله بذلك وكَفَّرهم وأنزل فيهم قوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [النساء: ١٥٥]... إلى أن قال سبحانه: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٧]، وهكذا النصارى بعد ما رُفِع عيسى عليه السلام إلى السماء اختلفوا في ذلك على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي التي آمنت بموسى وعيسى وبجميع الأنبياء والرسل الماضين، ولما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ كفر به اليهود والنصارى جميعًا وكذَّبوه إلا قليلاً منهم فصاروا بذلك كفارًا لتكذيبهم لمحمد ﷺ وإنكارهم رسالته، وذَّمهم الله وعابهم على ذلك وتوعدهم سبحانه بالعذاب والنار، وكفَّر سبحانه اليهود أيضًا لقولهم العزير ابن الله، كما كفَّر النصارى لقولهم إنَّ الله هو المسيح ابن مريم وبقولهم إنَّ الله ثالث ثلاثة، وبقولهم المسيح ابن الله، فوجب على أهل الإسلام أنْ يُكَفِّروا منَ كفَّرهم الله ورسوله، وأن يبينوا باطلهم، وأن يحذِّروا المسلمين من مكائدهم؛ لأنَّ دين اليهودية ودين النصرانية أصبحا دينين باطلين لا يجوز التمسك بهما، ولا البقاء عليهما؛ لأنَّ الله نسْخَهما ببعث محمد ﷺ وإيجابه على جميع الثقلين اتباعه والتمسك بشريعته كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. فخرج بهذه الآية من الإسلام ومن أسباب عدم الفلاح اليهودي والنصارى والبوذي وجميع المشركين؛ لأنهم لم يتصفوا بهذه الأوصاف التي وصف الله بها المفلحين بل كلهم عاداه، ولم ينصره ولم يتبع النور الذي أنزل معه إلا من هداه الله منهم فهو مع المسلمين الناجين، ثم قال سبحانه بعد هذه الآية: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فأوضح سبحانه في هذه الآية أنَّه بعث رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا من عرب وعجم ورجال ونساء وجن وإنس وأغنياء وفقراء وحكام ومحكومين، وبَيَّن سبحانه أنَّه لا هداية إلا لمن آمن به، واتبعه فدلَّ ذلك على أنَّ جميع الطوائف التي لم تؤمن به ولم تتبعه كافرة ضالة؛ وصح عن النبي ﷺ: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(١)، وفي صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كانوا من أهل النار"(٢) والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وما كان في شريعة التوراة والإنجيل من حق فقد جاءت به شريعة محمد ﷺ أو بما هو أفضل منه وأكمل، كما قال ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، فالإسلام هو دين الرسل

---

(١) متفق على صحته.

(٢) رواه مسلم.

جميعًا كما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمرا: ٨٥].

فالإسلام في عهد نوح عليه السلام هو الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العبادة له وتصديق نوح عليه السلام واتباع ما جاء به، وهكذا في عهد هود وصالح وإبراهيم الخليل ومن جاء بعدهم من الرسل هو توحيد الله والإخلاص له مع إيمان الأمة برسولها الذي أرسله إليها واتباع ما جاء به، وهكذا في عهد موسى، ومن جاء بعده إلى عهد عيسى عليه السلام، فلما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ صار الإسلام الذي يرضاه الله هو ما بعث به محمدًا ﷺ من الإيمان به وتوحيده وإخلاص العبادة له، والإيمان برسوله محمد ﷺ وما أُنزِلَ عليه من الكتاب والسنة والإيمان بمن قبله من الأنبياء والرسل، فكل من اتبعه وصدق ما جاء به، فهو من المسلمين، ومن حاد عن ذلك بعد ما بلغته الدعوة، فهو من الكافرين، ويجب على أهل الإسلام أن يدعوا إلى الحق، وأن يشرحوا الإسلام ومحاسنه ويُبينوا حقيقته لجميع الأمم باللغات التي يفهمونها، حتى يبُلغوا عن الله وعن رسوله دينه، كما يجب عليهم أن يكشفوا الشُّبه التي يُشَبِه بها أعداء الإسلام، وأن يردوا الطعون التي يطعن بها أعداء الإسلام في الإسلام، ويُبينوا بطلانها بالأدلة النقلية والعقلية؛ لأنَّ الله أوجب عليهم أن ينصروا دينه ورسوله محمدًا ﷺ، وأخبرهم سبحانه أنَّه لا نجاة ولا فلاح إلا لمن نصر الحق واتبعه، وبهذا يعلم أنَّ انتقاد النصرانية المسماة بالمسيحية وبيان بطلانها وأنَّها دين قد غُيِّر وبُدِّل ثم نسخه الله ببعثة محمد ﷺ وشريعته؛ لأنَّ النصرانية لم تبق دينًا صالحًا لا لنا ولا لغيرنا بل الدين الصحيح للمسلمين، ولغيرهم هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، والمسلمون مأمورون بالدعوة إلى دينهم والذب عنه ومعذورون في بيان بطلان جميع الأديان من يهودية ونصرانية وغيرهما ما عدا

الإسلام؛ لأنَّهم بذلك يدعون إلى الحق والجنة وغيرهم من الناس يدعون إلى النار، كما قال الله سبحانه لما نهى عن نكاح المشركات وعن تزويج المشركين للمسلمات، قال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢١] فالله سبحانه يدعو إلى الجنة والمغفرة وإلى أعمالها، وهكذا الرسول ﷺ، وهكذا المسلمون العارفون بدينه والداعون إليه على بصيرة، أما غيرهم من الكفار فإنَّهم يدعون إلى النار في كتبهم ونشراتهم ووسائل إعلامهم. وبهذا يُعلم أنَّه لا يجوز إطلاق القول بأنَّ الإسلام والمسيحية ديانتان منزلتان؛ لأن المسيحية لم تبق ديانة مُنزلة بل قد غُيِّرَتْ وحُرِفت ثم نُسخ ما بقي فيها من حق بما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق. وأما قول الكاتب: (ونحن نعتقد في إله واحد) فهذا يخص المسلمين الذين يعتقدون في إله واحد ويعبدونه وحده وينقادون لشرعه، وهو الله ﷻ خالق السموات والأرض وخالق كل شيء ورب كل شيء القائل في كتابه المبين: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، والقائل سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وهو القائل سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو القائل ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وأما اليهود والنصارى فيعبدون مع الله غيره ولا يعبدون إلهًا واحدًا كما قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١]، فأبان سبحانه في هذه الآيات أنَّ اليهود والنصارى عبدوا آلهة كثيرة من الأحبار والرهبان كما عَبَد اليهود عُزيرًا وزعموا أنَّه ابن الله، وعبد النصارى المسيح ابن مريم وزعموا أنَّه ابن الله، وأنَّهم جميعًا لم يُؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، وهو الله سبحانه خالق الأشياء كلها ورب الجميع سبحانه عما يشركون، وبما تقدم يُعلم أيضًا أنَّه لا يجوز أن يقال عن الإسلام والنصرانية ما أطلقه الكاتب بقوله: (وبالتالي يجب علينا أن نتفادى كل تصادم بين ديننا الكبيرين)، لأن النصرانية ليست دينًا لنا وإنما ديننا الإسلام فقط، وأما النصرانية فقد سبق أنَّها دين باطل، وما فيها من حق فقد جاءت به شريعة محمد ﷺ أو بما هو أكمل منه.

فالمسلمون يأخذون به لكونه من الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ لا لأنَّه جاء في التوراة أو الإنجيل، بل لأنَّ شرعنا الإسلامي جاء به ودعا إليه، وهذا كلمة موجزة أردت بها التنبيه على ما وقع في كلام هذا الكاتب من الغلط خشية أن يغتر به بعض الناس، وذلك من النصح الذي أوجبه الله على المسلمين وعلى أهل العلم بوجه أخص في قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة" قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(١)] وفي الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي قال: (بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة

(١) خرجه مسلم في صحيحه.

والنصح لكل مسلم) وخروجًا من إثم الكتمان الذي توعد الله عليه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا والكاتب وسائر المسلمين للفقه في دينه، والثبات عليه والنصح له ولعباده، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن القول عليه أو على رسوله بغير علم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٣/ ٤١-٤٨].

جواب لسماحة الشيخ
بعنوان
إن الدين عند الله الإسلام

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده وبعد: فقد ورد إلينا الرسالة التالية:

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

س: ظهرت في العصر الحديث فرقة انتشرت في أوربا وأمريكا انضمَّ إليها عدد من المثقفين والمفكرين والمؤلفين المنتسبين إلى الإسلام، وتتلخص عقيدة هذه الفرقة بأنَّ الديانات الكبرى؛ كاليهودية والنصرانية والهندوكية والبوذية وغيرها هي أديان صحيحة ومقبولة عند الله ﷻ، وأنَّ المخلصين من أتباعها يصلون إلى الحق وينجون من النار ويدخلون الجنة دون حاجة في كل هذا إلى الدخول إلى الإسلام.

أرجو من سماحتكم الرد على هذا الزعم.

ج: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فهذا الزعم المذكور باطل بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع العلماء.

أما الكتاب: فقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما السنة: فمنها: قوله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار))(١).

وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:((أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي" ذكر منها: " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة)).

ويدل على هذا المعنى من القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله ﷻ في سورة الأعراف في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد أجمع العلماء على أنَّ رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الثقلين، وأن من لم يؤمن به ويتبع ما جاء به فهو من أهل النار ومن الكفار، سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا أو هندوكيًا أو بوذيًا أو شيوعيًا أو غير ذلك.

فالواجب على جميع الثقلين من الجن والإنس أن يؤمنوا بالله ورسوله، وأن يعبدوا الله وحده دون ما سواه، وأن يتبعوا رسولَه محمدًا ﷺ حتى الموت، وبذلك تحصل لهم السعادة والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة، كما تقدم ذلك في الآيات

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

السابقة والحديث الشريف.

وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وقال ﷻ في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وجميع الديانات المخالفة للإسلام فيها من الشرك والكفر بالله ما يخالف دين الإسلام الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وبعث به محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء وأفضلهم.. وفيها عدم الإيمان بمحمد ﷺ وعدم اتباعه، وذلك كافٍ في كفرهم، واستحقاقهم غضب الله وعقابه، وحرمانهم من دخول الجنة واستحقاقهم لدخول النار إلا من لم تبلغه دعوة الرسول ﷺ. فهذا أمره إلى الله ﷻ.

والصحيح: أنَّه يُمتحن يوم القيامة، فإن أجاب لما طُلِب منه دخل الجنة وإن عصا دخل النار.

وقد بسط العلاَّمة ابن القيم رحمه الله هذه المسألة وأدلتها في آخر كتابه [طريق الهجرتين] تحت عنوان: طبقات المكلفين. فمن أراده فليراجعه؛ ليستفيد منه الفائدة الكبرى.. والله ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين))(١).

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٧/ ٢٨-٣١].

الفصل الخامس

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز

في الرد

على دعاة القومية العربية

١- تمهيد في نشأة القومية العربية وأبرز رموزها.

٢- جواب سماحة الشيخ لصحيفة البلاد في الرد على فكرة القومية العربية.

٣- جواب سماحة الشيخ لصحيفة الراية السودانية العربية حول القومية العربية.

٤- جواب سماحة الشيخ لمجلة الإصلاح الإماراتية حول القومية العربية..

٥- رسالة لسماحة الشيخ بعنوان نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الخامس

جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على دعاة القومية العربية

تمهيد:

القومية العربية:

حركة سياسية فكرية جاهلية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحده على أساس من رابطة الدم العربي واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سَبَق أن ظهر في سوريا(١) قال الدكتور محمد محمد حسين ((ظهرت الروح القومية في العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متأثرة بالفكرة القومية الجديدة التي سادت التفكير الأدبي وقتذاك))(٢).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

ظهرت بدايات الفكر القومي العربي في منتصف القرن الثالث عشر، فتمثلت في حركة، تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقرًا لها، ثُمَّ في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس ١٩١٢م.

---

(١) راجع في تعريف القومية العربية: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة [١/ ٤٤٤] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين [٢/ ٩٩] الإسلام والحضارة الغربية [٢٢٢٥]ط دار الرسالة.

(٢) الاتجاهات الوطنية [٢/ ٩٩].

وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي:

- الجمعية السورية، أسسها مجموعة من النصارى منهم بطرس البستاني وناصف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.

- الجمعية السورية في بيروت أسسها مجموعة من النصارى منهم سليم البستاني سنة ١٨٦٧م.

- الجمعية العربية السرية: ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

- جمعية حقوق المرأة العربية ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى.

- جمعية رابطة الوطن العربي: أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤ بباريس وألف كتاب يقظة العرب.

- جمعية الوطن العربي: أسسها خيرالله خيرالله سنة ١٩٠٥م بباريس وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان (الحركة القومية العربية).

- الجمعية القحطانية: ظهرت سنة ١٩٠٩م وهي جمعية سرية مؤسسها خليل حمادة المصري.

- جمعية الفتاة العربية: أسسها في باريس بعض الطلاب العرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩٨م.

- الجمعيات الإصلاحية: أواخر ١٩١٢م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.

ـ المؤتمر العربي في باريس: أسسه بعض الطلاب العرب ١٩١٢م.

ـ حزب العهد: ١٩١٢م وهو سري أنشأه بعض الضباط العرب في الجيش العثماني.

ـ جمعية العلم الأخضر: سنة ١٩١٣م ومن مؤسسيها الدكتور تانق شاكر.

ـ جمعية العلم وظهرت ١٩١٤م في الموصل(١).

ومن الواضح أنّ هذه الدعوة الغريبة عن الإسلام نشأت في عواصم الغرب الكافر وقَدَّم لها الدعم والمعونة وفتح لها أبوابه وأبواقه وأنَّ أغلب المؤسسين والداعين إما من النصارى أو من المنتسبين للإسلام الذي تشرَّبوا أفكارًا غربية وأصبحوا من دعاة القومية العربية(٢).

وقد ظلت القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تيارات شعبية عامة إلا حين تبنى الدعوة إليها، زعيم انقلاب ثورة يوليو بمصر (جمال عبدالناصر)، الذي حاول عبر وسائل إعلامه وإمكانات دولته نشر فكرة القومية العربية حتى أنّه في بعض الأحيان كان يساعد على الانقلابات العسكرية الثورية التي تبث الأفكار القومية العربية(٣).

---

(١) راجع تأسيس الجمعيات القومية في الموسوعة الميسرة [١/ ٤٤٤-٤٤٥] الإسلام والحضارة الغربية [٢٣٢-٢٤١].

(٢) راجع تاريخ وشخصيات مؤسسي والإسلام والحضارة الغربية [٢٣٣-٢٣٨]، الاتجاهات الوطنية [٢/ ١٣٢].

(٣) مستفاد من الموسوعة الميسرة [١/ ٤٤٥].

الأفكار والمعتقدات:

١. فكرة ترفع رابطة القومية العربية وتعلي من شأنها على حساب رابطة الدين، وإذا كان بعض الكُتّاب من دعاة القومية العربية يسكتون عن الدين، فإنَّ البعض الآخر يرى بصراحة ضرورة إبعاد الدين إبعادًا تامًا عن الروابط التي تقوم عليها الأمة بحجة أنَّ ذلك يُمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها، ويرون أنّ رابطة الجنس واللغة أقدر على جمع كلمة العرب عن رابطة الدين.

٢. يرى دعاة الفكر القومي: على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر أنَّ أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة.

٣. يرون أنَّ العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة، وأنَّها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد، الممتد من الخليج إلى المحيط.

٤. يرى أصحاب الفكر القومي أنَّ الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تُزال، وأنه ينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة تقوم على أساس الفكر العلماني.

٥. يدعو أصحاب الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون، لذلك فهم يرفعون شعار (الدين لله، والوطن للجميع) والهدف من هذا الشعار إقصاء الإسلام عن أن يكون له وجود فعليٍّ من ناحية، وجعل إخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

٦. يرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات يجب أن تُزال من أجل بناء مستقبل الأمة العربية الواحدة.

٧. يقرر أصحاب الفكر القومي أنَّ الوحدة العربية حقيقة بمكن تحقيقها، وأمّا الوحدة الإسلامية فهي حلم يستحيل تحقيقه.

قال أحد شعراء الفكر القومي:

هبوني عيدًا يجعل العُرْبَ أمةً   وسيروا بجثماني على دين برهم
سلامٌ على كفرٍ يوحدُ بيننا   وأهلا وسهلاً بعده بجهنم

قال أحد دعاتهم: (نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام).

وقال آخر: (إنّ العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنّها وُجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية ويجب أن نُغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل عيسى).

وقال أحد دعاة الفكر القومي: (إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإنَّ القوميَّة العربَّية هي نبوة هذا العصر).

وقال أحد دعاتهم:

أمِنتُ بالبعثِ ربًا لا إله غيره   وبالعروبةِ دينًا ما له من ثانٍ[1]

الخلاصة:

القومية العربية فكرة نَشأتْ من أحضان الغرب وأسسها عدٌ من النصارى العرب وبعض المسلمين المتأثرين بهم، وهي دعوة كفرية تدعو إلى عنصرية بغيضة قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في وصف القومية العربيّة: (دعوة جاهليَّة تهدِفُ إلى محاربة الدين، والتخلص من أحكامه وتعاليمه).

(١) يراجع في ذلك الموسوعة الميسرة [٢/ ٤٤٦-٤٤٩] ـ الموالات والمعاداة [٢/ ٢٢٢].

وقال رحمه الله في تأسيسها: (أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام واغتر بها كثير من الأغمار، ومن قلّدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد، وخصوم الإسلام في كل مكان، وهي دعوة باطلة وخطأ عظيم وفكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد سافر للإسلام وأهله)[1].

(١) نقد القومية العربية ص٥ ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية. ولمزيد من التفصيل راجع العروبة أولاً لساطع الحصري ـ القومية العربية د. أبو الفتوح رضوان ـ أرض العروبة عبد الحي العمراني ـ بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية ـ الإسلام والحضارة الغربية ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

جواب سماحة الشيخ لصحيفة البلاد في الرد على فكرة القومية العربية

س: ما رأي فضيلتكم في الدعوة التي تقوم بها الأوساط الخارجية إلى أن القومية العربية وحدها هي الرابطة الأولى بين العرب؟

ج: الجواب عن السؤال الأول: أن يقال: لا ريب أنَّ الدعوة إلى أن تكون القومية العربية هي الرابطة الأولى بين العرب، دعوة باطلة لا أساس يؤيدها، لا من العقل، ولا النقل، بل هي دعوة جاهلية إلحادية يهدف دعاتها إلى محاربة الإسلام، والتملص من أحكامه وتعاليمه، وقد يدعوا إليها من لا يقصد هذا المعنى، وإنما دعا إليها تقليدًا لغيره وإحسانًا للظن به، ولو عرف حقيقة المقصود منها لحاربها وابتعد عنها، وكل من له أدنى معرفة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، يعلم أنه لم يكن للعرب قيمة تذكر ولا راية تُرهب إلا بالإسلام، وبه فتحوا البلاد وسادوا العباد، وبه كانوا أمة مرهوبة الجانب، محترمة الحقوق مرفوعة الرأس، حتى غَيَّروا فغُيِّر عليهم، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ولا أحب أن أطيل في هذا الميدان؛ لأنَّ الصحيفة لا تتحمل ذلك، والحق في ذلك أوضح من الشمس، لا يرتاب فيه من له أدنى إلمام بحال العرب والإسلام، وما أحسن قول الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، وإذا كان الهدف من الدعوة إلى القومية العربية أن يجتمع العرب، وأن يشتركوا في مصالحهم، وأن ينتصفوا من عدوهم ويطردوه من بلادهم، فليس هذا هو السبيل إلى هذا الغرض النبيل، وإنما السبيل الوحيد هو الرجوع إلى دينهم الحق، وأحكامه السمحة الرشيدة، وتحكيمه

في كل شيء، والموالاة في ذلك والمعاداة فيه، وبذلك يحصل الاجتماع، وتدرك المصالح وينتصف من الأعداء، ويكون النصر عليهم مضمونًا والعاقبة حميدة في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة. وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمة الله عليه في هذا المعنى: (**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**)، لقد صَدَق هذا الإمام في هذه الكلمة القصيرة العظيمة.

وأما السؤال الثاني فالجواب عنه: أن يقال: إنَّ من أعظم الظلم، وأسفه السفه، أن يُقارن بين الإسلام وبين القومية العربية، وهل للقومية المجردة من الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تُجعل في صف الإسلام، وأن يُقارن بينها وبينه؟ لا شك أنَّ هذا من أعظم الهضم للإسلام والتنكر لمبادئه وتعاليمه الرشيدة، وكيف يليق في عقل عاقل أن يُقارن بين قومية لو كان أبوجهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأضرابهم من أعداء الإسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاتها وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان، دعاته وأنصاره هم:(محمد رسول الله ﷺ وأبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب) وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته

الأبطال، ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها، وهؤلاء رجالها وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته، إلا مصاب في عقله، أو مقلد أعمى، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به، وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلا مثل من قارن بين البعر والدر، أو بين الرسل والشياطين، ومن تأمل هذا المقام من ذوي البصائر، وسبر الحقائق والنتائج، ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام، أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذكر آنفًا، ثمَّ كيف تصح المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم، في دار الكرامة والمقام الأمين؟ اللهم أهدنا وقَوْمنا سواء السبيل، انك على كل شيء قدير))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ [١/ ٣١٨].

جواب سماحة الشيخ لصحيفة الراية السودانية حول القومية العربية

س: ما رأيكم في الدعوة إلى القومية التي تعتقد أنَّ الانتساب إلى العنصر أو اللغة مقدم على الانتساب إلى الدين، وهذه الجماعات تدَّعى أنَّها لا تعادي الدين ولكنها تقدم القومية عليه، ما رأيكم في هذه الدعوى؟

ج: هذه دعوة جاهلية لا يجوز الانتساب إليها، ولا تشجيع القائمين بها، بل يجب القضاء عليها؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية جاءت بمحاربتها والتنفير منها، وتفنيد شبههم ومزاعمهم، والرد عليها بما يوضح الحقيقة لطالبها؛ لأنَّ الإسلام وحده هو الذي يخلد العروبة لغة وأدبًا وخلقًا، وأنَّ التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لغتها وأدبها وخلقها، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز الدعوة إلى الإسلام بقدر ما يستميت الاستعمار في إخفائه.

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أنَّ الدعوة إلى القومية العربية، أو غيرها من القوميات دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد للإسلام وأهله، وذلك لوجوه قد أوضحناها في كتابٍ مستقل سميته (**نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع**)[1] وإليكم نسخة منه لتنقلوا منه ما شئتم وأسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه رضاه.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[2].

---

(١) نص هذه الرسالة طبعت في الجزء الأول من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٢٨٠/ ٣٠٧].
وطبعة رسالة مستقلة تحت إشراف الرئاسة العامة للإفتاء.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤/ ٧٣].

جواب سماحة الشيخ لمجلة الإصلاح الإماراتية حول القومية العربية

س: لا تزال البلاد الإسلامية تشهد دعوات مشبوهة لوضع العروبة مكان الإسلام ولإحلال الرابطة القومية محل الأخوة الإسلامية. ما هي العلاقة الصحيحة والسليمة بين العروبة والإسلام؟

ج: هذه نداءات باطلة، القومية والعروبة، أو الاشتراكية أو الشيوعية أو أي دعوة سوى الإسلام كلها دعاوى باطلة ونعرات جاهلية يجب أن يقضى عليها، ولا يجوز أن تبقى أبدًا، يجب على أعيان البلد ورؤسائها وعلمائها أن يحاربوا هذه الدعوات، والعروبة خادمة لشرع الله وليست أساسًا يطلب التجمع حوله، ولقد نزل القرآن بلغة العرب لينفذوا حكم الله وليخدموا شريعته بما أعطاهم الله من اللغة والقوة، أما هم فليسوا بشيء بدون الإسلام وبدون الحكم بالإسلام كانوا متمزقين في غاية من الجهالة والتناحر والاختلاف فجمعهم الله بالإسلام والهدى وباتباع الرسول ﷺ، لا بعروبتهم، فإذا ضيعوا هذا ضاعوا وهلكوا[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٣/ ٢٨٣].

رسالة لسماحة الشيخ
بعنوان
نقد القومية العربية[(١)] على ضوء الإسلام والواقع

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يشك مسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل العرب المسلمين، وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المفضلة، وتبليغه لكافة الشعوب، والصدق في الدعوة إليه، والجهاد لنشره والدفاع عنه، وتَحمُّل المشاق العظيمة في ذلك، حتى أظهرها الله على أيديهم وخفقت رايته في غالب المعمورة، وشَاهَد العالم على أيدي دعاة الإسلام في صدر الإسلام أكمل نظام وأعدل حاكم، ورأوا في الإسلام كل ما يريدون وينشدون من خير الدنيا والآخرة، ووجدوا في الإسلام تنظيم حياة سعيدة تكفل لهم العزة والكرامة والحرية من عبادة العبيد، وظلم المستبدين، والولاة الغاشمين، ووجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالله سبحانه، بعبادة عظيمة تصلهم بالله، وتطِّهر قلوبهم من الشرك والحقد والكبر، وتغرس فيها غاية الحب لله وكمال الذل له والتلذذ بمناجاته، وتعرفهم بربهم وبأنفسهم، وتذكرهم بالله وعظيم حقه كلما غفلوا أو كادوا أن يغفلوا، وجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالرسول ﷺ وماذا يجب عليهم من حقه والسير في سبيله، ووجدوا في الإسلام أيضًا تنظيم العلاقات التي بين الراعي والرعية، وبين الرجل وأهله، وبين الرجل وأقاربه، وبين الرجل وإخوانه المسلمين، وبين المسلمين والكفار بعبارات واضحة وأساليب جلية، ووجدوا من

(١) نشرة صدرت في كتاب عن المكتب الإسلامي في بيروت ودمشق عام ١٤٠٠هـ الطبعة الرابعة.

الرسول ﷺ ومن الصحابة وأتباعهم بإحسان تفسير ذلك بأخلاقهم الحميدة وأعمالهم المجيدة، فأحبَّ الناس الإسلام وعظَّموه ودخلوا فيه أفواجًا، وأدركوا فيه كل خير وطمأنينة وصلاح وإصلاح والكلام في مزايا الإسلام وما اشتمل عليه من أحكام سامية وأخلاق كريمة، تصلح القلوب، وتؤلف بينها وتربطها برباط وثيق من المودة في الله سبحانه، والتفاني في نصر دينه، والتمسك بتعاليمه، والتواصي بالحق والصبر عليه، لا ريب أنَّ الكلام في هذا الباب يطول، والقصد في هذه الكلمة الإشارة إلى ما حصل على أيدي المسلمين من العرب في صدر الإسلام من الجهاد والصبر، وما أكرمهم الله به من حمل مشعل الإسلام إلى غالب المعمورة، وما حصل للعالم من الرغبة في الإسلام، والمسارعة إلى الدخول فيه، لما اشتمل عليه من الأحكام الرشيدة والتعاليم السمحة، والتعريف بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته وعظيم حقه على عباده، ولما اتصف به حملته والدعاة إليه من تمثيل أحكام الإسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم، حتى صاروا بذلك خير أمة أخرجت للناس، وحققوا بذلك معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومعنى الآية كما قال أبو هريرة ﷺ كنتم خير الناس للناس.

لا يشك مسلم قد عرف ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام فيما ذكرناه، فهو من الحقائق المعلومة بين المسلمين، ولا يشك مسلم في ما للمسلمين غير العرب من الفضل والجهاد المشكور في مساعدة إخوانهم من العرب المسلمين في نشر هذا الدين والجهاد في إعلاء كلمته، وتبليغه سكان المعمورة، شكر الله للجميع مساعيهم الجليلة، وجعلنا من أتباعهم بإحسان إنَّه على كل شيء قدير.

وإنما الذي يُنكر اليوم ويُستغرب صدوره عن كثير من أبناء الإسلام من العرب، انصرافهم عن الدعوة إلى هذا الدين العظيم، الذي رفعهم الله به وأعزهم بحمل رسالته، وجعلهم ملوك الدنيا وسادة العالم، لما حملوا لواءه وجاهدوا في سبيله بصدق وإخلاص، حتى فتحوا الدنيا، وكسَّروا كسرى، وقصَّروا قيصر، واستولوا على خزائن مملكتيهما، وأنفقوها في سبيل الله سبحانه، وكانوا حينذاك في غاية من الصدق والإخلاص والوفاء والأمانة والتحاب في الله سبحانه والمؤاخاة فيه، لا فرق عندهم بين عربي وعجمي ولا بينَ أحمر وأسود، ولا بين غني وفقير، ولا بين شرقي وغربي، بل هم في ذلك إخوان متحابون في الله، متعاونون على البر والتقوى، مجاهدون في سبيل الله، صابرون على دين الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم، يوالون في الإسلام، ويعادون فيه، ويحبون عليه، ويبغضون عليه، ولذلك كفاهم الله مكائد أعدائهم، وكتب لهم النصر في جميع ميادين جهادهم، كما وعدهم الله سبحانه بذلك في كتابه المبين حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ثم بعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزَّر من المولي سبحانه لعباده المؤمنين من العرب وغيرهم، نرى نفرًا من أبنائنا يُخدَعون بالمبادئ المنحرفة، ويدعون إلى غير الإسلام، كأنهم لم يعرفوا فضل الإسلام وما حصل لأسلافهم بالإسلام من العزة والكرامة، والمجد الشامخ، والمجتمع القوي الذي كتبه الله لأهل الإسلام الصادقين، حتى أنَّ عدوهم ليخافهم وهو عنهم مسيرة شهر، نسي هؤلاء أو تناسوا هذا المجد المؤثل والعز العظيم، والملك الكبير، الذي ناله المسلمون بالإسلام، فصار هؤلاء الأبناء يدعون إلى التكتل والتجمع حول القومية العربية،

ويُعَرِّفونها بأنَّها اجتماع وتكاتف لتطهير البلاد من العدو المستعمر، ولتحصيل المصالح المشتركة، واستعادة المجد السليب.

وقد اختلف الدعاة إليها في عناصرها، فمن قائل: بأنَّها الوطن والنسب واللغة العربية، ومن قائل: بأنها اللغة فقط، ومن قائل: بأنها اللغة مع المشاركة في الآلام والآمال، ومن قائل غير ذلك أما الدِّين فليس من عناصرها عند أساطينهم والصرحاء منهم، وقد صرح كثير بأنَّ الدين لا دخل له في القومية، وصرح بعضهم أنها تحترم الأديان كلها من الإسلام وغيره. وهدفها كما يعلم من كلامهم هو التكتل والتجمع والتكاتف ضد الأعداء، ولتحصيل المصالح المشتركة كما سلف، ولا ريب بأن هذا غرض نبيل وقصد جميل.

فإذا كان هذا هو الهدف، ففي الإسلام من الحث على ذلك والدعوة إليه، وإيجاب التكاتف والتعاون لنصر الإسلام، وحمايته من كيد الأعداء ولتحصل المصالح المشتركة، ما هو أكمل وأعظم مما يرتجى من وراء القومية، ومعلوم عند كل ذي لب سليم أن التكاتف والتعاون الذي مصدره القلوب، والإيمان بصحة الهدف، وسلامة العاقبة في الحياة وبعد الممات ـ كما في الإسلام الصحيح ـ أعظم من التعاون والتكاتف على أمر اخترعه البشر ولم ينزل به وحي السماء، ولا تؤمن عاقبته لا في الدنيا ولا في الآخرة. وأيضًا فالتكاتف والتعاون الصادر عن إيمان بالله، وصدق في معاملته ومعاملة عباده، مضمون له النصر وحسن العاقبة ـ كما في الآيات الكريمات التي أسلفنا ذكرها ـ بخلاف التكاتف والتعاون المبني على فكرة جاهلية تقليدية، لم يأت بها شرع ولم يضمن لها النصر.

وهذا كله على سبيل التنزُّل لدعاة القومية، والرغبة في إيضاح الحقائق لطالب

الحق، وإلا فمن خَبَرَ أحوال القوميين، وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أنَّ غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية، أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور، فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدَّامة ـ لا بلغهم الله مُنَاهم ـ ولا ريب أنَّ دعوة تُفضي إلى هذه الغايات، يرقص لها الاستعمار طربًا، ويساعد على وجودها ورفع مستواها ـ وإن تظاهر بخلاف ذلك ـ تغريرًا للعرب عن دينهم، وتشجيعًا لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم.

ومن زَعَم من دعاة القومية أنَّ الدين من عناصرها، فقد فرض أخطاء على القوميين، وتقوَّلَ عليهم ما لم يقولوا؛ لأنَّ الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها، ويخالف صريح كلامهم ويباين ما يقصدونه من تكتيل العرب، على اختلاف أديانهم تحت راية القومية.

ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه، فيثبته تارة وينفيه أخرى، وما ذلك إلا أنه لم يقله عن عقيدة وإيمان، وإنما قاله مجاملة لأهل الإسلام، أو عن جهل بحقيقة القومية وهدفها، وهكذا قول من قال: إنها تنافس الإسلام وتحاربه في عقر داره، وتطلى ببعض خصائصه ترويجًا لها وتلبيسًا أو جهلاً وتقليدًا.

ولو كانت الدعوة إلى القومية يراد منها نصرة الإسلام، وحماية شعائره، لكرَّس القوميون جهدهم في الدعوة إليه ومناصرته، وتحكيم دستوره النازل من فوق سبع سموات، ولبادروا إلى التخلق بأخلاقه، والعمل بما يدعو إليه، وابتعدوا

عن كل ما يخالفه؛ لأنَّه الأصل الأصيل والهدف الأعظم، ولأنَّه السبيل الذي مَن سار عليه، واستقام عليه، وصل إلى شاطئ السلامة، وفاز بالجنة والكرامة، ومن حادَّ عن سبيله باء بالخيبة والندامة، وخسر الدنيا والآخرة، فلو كان دعاة القومية يقصدون بدعوتهم إليها تعظيم الإسلام وخدمته، ورفع شأنه، لما اقتصروا على الدعوة للخادم دون المخدوم، وكرّسوا لهذا الخادم جهودهم، وغضبوا من صوت دعاة الإسلام إذا دعوا إليه، وحذروا مما يخالفه أو يقف حجرًا في طريقه.

لو كان دعاة القومية يريدون بدعوتهم إعلاء كلمة الإسلام، واجتماع العرب عليه، لنصحوا العرب ودعوهم إلى التمسك بتعاليم الإسلام، وتنفيذ أحكامه، ولشجَّعوهم على نصره ودعوة الناس إليه، فإنَّ العرب أولى الناس بأن ينصروا الإسلام، ويحموه من مكائد الأعداء، ويحكموه فيما شجر بينهم، كما فعل أسلافهم؛ لأنَّه عزهم وذكرهم ومجدهم، كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وقال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤] وإذا عرفت أيها القارئ ما تقدم، فاعلم أنَّ هذه الدعوة: أعني الدعوة إلى القومية العربية، أحدثها الغربيون من النصارى، لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره، بُزخرفٍ من القول، وأنواع من الخيال وأساليب من الخداع، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلَّدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان، ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أنَّ الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية وكيد

سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

الأول: أنَّ الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتُفرِّق بين العرب أنفسهم؛ لأنَّهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابًا فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه؛ وذلك لأنَّه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما يدلُّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف، ويدعو إلى الاجتماع والوئام، والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه، تعلم بذلك أنَّ هذه القومية غير هدف الإسلام، وأنَّ مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام، ويدلَّ على ذلك أيضًا أنَّ هذه الفكرة، أعني الدعوة إلى القومية العربية وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها المسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض، وتحطيم كيانهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشؤومة (فرِّق تسد) وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة، مما يُحزن القلوب ويدمي العيون.

وذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية، ومنهم مؤلف الموسوعة

العربية: أنّ أول من دعا إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا، ليفصلوا الترك عن العرب، ويفرّقوا بين المسلمين، ولم تزل الدعوة إليها في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو، حتى عُقِد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة، وذلك عام ١٩١٠م، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية، وتعددت الاتجاهات، فحاول الأتراك إخمادها، بأحكام الإعدام التي نفذها جمال باشا في سورية في ذلك الوقت، إلى آخر ما ذكروا، فهل تظن أيها القارئ أنَّ خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا، بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية، وعقد المؤتمرات لها، وابتعاث المبشرين بها، لا والله، إنَّهم لا يريدون بنا خيرًا ولا يعملون لمصالحنا، إنما يعملون ويسعون لتحطيمنا وتمزيق شملنا، والقضاء على ما بقي من ديننا، وكفى بذلك دليلاً لكل ذي لب، على ما يُراد من وراء الدعوة إلى القومية العربية، وأنَّها مِعْوَل غربي استعماري، يراد من وراءه تفريقنا وإبعادنا عن ديننا كما سلف.

ومن العجب الذي ينقضي، أنَّ كثيرًا من شبابنا وكتابنا ـ ألهمهم الله رشدهم ـ خفيت عليه هذه الحقيقة، حتى ظنوا أن التكتل والتجمع حول القومية العربية، والمناصرة لها، أنفع للعرب وأضر للعدو، من التجمع والتكتل حول الإسلام ومناصرته، وهذا بلا شك ظن خاطئ، واعتقاد غير مطابق للحقيقة.

نعم لا شك أنَّه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته، ولكن خوفه من التجمع والتكتل حول الإسلام أعظم وأكبر، ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية، وحفَّز العرب إليها، ليشغلهم بها عن الإسلام، وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه؛ لأنَّهم إذا فقدوا الإسلام حُرِموا ما ضمنه الله لهم

من النصر الذي وعدهم به في الآيتين السابقتين، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

ومعلوم عند جميع العقلاء أنَّه إذا كان لابد من أحد ضررين، فارتكاب الأدنى منهما أولى، حذرًا من الضرر الأكبر، وقد دلَّ الشرع والقدر على هذه القاعدة، وقد عرفها المستعمر وسلكها في هذا الباب وغيره. فتنبه يا أخي واحذر مكائد الشيطان والاستعمار وأوليائهما، تنجُ من ضرر عظيم، وخطر كبير، وعواقب سيئة عافاني الله وإياك والمسلمين من ذلك.

ومما تقدم يعلم القارئ اليقظ أن الدعوة إلى القومية العربية ـ كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده ـ فهي أيضًا إساءة إلى العرب أنفسهم، وجناية عليهم عظيمة؛ لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم، فكيف يرضى عربي عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه غايتها؟! ولقد أحسن الكاتب الإسلامي الشهير: أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة: (اسمعوها مني صريحة: أيها العرب) حيث يقول في صفحة ٢٧-٢٨ ما نصه:

(فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي، رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات، إنَّها جريمة قومية تفوق جميع الجرائم، التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنَّها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع

الحركات الهدَّامة المعروفة في التاريخ، وإنَّها خطوة حاسمة مشؤومة، في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي) انتهى.

فتأمل: أيها القارئ كلمة هذا العالم العربي الحسني الكبير(١) الذي قد سبر أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة إلى القومية وسوء مصيرها، تدرك بعقلك السليم ما وقع فيه العرب والمسلمون اليوم، من فتنة كبرى ومصيبة عظمى، بهذه الدعوة المشؤومة، وقى الله المسلمين شرها، ووفق العرب وجميع المسلمين للرجوع إلى ما كان عليه أسلافهم المهديون، إنَّه سميع مجيب.

ثم لا يخفاك: أيها القارئ الكريم غربة الإسلام اليوم، وقلة أنصاره والمتحمسين لدعوته، وكثرة المحاربين له والمتنكرين لأحكامه وتعاليمه، فالواجب على أبناء الإسلام بدلاً من التحمس للقومية والمناصرة لدعاتها: أن يُكرِسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام وتعظيمه في قلوب الناس، وأن يجتهدوا في نشر محاسنه وإعلان أحكامه العادلة، وتعاليمه السمحة الصافية، نقية من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء، حتى يعيدوا بذلك ما درس من مجد أسلافهم، وحماستهم للإسلام، وتكريس قواهم لنصرته وحمايته، والرد على خصومه بشتى الأساليب الناجعة، وأنواع الحجج والبراهين الساطعة. ولا شك أنَّ هذا واجب متحتم وفرض لازم على جميع أبناء الإسلام، كل منهم بحسب ما أعطاه الله من المقدرة والإمكانات، التي يستطيع بها القيام بما أوجب الله عليه من النصر لدينه والدعوة إليه، فنسأل الله أن يَمُنَّ على الجميع بذلك، وأن يصلح

---

(١) هو: أبو الحسن الندوي داعية وعالم من شبة القارة الهندية له جهود مشكورة في خدمة الإسلام والمسلمين وله مؤلفات كثيرة أشهرها (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

قلوبنا وأعمالنا، وأن يَقَرّ أعين المسلمين جميعًا بنصر الإسلام الصافي من الشوائب، وظهوره على جميع خصومه في القريب العاجل، إنَّه سبحانه خير مسؤول وأقـرب مجيب.

الوجه الثاني: أنَّ الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحـذَّر منهـا، وأبـدى في وأعاد ذلك في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النصوص تنهـى عـن جميـع أخـلاق الجاهلية، وأعمالهم إلا ما أقرَّه الإسلام من ذلك، ولا ريب أنَّ الدعوة إلى القوميـة العربية من أمر الجاهلية، لأنَّها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحـق، وكـم جرت الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيـق الـشمل وغـرس العـداوة والـشحناء في القلـوب، والتفريق بين القبائل والشعوب. قال شيخ الإسلام: ابـن تيميـة ﷺ: ((كـل مـا خرج عن دعوى الإسلام والقـرآن مـن نـسب، أو بلـد، أو جـنس أو مـذهب أو طريقة، فهـو مـن عـزاء الجاهليـة، بـل لمـا اختـصم مهـاجريٌ وأنـصاريٌ، فقـال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!" وغضب لذلك غضبًا شديدًا) انتهى.

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦].

وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قـال: "لـيس منـا مـن دعـا إلى عـصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى

لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد"، ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية، ويغضبون لعصبية، ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضًا أنَّ الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر؛ لأنَّ القومية ليست دينًا سماويًا يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم، فتأمل أيها القارئ ذلك يظهر لك وجه الحق، ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خُلِق من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"، وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣]، أوضح سبحانه بهذه الآية الكريمة أنَّه جعل الناس شعوبًا وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعاظم، وجعل أكرمهم عنده هو أتقاهم، وهكذا يدل الحديث المذكور على هذا المعنى ويرشد إلى أنَّ سنة الجاهلية التكبر والتفاخر بالأسلاف والأحساب، والإسلام بخلاف ذلك، يدعو إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله، وأن يكون المسلمون الصادقون من سائر أجناس بني آدم، جسدًا واحدًا، وبناء واحدًا يشد بعضهم بعضًا، ويألم بعضهم لبعض، كما في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه". وقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". فأنشدك بالله أيها القومي: هل قوميتك تدعو إلى هذه

الأخلاق الفاضلة، من الرحمة للمسلمين من العرب والعجم، والعطف عليهم والتألم لآلامهم؟ لا والله، وإنما تدعو إلى موالاة من انخرط في سلكها، ونصب العداوة لمن تنكر لها، فتنبه أيها المسلم الراغب في النجاة، وانظر إلى حقائق على ما هي عليه، أرشدني الله وإياك إلى أسباب النجاة.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح أنَّ غلامًا من المهاجرين وغلامًا من الأنصار تنازعًا، فقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين! وقال الأنصارى: يا للأنصار فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!"، فإذا كان من انتسب إلى المهاجرين واستنصر بهم على إخوانهم في الدين، أو إلى الأنصار واستنصر بهم على إخوانهم في الدين يكون قد دعا بدعوى الجاهلية، مع كونهما اسمين محبوبين لله سبحانه، وقد أثنى الله على أهلهما ثناءً عظيمًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فكيف تكون حال من انتسب إلى القومية واستنصر بها وغضب لها؟ أفلا يكون أولى ثم أولى بأن يكون قد دعا بدعوى الجاهلية؟ لا شك أن هذا من أوضح الواضحات.

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري، أنَّ النبي ﷺ قال: "إنَّ الله أمر يحيي بن ذكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن" فذكرها، ثم قال النبي ﷺ: "وأنا أمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم" قيل: يا رسول الله، إنْ صلى وصام؟ قال: "وإن صلى وصام وزعم أنَّه مسلم، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله"، وهذا

الحديث الصحيح من أوضح الأحاديث وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية واعتبارها دعوة جاهلية، يستحق دعاتها أن يكونوا من جُثى جهنم، وإن صاموا وصلوا، وزعموا أنَّهم مسلمون. فيا له من وعيد شديد، وتحذير ينذر كل مسلم من الدعوات الجاهلية، والركون إلى معتنقيها، وإن زخرفوها بالمقالات السحرية، والخطب الرنانة الواسعة، التي لا أساس لها من الحقيقة، ولا شاهد لها من الواقع، وإنما هو التلبيس والخداع والتقليد الأعمى، الذي ينتهي بأهله إلى أسوأ العواقب، نسأل الله السلامة من ذلك.

وهنا شبهة يذكرها بعض دعاة القومية أحب أن أكشفها للقارئ وهي أن بعض دعاة القومية زعم أن النهي عن الدعوة إلى القومية العربية والتحذير منها يتضمن تنقص العرب وإنكار فضلهم.

الجواب أن يقال: لا شك أنَّ هذا زعم خاطئ واعتقاد غير صحيح، فإنَّ الاعتراف بفضل العرب، وما سبق لهم في صدر الإسلام من أعمال مجيدة لا يشك فيه مسلم عرف التاريخ كما أسلفنا، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم، ومنهم أبو العباس ابن تيمية في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم) أنَّ مذهب أهل السنة تفضيل جنس العرب على غيرهم، وأورد في ذلك أحاديث تدلُّ على ذلك، ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضلهم أن يجعلوا عمادًا يتكتل حوله، ويُوالى عليه ويُعادي عليه وإنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزهم الله به، وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم، فهذا لون وهذا لون، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم، وما منّ الله به عليهم من فصاحة اللسان، ونزول القرآن الكريم بلغتهم، وإرسال الرسول الخاتم بلسانهم، ليس مما يقدّمهم عند الله في الآخرة، ولا يوجب لهم النجاة إذا لم

يؤمنوا ويتقوا، وليس ذلك أيضا يوجب تفضيلهم على غيرهم من جهة الدين، بل أكرم الناس عند الله أتقاهم، كما تقدم في الآية الكريمة والحديث الشريف، هذا الفضل عند أهل التحقيق يوجب عليهم أن يشكروا الله سبحانه أكثر من غيرهم، وأن يضاعفوا الجهود في نصر دينه الذي رفعهم الله به، وأن يُوالوا عليه ويُعادوا عليه، دون أن يلتفتوا إلى قومية أو غيرها من الأفكار المسمومة، والدعوات المشبوهة، ولو كانت أنسابهم وحدها تنفعهم شيئًا لم يكن أبو لهب وأضرابه من أصحاب النار، ولو كانت تنفعهم بدون الإيمان لم يقل لهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا". وبذلك يعلم القارئ السليم من الهوى أنَّ الشبهة المذكورة شبهة واهية لا أساس لها من الشرع المطهر، ولا من المنطق السليم البعيد من الهوى.

وهنا شبهة أخرى وهي قول بعضهم: أنَّه قد روي عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إذا ذلَّ العرب ذلَّ الإسلام " ورواه بعضهم بلفظ "إذا عزَّ العرب عزَّ الإسلام " قالوا: وهذا يدلُّ على أنَّ انتصار القومية العربية والدعوة إليها انتصار للإسلام ودعوة إليه.

والجواب أن يُقال: يعلم كل ذي لب سليم وبصيرة بالإسلام، أنَّ هذه سفسطة في السميعات، ومغالطة في الحقائق، وتأويل للحديث على غير تأويله، سواء صح أم لم يصح، فإنَّ الواقع يشهد بخلاف ما ذكره القائل، فقد ذلَّ العرب يوم بدر ويوم الأحزاب، وصار في ذلهم عز الإسلام وظهوره، وانتصر العرب يوم أحد وصار في انتصارهم ذل المسلمين والمضرة عليهم، ولكن الله سبحانه لطف بأوليائه وأحسن لهم العاقبة، فهل يستطيع هذا القائل أن يدَّعى خلاف هذا الواقع؟ وهل يمكن أن يقول: إنَّ انتصار العرب الكافرين بالله، المحاربين لدينه،

انتصار للإسلام، من قال هذا فقد قال خلاف الحق، وهو إمَّا جاهل أو متجاهل، يريد أن يُلبس الحق بالباطل ويخدع ضعفاء البصائر، سبحان الله ما أعظم شأنه، ثم أعود فأوضح للقارئ أنَّ الحديث المذكور ضعيف الإسناد، ولا يصح عن النبي ﷺ قال الحافظ: أبو الحسن الهيثمي في: (مجمع الزوائد) لما ذكر هذا الحديث بلفظ: "إذا ذلت العرب ذل الإسلام"رواه أبو يعلي، وفي إسناده محمد بن الخطاب ضعفه الأزدي وغيره، ووثقه ابن حبان. انتهى.

وقال الحافظ الذهبي في (الميزان) في ترجمة محمد المذكور: (قال أبو حاتم: لا أعرفه. وقال الأزدي: منكر الحديث) انتهى **قلت**: وفي إسناده أيضًا علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف عند جمهور من المحدثين لا يحتج بحديثه، لو سلم الإسناد من غيره، فكيف وفي الإسناد من هو أضعف منه، وهو محمد بن الخطاب المذكور أما توثيق ابن حبان له، فلا يعتمد عليه؛ لأنه معروف بالتساهل وقد خالفه غيره، ولو صح الحديث لكان معناه: إذا ذل العرب الحاملون راية الإسلام والدعوة إليه، لا العرب المتنكرون له الداعون إلى غيره، ولا يجوز أن يرد في سنة رسول الله ﷺ ما يخالف القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أبدًا، فإنَّ كلام الله لا يتناقض، وكلام رسول الله ﷺ كذلك، والسنة لا تخالف القرآن بل تصدقه وتوافقه، وتدل على معناه وتوضح ما أجمل فيه.

وقد علَّق الله سبحانه في القرآن النصر على الإيمان بالله والنصر لدينه، فلا يجوز أن يرد في السنة ما يناقض ذلك، فتنبه أيها المؤمن، واحذر من الشبهات المضللة، والأحاديث المكذوبة، والآراء الفاسدة والأفكار المسمومة، فإن الخطر عظيم، والمعصوم من عصمه الله سبحانه، فاعتصم به وتوكل عليه وتفقه في دينه،

واستقم عليه تفز بالنجاة والعاقبة الحميدة.

وهذه الشبه وأمثالها تفسر لنا ما صح به الحديث عن النبي ﷺ من حديث حذيفة: أنَّه قال: كان الناس يسألون الرسول ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أنْ يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دَخَن"، قلت: ما دخنه؟ قال: "قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر" قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"(١)، فهذا الحديث العظيم الجليل يرشدك أيها المسلم إلى أنَّ هؤلاء الدعاة اليوم، الذين يدعون إلى أنواع من الباطل كالقومية العربية، والاشتراكية والرأسمالية الغاشمة، وإلى الخلاعة والحرية المطلقة وأنواع الفساد كلهم دعاة على أبواب جهنم، سواء علموا أم لم يعلموا، من أجابهم إلى باطلهم قذفوه في جهنم، ولا شك أنَّ هذا الحديث الجليل من أعلام النبوة، ودلائل صحة رسالة محمد ﷺ حيث أخبر بالواقع قبل وقوعه فوقع كما أخبر.

فنسأل الله لنا ولسائر المسلمين العافية من مضلات الفتن، ونسأله سبحانه أن يصلح ولاة أمر المسلمين وزعماءهم حتى ينصروا دينه، ويحاربوا ما خالفه. إنَّه ولي

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

ذلك والقادر عليه.

الوجه الثالث: من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية: هو أنّها سُلَّمٌ إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة. والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢]. سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا، نخشى أن تُسلَب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيُوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى، ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم، تحت لواء القومية العربية، ويقولون: إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي، وإن تفرقت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله، ومخالفة لشرع الله، وتعدٍ لحدود الله، وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله؟ فما أعظم ذلك من باطل، وما أسوأه من منهج. القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ويقول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١].

ونظام القومية يقول: كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم والله يقول:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ ﴾ [الشورى: ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وشرع القومية، أو بعبارة أخرى شرع دعاتها يقول: أقصوا الدين عن القومية، افصلوا الدين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم، حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم، وكأن الإسلام وقف في طريقهم، وحال بينهم وبين أمجادهم، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

والآيات الدالة على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والتحذير من توليهم كثيرة لا تخفى على أهل القرآن، فلا ينبغي أن نطيل بذكرها. وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبوجهل، وأبولهب، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي ﷺ وبعده إلى يومنا هذا، إخوانًا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة، ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا. هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل، وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه، وإن أنكره بعض دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيسًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد أوجب الله على المسلمين أن يتكاتفوا ويتكتلوا تحت راية الإسلام وأن

يكونوا جسدًا واحدًا، وبناء متماسكًا ضد عدوهم، ووعدهم على ذلك النصر والعز والعاقبة الحميدة، كما تقدم ذلك في كثير من الآيات، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢]، فوعد الله سبحانه عباده المرسلين، وجنده المؤمنين بالنصر والغلبة، واستخلافهم في الأرض والتمكين لدينهم، وهو الصادق في وعده ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠]، وإنما يتخلف هذا الوعد في بعض الأحيان بسبب تقصير المسلمين، وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالله، والنصر لدينه، كما هو الواقع، فالذنب ذنبنا لا ذنب الإسلام، والمصيبة حصلت بما كسبت أيدينا من الخطايا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

فالواجب على العرب وغيرهم: التوبة إلى الله سبحانه، والتمسك بدينه، والتواصي بحق، وتحكيم شريعته، والجهاد في سبيله، والاستقامة على ذلك من الرؤساء وغيرهم، فبذلك يحصل لهم النصر ويُهزم العدو، ويحصل التمكين في الأرض، وإن قل عددنا وعدتنا، ولا ريب أنَّ من أهم الواجبات الإيمانية أخذ الحذر من عدونا، وأن نعد له ما نستطيع من القوة، وذلك من تمام الإيمان، ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها، ولا يجوز إهمالها، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وليس للمسلمين أن يُوالوا الكافرين، أو يستعينوا بهم على أعدائهم، فإنهم من الأعداء، ولا تؤمن غائلتهم، وقد حرم الله موالاتهم، ونهى عن اتخاذهم بطانة، وحكم على من تولاهم بأنه منهم، وأخبر أنَّ الجميع من الظالمين، كما سبق ذلك من الآيات المحكمات، وثبت في: (صحيح مسلم)، عن عائشة ﵂ قالت: خرج رسول الله ﷺ قِبَل بدر، فلما كان بـ (حرة الوبرة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال رسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا، قال: "فارجع فلن أستعين بمشرك"، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ : كما قال أول مرة، فقال: لا، قال: "فأرجع فلن أستعين بمشرك"، قالت: ثم رجع فأدركه في البيداء، فقال له كما قال أول مرة: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: "فانطلق" فهذا الحديث الجليل، يرشدك إلى ترك الاستعانة بالمشركين، ويدل على أنَّه لا ينبغي للمسلمين أن يُدخلوا في جيشهم غيرهم، لا من العرب ولا من غير العرب؛ لأنَّ الكافر عدو لا يُؤمن، وليعلم أعداء الله أنَّ المسلمين ليسوا في حاجة إليهم، إذا اعتصموا بالله، وصدقوا في معاملته؛ لأنَّ النصر بيده لا بيد غيره، وقد وعد به المؤمنين، وإن قل عددهم وعدتهم كما سبق في الآيات وكما جرى لأهل الإسلام في صدر الإسلام، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك وسنة

نبيك عليه الصلاة والسلام كيف يحاربان موالاة الكفار، والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة، والله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من أنفسهم، فلو كان في اتخاذهم الكفار أولياء من العرب أو غيرهم والاستعانة بهم مصلحة راجحة، لأذن الله أذن فيه وأباحه لعباده، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى، والعواقب الوخيمة، نهى عنه وذمَّ من يفعله، وأخبر في آيات أخرى أنَّ طاعة الكفار، وخروجهم في جيش المسلمين يضرهم، ولا يزيدهم ذلك إلا خبالاً، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

فكفى بهذه الآيات تحذيرًا من طاعة الكفار، والاستعانة بهم، وتنفيرًا منهم، وإيضاحًا لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، عافى الله المسلمين من ذلك، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣]. أوضح سبحانه أنَّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، فإذا لم يفعل المسلمون ذلك، واختلط الكفار بالمسلمين وصار بعضهم أولياء بعض، حصلت الفتنة والفساد الكبير، وذلك بما يحصل في القلوب من الشكوك، والركون إلى أهل الباطل والميل إليهم واشتباه الحق على المسلمين نتيجة امتزاجهم بأعدائهم وموالاة بعضهم لبعض، كما هو

الواقع اليوم من أكثر المدَّعين للإسلام حيث والوا الكافرين، واتخذوهم بطانة، فالتبست عليه الأمور بسبب ذلك، حتى صاروا لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيحصل بذلك من الفساد والأضرار ما لا يحصيه إلا الله سبحانه.

وقد احتج بعض دعاة القومية على جواز موالاة النصارى والاستعانة بهم بقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة: ٨٢]، وزعموا أنَّها ترشد إلى جواز موالاة النصارى؛ لكونهم أقرب مودة للذين آمنوا من غيرهم، وهذا خطأ ظاهر وتأويل للقرآن بالرأي المجرد، المصادم للآيات المحكمات المتقدم ذكرها وغيرها، ولما ثبت في السنة المطهرة من التحذير من موالاة الكفار، من أهل الكتاب وغيرهم وترك الاستعانة بهم وقد ورد عنه ﷺ أنَّه قال: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" والواجب: أن تفسر الآيات بعضها ببعض، ولا يجوز أن يفسر شيء منها بما يخالف بقيتها، وليس في هذه الآية بحمد الله ما يخالف الآيات الدالة على تحريم موالاة الكفار من النصارى وغيرهم، وإنما أُتي هذا الداعية من سوء فهمه وتقصيره في تدبر الآيات، والنظر في معناها، ومعنى هذه الآية بكلام أهل التفسير المعروفين بالعلم والأمانة والإمامة، ومعنى هذه الآية على ما قال أهل التفسير، وعلى ما يظهر من صريح لفظها: أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين، وليس معناها: أنَّهم يوادون المؤمنين، ولا أنَّ المؤمنين يوادونهم، ولو فرض أن النصارى أحبوا المؤمنين وأظهروا مودتهم لهم لم يجز لأهل الإيمان أن يُوادوهم ويُوالوهم، لأنّ الله ﷻ قد نهاهم عن ذلك في الآيات السالفات ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ولا ريب أنَّ النصارى من المحادين لله ولرسوله، النابذين لشريعته، المكذبين له ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، فكيف يجوز لمن يؤمن بالله واليوم والآخر، أن يُوادهم أو يتخذهم بطانة؟ نعوذ بالله من الخذلان وطاعة الهوى والشيطان.

وزعمٌ آخر من دعاة القومية أن الله سبحانه قد سهَّل في موالاة الكفار الذين لم يخرجونا من ديارنا، واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. وهذا كالذي قبله احتجاج باطل، وقوله في القرآن بالرأي المجرد، وتأويل للآية على غير تأويلها، والله سبحانه حرم موالاة الكفار ونهى عن اتخاذهم بطانة في الآيات المحكمات، ولم يفصل بين أجناسهم، ولا بين من قاتلنا ومن لم يقاتلنا، فكيف يجوز لمسلم أن يقول على الله ما لم يقل، وأن يأتي بتفصيل من رأيه لم يدل عليه كتاب ولا سنة؟ سبحان الله ما أحلمه! وإنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم: الرخصة في الإحسان إلى الكفار، والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا، بموجب عهد أو أمان أو ذمة، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك، كما ثبت في الصحيح أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي ﷺ وهي مشركة تريد الدنيا، فأمر النبي ﷺ أسماء أن تصل أمها، وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أهل مكة، وصح عن النبي ﷺ أنه أعطى عمر جُبَّه من حرير، فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك، فهذا وأشباهه من

الإحسان الذي قد يكون سببًا في الدخول في الإسلام والرغبة فيه، وإيثاره على ما سواه، وفي ذلك صلة للرحم، وَجُودٍ على المحتاجين، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب والأبصار.

وللقوميين هنا شبهة. هي أنَّهم يقولون: إنَّ التكتل حول القومية العربية بدون تفرقة بين المسلم والكافر يجعل العرب وحدة قوية، وبناء شامخًا، يهابهم عدوهم ويحترم حقوقهم، وإذا انفصل المسلمون عن غيرهم من العرب، ضعفوا وطمع فيهم العدو، وشُبهة أخرى وهي أنهم يقولون: إنّ العرب إذا اعتصموا بالإسلام، وتجمعوا حول رايته، حقد عليهم أعداء الإسلام، ولم يعطوهم حقوقهم، وتربصوا بهم الدوائر، خوفًا من أن يثيروها حروبًا إسلامية، ليستعيدوا بها مجدهم السالف، وهذا يضرنا ويؤخر حقوقنا ومصالحنا المتعلقة بأعدائنا، ويثير غضبهم علينا.

والجواب أن يُقال: إنّ اجتماع المسلمين حول الإسلام، واعتصامهم بحبل الله، وتحكيمهم لشريعته، وانفصالهم عن أعدائهم والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، هو سبب نصر الله لهم وحمايتهم من كيد أعدائهم، وهو وسيلة إنزال الله الرعب في قلوب الأعداء من الكافرين، حتى يهابوهم ويعطوهم حقوقهم كاملة غير منقوصة، كما حصل لأسلافهم المؤمنين. فقد كان بين أظهرهم من اليهود والنصارى الجمع الغفير، فلم يُوالوهم ولم يستعينوا بهم، بل والوا الله وحده، واستعانوا به وحده، فحماهم وأيدهم ونصرهم على عدوهم والقرآن والسنة شاهدان بذلك، والتاريخ الإسلامي ناطق بذلك، قد علمه المسلم والكافر. وقد خرج النبي ﷺ يوم بدر إلى المشركين، وفي المدينة اليهود، فلم يستعن

بهم، والمسلمون في ذلك الوقت ليسوا بالكثرة، وحاجتهم إلى الأنصار والأعوان شديدة، ومع ذلك فلم يستعن نبي الله والمسلمون باليهود، لا يوم بدر ولا يوم أحد، مع شدة الحاجة إلى المعين في ذلك الوقت، ولا سيما يوم أحد. وفي ذلك أوضح دلالة على أنَّه لا ينبغي للمسلمين أن يستعينوا بأعدائهم، ولا يجوز أن يُوالوهم بدخولهم في جيشهم، لكونهم لا تؤمن غائلتهم، ولما في مخالطتهم من الفساد الكبير، وتغيير أخلاق المسلمين، وإلقاء الشبهة، وأسباب الشحناء والعداوة بينهم، ومن لم تسعه طريقة الرسول ﷺ وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسع الله عليه، وأما حقد غير المسلمين على المسلمين إذا تجمعوا حول الإسلام، فذلك مما يرضي الله عن المؤمنين، ويوجب له نصرة، حيث أغضبوا أعداءه من أجل رضاه ونصر دينه والحماية لشرعه. ولن يزول حقد الكفار على المسلمين، إلا إذا تركوا دينهم واتبعوا ملة أعدائهم، وصاروا في حزبهم، وذلك هو الضلال البعيد والكفر الصريح، وسبب العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]، فأبان الله ﷻ في هذه

الآيات البينات: أن الكفار لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، وندع شريعتنا، وإنهم لا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا.

وأخبر أنَّه متى أطعناهم واتبعنا أهواءهم، كنا من المخلَّدين في النار، إذا متنا على ذلك نسأل الله العافية من ذلك، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وأسباب انتقامه.

الوجه الرابع: من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يُقال: إنَّ الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن؛ لأنَّ القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكامًا وضعية تخالف حكم القرآن، حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف. وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]، وكل دولة لا تحكم بشرع الله، ولا تنصاع لحكم الله، ولا ترضاه فهي دولة جاهلية كافرة، ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده، وتحكم شريعته، وترضى بذلك لها وعليها، كما قال ﷻ:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها، أن يُحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم، وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة، وغاياتها الوخيمة، وأن يُكرِّسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلاً من الدعوة إلى قومية أو وطنية، وليعلموا يقينا أنَّهم إن لم يرجعوا إلى دينهم ويستقيموا عليه ويُحكِّموه فيما شجر بينهم، فسوف ينتقم الله منهم، ويفرق جمعهم، ويسلبهم نعمته، ويستبدل قومًا غيرهم، يتمسكون بدينه ويحاربون ما خالفه كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥]، وصح عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إن الله لَيُملي الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ قوله تعالى: (﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، فيا معشر القوميين: راقبوا الله سبحانه، وتوبوا إليه، وخافوا عذابه واشكروه على إنعامه، وذلك بتعظيم كتابه وسنة نبيه ﷺ والعمل بهما ودعوة الناس إلى ذلك، وتحذيرهم مما يخالفه، ففي ذلك عز الدنيا والآخرة، وصلاح أمر المجتمع، وراحة الضمير وطمأنينة القلب، والسعادة العاجلة والآجلة، والأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة. وكل ما خالف ذلك من الدعوات، فهي دعوة إلى جهنم، وسبيل إلى

قلق الضمائر، واضطراب المجتمع، وتسليط الأعداء، وحرمان السعادة والأمن في الدنيا والآخرة، كما قال ذو العزة والجلال في كتابه المبين: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧]، فأبان سبحانه في هذه الآيات أنَّ من اتبع هداه لم يضل ولم يشقَ، بل له الهدى والسعادة في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن ذكره فله المعيشة الضنك في الدنيا، والعمى والعذاب في الآخرة. ومن ضنك المعيشة في الدنيا ما يبتلى به أعداء الإسلام من ظلمة القلوب وحيرتها، وما ينزل بها من الغموم والهموم والشكوك والقلق، وأنواع المشاق في طلب الدنيا وجمعها والخوف من نقصها وسلبها، وغير ذلك من أنواع العقوبات المعجلة في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، نسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يعرفنا بذنوبنا، ويَمُن علينا بالتوبة منها، وأن يهدينا وسائر إخواننا سواء السبيل، إنّه على كل شيء قدير))[١].

---

(١) راجع كتاب نقد القومية العربية ط تحت إشراف الرئاسة العامة للإفتاء، وراجع أيضًا مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٢٨٠-٣٠٧].

الفصل السَّادس

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على الاشتراكية ودعاتها

واشتمل على:

١- تمهيد في تعريف الاشتراكية ونشأتها.

٢- الرد على الصحافة المصرية في دعوتها لتطبيق الاشتراكية.

٣- جواب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للصحف الباكستانية حول حكم تطبيق الاشتراكية.

٤- رسالة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للنظام الاشتراكي في العراق.

الفصل السادس

عنوان

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على الاشتراكية ودعاتها

تمهيد في تعريف الاشتراكية ونشأتها:

الاشتراكية: مذهب فكري اقتصادي متفرع من الشيوعية الإلحادية التي نشأت في روسيا عام ١٩١٧م، وانتشر هذا المذهب في كثير من البلدان تقليدًا للنظام الاشتراكي الروسي.

النشأة:

نشأ المذهب الاشتراكي، وتفرع كمنهج اقتصادي مادي في ظل الشيوعية في روسيا، وفُرِضَ على الدول المسلمة بالقهر عبر حكومات تُسوِّقه بالإغراء تارة وبالاحتلال تارة أخرى، كما حدث في أفغانستان والدول الإسلامية التي احْتُلَت بالقهر والحديد والنار من روسيا والدول الشيوعية الأخرى.

لقد نشأت في الدول الإسلامية أحزابًا شيوعية، تتبنى الإلحاد والدعوة إلى إنكار الأديان، وأنها أفيون الشعوب، وكذلك الدعوة إلى الأخذ بالمذهب الاشتراكي في الاقتصاد، بعد أن أخفوا حقيقته وحقيقة رجاله، وزعموا أنهم لم يأخذوا الإلحاد من الشيوعية وإنما أَخذوا المذهب الاشتراكي الاقتصادي فقط[1].

تقوم الاشتراكية على عدة مبادئ منها:

١. إلغاء الملكية الفردية:

يدَّعي الشيوعيون والاشتراكيون أنَّ أسباب الصراع الطَّبقي بين أفراد

(١) راجع تفصيل ذلك الموسوعة الميسرة [٢/ ٩٨٩]. مذاهب فكرية معاصر [٤١٠].

المجتمع هو الملكية الفردية، ولكي تستريح البشرية من هذا الصراع لابُدَّ من إلغاء هذه الملكية لكي تعيش البشرية في سلامٍ، وتكون الملكية جماعية، وليس معنى ذلك أنْ تمتلك جماعة ما تقوم بإنتاجه، إنما الدولة هي المالك الوحيد للثروات تقوم بتوزيعها على الأفراد.

٢. إلغاء الطبقية:

وهذا المبدأ يترتب على تطبيق المبدأ الأول، لأنها حين توجد ملكية فردية تكون هناك طبقات، وحين تزول الملكية الفردية تزول الطبقات.

٣. كفالة الدولة لجميع المواطنين:

تقوم الدولة على كفالة المواطنين رجالاً ونساءً والقادرون على العمل منهم يقومون بالعمل، وتتولى الدولة كفالة الأفراد بتقديم الطعام مقابل بطاقات تموينية موحدة وتقديم الملابس مرةً في الشتاء، ومرة في الصيف.

٤. المساواة في الأجور:

جميع الأفراد متساوون في الأجور وفي المأكل والمشرب، لإلغاء الطبقية البغيضة التي تدعو إليها الرأسمالية[1].

(١) راجع بتوسع وتفصيل مبادئ الاشتراكية مذاهب فكرية معاصرة [ص٤١٠]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة [٢/ ٩٨٩].

الرد على بعض الصحف المصرية في دعوتها للاشتراكية والشيوعية

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ بعد أنْ عدَّد الكثير من الدعوات المشبوهة عبر هذه الصحف[١] ((ثم أقول: ليس هذا وحده جرم صحف القاهرة، فكم لها من جرائم، وكم من مخازٍ، وكم لها من مكفِّرات ونواقضَ للإسلام؟ أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الاشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على ظلم العباد وزعموا تلبيسًا وتضليلاً أنها الإسلام والإسلام براءٌ من ذلك، الإسلام حرم على النّاس دماءهم وأموالهم وأعراضهم، الإسلام يحترم مال الفرد والجماعة ويحرسه، ويحميه بقطع يد السارق وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال فقط يقول الرسول العظيم ﷺ في حجة الوداع يوم النحر:"إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا))[٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "من اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، قالوا وإن كان قضيبًا أراك؟، قال: "وإن كان قضيبًا من أراك"[٣].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "من اقتطع شبرًا من الأرض طؤقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"[٤].

---

(١) قال ذلك ردًا على صحيفة المساء القاهرية وتأييدًا لصحافة صوت الإسلام المصرية.

(٢) متفق على صحته.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) متفق على صحته.

ويقول الله في كتابه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال سيد الخلق فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: "يا عبادي إنِّي حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا".

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه" والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم المتنوعة على عصمة مال المسلم، وتحريم دمه وعرضه إلاَّ بحق، وأجمع علماء المسلمين على ذلك ومع هذا كله فدعاة الاشتراكية والشيوعية، وأعوانهم على الظلم والعدوان استباحوا أموال الناس، ودماءهم بغير حقٍ، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراءهم ظهريًا، ولو أنهم قالوا: قد عرفنا أنه ظلم وعدوان، وأقدمنا عليه، لكان أسهل عند الله وعند المؤمنين، ولكن بعضهم مع الظلم السافر، والكفر الظاهر يزعمون أنَّ أعمالهم الماركسية، وتصرفاتهم الشيوعية، وسيرتهم الكفرية الإلحادية من الإسلام، ويزعم لهم أذنابهم وعبيدهم تلبيسًا وتضليلاً أنَّ الإسلام جاء بذلك، والله سبحانه ورسوله ودينه براء من ذلك كله ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، ولقد صدق الله حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

ومنْ زَعَمَ أن ما يفعله دعاة الاشتراكية والشيوعية من الظلم، والاستبداد والتعدِّي على حرمات المسلمين من الإسلام، فهو كافر ضال كاذب على الله ورسوله وعلى شرعه، كما أنَّ من أنكر الحدود كحد السرقة أو غيره، وزعم أنَّها ليست من شرع الله، كما ينعق بذلك دعاة الإلحاد من الشيوعية وغيرهم، فهو كافرٌ مكابرٌ مكذبٌ لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ومن زعم أن الاشتراكية الماركسية من الإسلام، أو أنها خير من الإسلام، أو أرحم من الإسلام فهو أكفر عباد الله وأضلهم عن سواء السبيل.

والاشتراكية استوردها أربابها، ليغْنُوا بها الفقراء بزعمهم، وإنَّما جلبوها في الحقيقة، ليفُقِرُوا بها الأغنياء، ويسلبوا بها أموال الناس بالباطل باسم رحمة الفقراء، ويصرفوها في مطامعهم وأغراضهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية، ويخمدوا بها جذوة الحركة والعمل، ويصدوا بها الناس عن التفكير في حق رب العالمين، والتنافس في مصالح الحياة، والثورة على الكفرة والطغاة الملحدين.

هذه حال الاشتراكية وأهلها، حسدوا الناس على ما آتاهم من فضله، وتجرؤوا على شرعه، وظلموا العباد، واستبدوا بالأموال العتاد، وحاربوا الله في أرضه واستكبروا عن طاعته وحقه، تبًا لهم ما أخسر صفقهم، وأخس مروءتهم وأسوأ عاقبهم، فالحذر الحذر أيها المسلمون من أرباب هذه الفتنة العمياء والبدعة النكراء، والكفر الصريح والمعاداة لله ورسوله وشرعه لعلكم تفلحون))[1].

---

(١) مجموع مقالات وفتاوى [٦/ ٣٣٤-٣٣٨]، وراجع رد سماحة الشيخ على مجلة المصور و الكاتب أحمد بهاء الدين في دعوته للاشتراكية [١/ ١٥٦-١٦٢].

جواب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للصحف الباكستانية حول حكم تطبيق الاشتراكية

سألت إحدى الصحف الباكستانية سؤالا لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز:

نصه:

ما حكم الذين يطالبون بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية، ويحاربون حكم الإسلام، وما حكم الذين يساعدونهم على هذا المطلب، ويذمُّون من يطالب بحكم الإسلام، ويلمزونهم ويفترون عليهم، هل يجوز اتخاذ هؤلاء أئمةً وخطباء في مساجد المسلمين؟

فأجاب سماحة الشيخ رحمه الله قائلاً:

((الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، لا ريب أنَّ الواجب على أئمة المسلمين وقادتهم أنْ يُحكِّموا الشريعة الإسلامية في جميع شؤونهم، وأن يحاربوا ما خالفها، وهذا أمرٌ مجمعٌ عليه بين علماء الإسلام، ليس فيه نزاع بحمد الله، والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة معلومة عند أهل العلم منها قوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:

٤٤]، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد أجمع العلماء على أنَّ منْ زعم أنَّ حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أنَّ هَدْيَ غير رسول الله أحسن من هدي الرسول فهو كافر، كما أجمعوا على أنَّ من زعم أنه يجوز لأحدٍ من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال، وبما ذكرنا من الأدلة القرآنية وإجماع أهل العلم، يعلم السائل وغيرُه، أنَّ الذين يَدعُون إلى الاشتراكية أو الشيوعية، أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام، كفَّارُ ضُّلالٌ، أكفر من اليهود والنصارى لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

ولا يجوز أن يجْعل أحد منهم خطيبًا وإمامًا في مسجد من مساجد المسلمين، ولا تصح الصلاة خلفهم، وكل من ساعدهم على ضلالهم وَحسَّن ما يدعون إليه، وَذمَّ دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة التي سار في ركابها وأيدها في طلبها، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين، وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

وأرجو أن يكون فيما ذكرنا كفاية ومقنع لطالب الحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق، وأن يُكبِت أعداءَ الإسلام ويُفرِّق جمعهم، ويشتت شملهم، ويكفي المسلمين شرهم، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٢٦٨-٢٧٠].

رسالة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله للنظام الاشتراكي في العراق

عندما تولى الاشتراكيون في العراق سُدَّة الحكم إثر انقلاب عسكري أرسل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله رسالة لهم يبين أن تطبيق النظام الاشتراكي كفر بواح ويدعوهم إلى تحكيم الشريعة، وكان سماحة الشيخ في ذلك الوقت نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

نص الرسالة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((فخامة رئيس الجمهورية أخذ الله بيده إلى الحق.

إنَّ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تستنكر ما أصدرته القيادة العراقية من القرارات الاشتراكية، وتضم صوتها إلى صوت علماء العراق، وغيرهم من العلماء في إنكار النظام الاشتراكي، وتؤكد بأنّه نظام كفري يصادم نظام الإسلام ويناقضه، وتنصح حكومة العراق بالرجوع إلى نظام الإسلام، وتطبيقه في البلاد، لكونه أعدل نظام، وأصلح تشريع عرفته البشرية، وهو كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية السليمة وحل المشاكل الاقتصادية وغيرها، وإيصال حق الفقير إليه على خير وجه، إذا أخلص المسلمون في تطبيقه.

والإسلام يُحَرِّم على المسلم دم أخيه وماله وعرضه، ويعطيه حرية التصرف الكامل في ماله في ظل الحكم الشرعي، وتصرح تعاليمه بأن ما يزعمه بعض الناس من أن النظام الاشتراكي مستمد من روح الإسلام زعم باطل لا أساس له من الصحة.

هذا وأسأل الله أن يهدي الجميع صراطه المستقيم))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٧/ ٢٩٨].

الفصل السابع

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مسألة تحكيم الشريعة والرد على الداعين إلى تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين

واشتمل على:

تمهيد في قضية تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين.

١- رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه.

٢- بيان أنّ الحكم بالشريعة له ارتباط بالشهادتين وبيان حكم التحاكم للطاغوت.

٣- حكم الاحتكام إلى القوانين الوضعية.

٤- جواب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لصحيفة الراية السودانية حول تطبيق الشريعة.

٥- رد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على صحيفة عكاظ في دعوتها لإحياء التحاكم للأعراف القَبَليَّة.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل السَّابع

جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مسالة تحكيم الشريعة والرد على الداعين إلى تحكيم القوانين الوضعية

تمهيد في قضية تحكيم القوانين الوضعية في بلاد المسلمين:

إنَّ قضية تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع شؤون الحياة من القضايا الهامة التي يجب العناية بتقريرها، وبيان ارتباطها بالتوحيد والعقيدة(١).

وقد حازت هذه القضية اهتمام علماء المسلمين في القديم والحديث، وقد اكتسبت هذه القضية اهتمامًا خاصًا في عصرنا منذ أنْ نُحِّيَت الشريعة عن الحكم في شؤون الحياة في أغلب ديار المسلمين، وحَلَّتَ محلها القوانين الوضعية التي عمَّت أغلب بلاد المسلمين وصار الحكم بها بديلاً عن الشريعة.

وقد ظلت الأمة المسلمة قرونا تطبق شرع الله في جميع المجالات، وفي كافة الشؤون، لأنها تعرف أنَّ قضية الحكم بالشريعة لها ارتباط وثيق بعقيدتها، بل بمدلول الشهادتين، وهي تعلم أيضًا أنَّ تنحية الشريعة عن الحكم في أمور الناس واستبدالها بالقوانين الوضعية من الكفر البواح.

ثمّ بدأت الأمة تفرِّط في هذه القضية الهامة والعروة العظيمة التي قال عنها رسول الله ﷺ: "تُنقض عرى الإسلام عروة عروة فأولها الحكم وأخرها الصلاة"(٢).

---

(١) راجع في ارتباط الحكم بما أنزل الله بالعقيدة والتوحيد:
١- الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه. ٢- نواقض الإيمان القولية والعملية.
٣- حول تطبيق الشريعة. ٤- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم [١٢/ ١٨٠].

(٢) أحمد في المسند[٥/ ٢٥١]، وابن حبان في صحيحه [١٥-١١١]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٠٤]، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب والترهيب) (٥٧١)، وصحح الجامع [٢/ ٩٠٥].

وقد أطبقت الدساتير الوضعية على أغلب ديار المسلمين، وأُسِّسَت كلياتُ تخرج دهاقنة القوانين ومُنظِّريها، وأصبح تحكيم الشريعة غريبًا في أغلب ديار المسلمين، بل وُصِفَ الداعون إلى تحكيم الشريعة بأوصاف الجمود والتخلف والتطرف والرجعية، وثارت هنا وهناك دعوات تنادي بأن الشريعة لم تُعد تلبي مقتضيات العصر وأنَّ القوانين المعاصرة لها من المرونة ما يجعلها تفوق الشريعة في ملاءمتها لأحوال العصر ومستجداته ومتغيراته.

ولأهمية هذه القضية، والتباسها على كثير من الناس في عصرنا، فقد آثرنا أن ننقل جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، وأشهد أنْ لا أله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، ورب الناس أجمعين، مالك الملك، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أما بعد:

فهذه رسالةِ موجزة ونصيحة لأزمة في وجوب التحاكم إلى شرع الله، والتجذير من التحاكم إلى غيره، كتبتها لما رأيت وقوعَ بعض الناس في هذا الزمان في تحكيم غير شرع الله، والتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، من العرَّافين والكُهَّانِ وكبار عشائر البادية، ورجال القانون الوضعي وأشباههم، جهلاً من بعضهم لحكم عملهم ذلك، ومعاندةً ومحادةً لله ورسوله من آخرين، وأرجو أن تكون نصيحتي هذه مُعلِّمة للجاهلين، ومُذَكِّرةً للغافلين، وسببًا في استقامة عباد الله على صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

والله المسئول سبحانه أن ينفع بها، ويوفق المسلمين عموما لالتزام شريعته، وتحكيم كتابه واتباع سنة نبيه محمد ﷺ.

(١) نشرة صدرت في كتاب صغير وطبعت عدة طبعات عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. آخرها الطبعة الرابعة عام ١٤٠١هـ.

أيها المسلمون:

لقد خلق الله الجن والإنس لعبادته قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟" قلت: ألله ورسوله أعلم، قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا شريك به شيئًا" قال: قلت يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا"[(١)].

وقد فسَّر العلماء ـ رحمهم الله ـ العبادة بمعانٍ متقاربة مِنْ أجمعها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا يدل على أنَّ العبادة تقتضي: الانقياد التام لله تعالى، أمرًا ونهيًا واعتقادًا وقولاً وعملاً، وأن تكون حياة المرء قائمة على شريعة الله، يُحِلُّ ما أَحلَّ الله ويُحرِّمُ ما حَرَّم الله، ويخضعُ في سلوكه وأعماله وتصرفاته كلها لشرع الله، متجردًا من حظوظ نفسه ونوازع هواه، ليستوي في هذا الفرد والجماعة، والرجل والمرأة، فلا يكون عابدًا لله من خضع لربه في بعض جوانب حياته، وخضع للمخلوقين في جوانب أخرى، وهذا المعنى يؤكده قول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله ﷻ: ﴿ أَفَحُكْمَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. وما روي أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"، فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله، ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شؤونه، في الأنفس والأموال والأعراض، وإلاَّ كان عابدًا لغيره، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت وانقاد له، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

والعبودية لله وحده والبراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم إليه، من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فالله سبحانه هو رب الناس وإلههم، وهو الذي خلقهم وهو الذي يأمرهم وينهاهم، ويحييهم ويميتهم، ويحاسبهم ويجازيهم، وهو المستحق للعبادة دون كل ما سواه قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فكما أنه الخالق وحده، فهو الآمر سبحانه، والواجب طاعة أمره.

وقد حكى الله عن اليهود والنصارى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، لما أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد رُوي عن عَدِي بن حاتم ﷺ أنه ظنّ أن عبادة الأحبار والرهبان إنما تكون في الذبح لهم، والنذر لهم، والسجود والركوع لهم فقط ونحو ذلك، وذلك عندما قَدَم على النبي ﷺ مسلمًا وسمعه يقرأ هذه الآية، فقال: يا رسول الله، إنّا لسنا نعبدهم، يريد بذلك النصارى حيث كان نصرانيا قبل إسلامه، قال ﷺ: "أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرَّم فتحلونه؟". قال: بلى، قال: "فتلك عبادتهم"(١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١]، أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتُّبع، وما حكم به نفذ، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد، والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه)(٢).

إذا عُلِم أنَّ التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فإنَّ التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرَّافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله ﷻ، وهو كفرٌ وظلمٌ وفسوق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ويقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وبيّن تعالى أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأنَّ الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه، وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٢) أ. هـ ـ ص٣٤٩ من الجزء الثاني.

سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠]. وإن القارئ لهذه الآية والمتدبر لها يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله أُكِّدَ بمؤكدات ثمانية:

الأول: الأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.

الثاني: أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال وذلك في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾.

الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير، والصغير والكبير، بقوله سبحانه: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾.

الرابع: أنَّ التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾.

الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرِضين عن حكم الله، فإنّ الشكور من عباد الله قليل، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾.

السادس: وصف الحكم بغير ما انزل الله بأنه حكم الجاهلية، يقول سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾.

السابع: تقرير المعنى العظيم بأنَّ حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها، يقول ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا ﴾.

الثامن: أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأكملها،

وأتمها وأعدلها، وأن الواجب الانقياد له، مع الرضا والتسليم، يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

وهذه المعاني موجودة في آيات كثيرة في القرآن، وتدل عليها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ورُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"، قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وروي أن النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: "أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟" قال: بلى، قال: "فتلك عبادتهم".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لبعض من جادله في بعض المسائل: ((يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبوبكر وعمر)).

ومعنى هذا: أنَّ العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى، وقول رسوله، وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدِّين بالضرورة.

ولهذا كان من مقتضى رحمته وحكمته ﷻ أن يكون الحاكم بين العباد بشرعه ووحيه؛ لأنه سبحانه المنزه عما يصيب البشر من الضعف، والهوى والعجز والجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال عباده وما يُصلحهم، وما يَصلُح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أنْ تولى الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشؤون الحياة ليتحقق لهم العدل والخير

والسعادة، بل والرضا والاطمئنان النفسي، والراحة القلبية، ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم الصادر في قضية يخاصم فيها هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قَبِل ورضي وسلَّم، وحتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد، بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر من أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة، ولذلك لا ينقطع النزاع، ويدوم الخلاف، وإن الله ﷻ إذ يوجب على العباد التحاكم إلى وحيه، رحمة بهم وإحسانا إليهم، فإنه سبحانه بيَّن الطريق العام لذلك أتم بيان وأوضحه بقول سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٨-٥٩].

والآية وإن كان فيها التوجيه العام للحاكم والمحكوم والراعي والرعية، فإنَّ فيها مع ذلك توجيه القضاة إلى الحكم بالعدل، فقد أمرهم بأنْ يحكموا بالعدل، وأمر المؤمنين أن يقبلوا ذلك الحكم الذي هو مقتضى ما شرعه الله سبحانه، وأنزله على رسوله، وأن يردوا الأمر إلى الله ورسوله في حال التنازع والاختلاف.

ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم أنَّ تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد ﷺ، وأنَّ الإعراض عن ذلك، أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تُعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل

مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أنَّ أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله، أو تماثله وتشابهه، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدًا بأن أحكام الله خير وأكمل وأعدل، فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل والعقد فيهم، أن يتقوا الله ﷻ ويحكِّموا شريعته في بلدانهم وسائر شئونهم، وأن يقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن يعتبروا بما حلَّ في البلدان التي أعرضت عن حكم الله، وسارت في ركاب من قلَّد الغربيين، واتبع طريقتهم، من الاختلاف والتفرق وضروب الفتن، وقلة الخيرات، وكون بعضهم يقتل بعضا، ولا يزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسيا وفكريا إلا إذا عادوا إلى الله سبحانه، وسلكوا سبيله المستقيم الذي رضيه لعباده، وأمرهم به ووعدهم به جنات النعيم، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ولا أعظم من الضنك الذي عاقب الله به من عصاه، ولم يستجب لأوامره، فاستبدل أحكام المخلوق الضعيف، بأحكام الله رب العالمين، وما أسفه رأي من لديه كلام الله تعالى، لينطق بالحق ويفصل في الأمور، ويبين طريق ويهدي الضال، ثم ينبذه ليأخذ بدلا منه أقوال رجل من الناس، أو نظام دولة من الدول، ألم يعلم هؤلاء أنهم خسروا الدنيا والآخرة، فلم يُحصِّلوا الفلاح والسعادة في الدنيا، ولم

يسلموا من عقاب الله وعذابه يوم القيامة، لكونهم استحلوا ما حرم الله عليهم، وتركوا ما أوجب عليهم، أسأل الله أن يجعل كلمتي هذه مذكرة للقوم، ومنبهة لهم للتفكر في أحوالهم، والنظر فيما فعلوه بأنفسهم وشعوبهم، فيعودوا إلى رشدهم، ويلزموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليكونوا من أمة محمد ﷺ حقا، وليرفع ذكرهم بين شعوب الأرض، كما ارتفع به ذكر السلف الصالح، والقرون المفضلة من هذه الأمة حتى ملكوا الأرض وسادوا الدنيا، ودانت لهم العباد، كل ذلك بنصر الله الذي ينصر عباده المؤمنين الذين استجابوا له ولرسوله، ألا ليتهم يعلمون، أي كنز أضاعوا وأي جرم ارتكبوا، وما جروه على أممهم من البلاء والمصائب قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] وجاء في الحديث عنه ﷺ ما معناه: أن القرآن يرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان، حين يزهد فيه أهله، ويعرضون عنه تلاوة وتحكيمًا، فالحذر الحذر أن يصاب المسلمون بهذه المصيبة، أو تصاب بها أجيالهم المقبلة بسبب صنيعهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأوجه نصيحتي أيضًا إلى أقوام من المسلمين يعيشون بينهم، وقد علموا الدين، وشرع رب العالمين، ومع ذلك لازالوا يتحاكمون عند النزاع إلى رجال يحكمون بينهم بعادات وأعراف، ويفصلون بينهم بعبارات وسجعات، مشابهين في ذلك صنيع أهل الجاهلية الأولى.

وأرجو ممن بلغته موعظتي هذه أن يتوب إلى الله، وأن يكف عن تلك الأفعال المحرمة، ويستغفر الله ويندم على ما فات، وأن يتواصى مع إخوانه ومن حوله على إبطال كل عادة جاهلية، أو عرف مخالف لشرع الله، فإنَّ التوبة تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وعلى ولاة أمور أولئك الناس وأمثالهم، أن

يحرصوا على تذكيرهم وموعظتهم بالحق، وبيانه لهم، وإيجاد الحكام الصالحين بينهم، ليحصل الخير بإذن الله ويكفوا عباد الله عن محادته، وارتكاب معاصيه، فما أحوج المسلمين اليوم إلى رحمة ربهم، التي يغيِّر الله بها حالهم، ويرفعهم من حياة الذل والهوان إلى حياة العز والشرف.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يفتح قلوب المسلمين لتفهم كلامه، والإقبال عليه سبحانه، والعلم بشرعه والإعراض عما يخالفه والالتزام بحكمه، عملاً بقوله ﷻ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين))[١].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٧٢/ ٨١].

بيان أن الحكم بالشريعة له ارتباط بالشهادتين وبيان حكم التحاكم للطاغوت

١- بيان أن التحاكم إلى الشريعة له ارتباط بمفهوم الشهادتين:

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ((العبودية لله وحده، البراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم إليه من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمدًا عبده ورسوله، فالله سبحانه هو رب الناس، وإلههم وهو الذي خلقهم، وهو الذي يأمرهم، وينهاهم ويحييهم ويميتهم ويحاسبهم ويجازيهم وهو المستحق للعبادة دون كل ما سواه قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]))[1].

٢- بيان حكم التحاكم إلى الطواغيت

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في بيان حكم التحاكم إلى الطواغيت.

((وإذا عُلِم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل، وهو كفر وظلم وفسق لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]))[2].

٣- بيان أن تحكيم غير الشريعة تحكيم للطاغوت

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله معلقًا على قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال رحمه الله: ((أوجب سبحانه في هذه الآيات الكريمات الحكم بما أنزل الله

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٧٤].

(٢) السابق [١/ ٧٥].

والحذر من مخالفته، كما حذر سبحانه من متابعة أهواء الناس في خلاف الحق، وأخبر أن حكمه هو أحسن الأحكام، وأنه لا حكم أحسن منه وبين أن ما خالف حكمه فهو من حكم الطاغوت، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠].

ففي هذا أعظم بيان لمن يؤمن بالله واليوم والأخر أن كل ما خالف ما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ من الأحكام فهو من حكم الطاغوت، ومن عمل المنافقين، وأنه في غاية البعد عن الهدى، وحَكَمَ سبحانه في آيات على أن لم يحكم بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ فهو كافر ظالم فاسق))(1).

٤- حكم من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بعد أن نقل الآيات الدالة على وجوب الحكم بالشريعة:

((وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله أو أن هدي غير رسول الله أحسن من هدي الرسول ﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحدٍ من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال))(2).

٥- حكم الاحتكام إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم

سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ما رأيكم في المسلمين الذين يحتكمون إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم والسنة المطهرة بين

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ١١٥-١١٦].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٢٦٩].

أيديهم!؟

فأجاب قائلاً: ((رأي في هذا الصنف الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين في الوقت الذي يتحاكمون فيه إلى غير ما أنزل الله، ويرون شريعة الله غير كافية، ولا صالحة للحكم في هذا العصر هو ما قاله الله سبحانه في شأنهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

إذا قالوا يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله ويرون ذلك جائزًا لهم أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام ويكونون بذلك كفارًا ظالمين فاسقين. كما جاء في الآيات السابقة وغيرها))(١).

٦- بيان حكم التحاكم إلى القوانين الوضعية التي من وضع البشر

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في بيان ذلك: ((أما القوانين التي وضعها الناس من غير استنادٍ إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ لا يجوز لأهل الإسلام التحاكم إليها، وليس بعضها أولى بالتحاكم إليه من بعض لأنَّها كلها من حكم الجاهلية، ومن حكم الطاغوت الذي حذر الله منه، ونسَب إلى المنافقين

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٢٧١].

الرغبة في التحاكم إليه كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾. فلا يجوز لأهل الإسلام التشبه بالمنافقين بالتحاكم إلى غير شريعة الله، والصدود عن حكم الله ورسوله، وكل حكم يخالف شرع الله فهو من حكم الجاهلية.

قال سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وأخبر سبحانه أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق فقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾))(١).

٧- بيان حكم الدولة التي ترفض أن تنصاع لحكم الشريعة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بعد أن ذكر الآيات الثلاث التي في سورة المائدة: ((وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكمه فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة بنص هذه الآيات المحكمات، يجب على أهل الإسلام بغضها، ومعاداتها في الله، وتحرم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم بشريعته وترضى بذلك لها وعليها))(٢).

٨- حكم من يدعو إلى فصل الدين عن الدولة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ((ومَنْ زَعَم فصل الدين عن

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٢٧٤-٢٧٥].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ٣٠٥]، وراجع في ذلك السابق [٢/ ٢٥٥].

الدولة، وأن الدين محله المساجد والبيوت، وأنْ للدولة أن تفعل ما تشاء، وتحْكم بما تشاء فقد أعظم على الله الفرية، بل هذا كفر وضلال بعيد عياذا بالله من ذلك))(١).

٩- في لقاء سماحة الشيخ مع صحيفة الراية السودانية دعوة لحكام المسلمين لتطبيق الشريعة ونبذ القوانين الوضعية:

قال سماحة الشيخ ﷺ: ((الواجب على جميع حكام المسلمين تطبيق شريعة الله بين عباده والثبات على ذلك والدعوة إليه، والالتزام به لقوله تعالى: (﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، والواجب على أمته تنفيذ ذلك. قال سبحانه: (﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

فلا يجوز لحكام المسلمين، أن يخالفوا هذه الآيات الكريمات، بل عليهم أن يلتزموا بما دَلَّتْ عليه ويُلزموا شعوبهم به، ولهم في ذلك العزة والكرامة، والنصر والتأييد وحسن العاقبة، والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة كما قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾) [محمد: ٧](٢).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ٢٤٧]، وراجع في ذلك [٢/ ١٤٢]، [٢/ ٣٢٥].

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٤/ ١٧٢].

١٠- بيان أن تحكيم القوانين الوضعية من حكم الجاهلية التي جاءت الشريعة بإبطاله:

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بعد أن ذكر آيات سورة المائدة في الحكم بغير ما أنزل الله: ((وهذه الآيات تتضمن غاية التحذير والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله، وترشد الأمّة حكومة وشعبًا إلى أنَّ الواجب على الجميع الحكم بغير ما أنزل الله والخضوع له، والرضا به، والحذر مما يخالفه، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق، وأنَّه حكم الجاهلية الذي جاء شرع الله بإبطاله والنهي عنه))(١).

١١- وأرسل الشيوخ الفضلاء محمد بن إبراهيم وعبدالعزيز الشتري وعبد اللطيف بن إبراهيم وعمر وعبد العزيز بن باز وعبدالله بن حميد، وعبد الله بن عقيل وعبد العزيز بن رشيد، وعبد اللطيف بن محمد، ومحمد بن عودة، محمد بن مصيرع رسالة إلى عموم المسلمين ننقل منها ما يناسب المقام.

قالوا رحمهم الله تعالى في حكم التحاكم للقوانين الوضعية:

((وإنّ من أقبح السيئات وأعظم المنكرات التحاكم إلى غير شريعة الله من القوانين الوضعيَّة، والنظم البشرية وعادات الإسلاف والأجداد التي قد وقع فيها الكثير من الناس اليوم، وارتضوها بدلاً من شريعة الله التي بعث بها رسوله محمدًا ﷺ.

ولا ريب أنَّ ذلك من أعظم النفاق، ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق والجاهلية التي أبطلها القرآن وحذر منها الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٢/ ٢٥٥].

يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

وهذا تحذير شديد من الله سبحانه لجميع العباد عن الإعراض عن كتابه وسنة رسوله ﷺ والتحاكم إلى غيرهما، وحكم صريح عن الرب ﷻ على من حكم بغير شريعته بأنه كافر وظالم وفاسق ومتخلق بأخلاق المنافقين))(١).

١٢- بيان ارتباط الحكم بالشريعة بالشهادتين وبيان أقسام الحاكمين بغير ما أنزل الله:

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (ومن أعظم شعب الإيمان، ومن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، تحكيم شرع الله بين عباده في جميع شؤونهم كما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا

(١) راجع الرسالة كاملة: ١- فتاوى الشيخ محمد إبراهيم [١٢/ ٢٥٦-٢٦٠] ط/ الحكومة السعودية.
٢- فتاوى الأئمة النجدية [١/ ٣٨٨-٣٩٤] ط/ ابن خزيمة.

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فأوضح سبحانه أن الواجب على الرسول ﷺ، وعلى جميع الأمة في كل زمان ومكان أن يحكموا شرع الله في جميع ما شجر بينهم، وفي جميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وحذَّر سبحانه من اتباع الهوى وطاعة أعداء الله في عدم تحكيم شريعته، وأخبر سبحانه أن حكمه هو أحسن الأحكام، وأنّ جميع الأحكام المخالفة لحكمه كلها من أحكام الجاهلية، وأخبر سبحانه أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق، وبين سبحانه أنه لا إيمان لمن لم يُحكِّمْ رسوله ﷺ في جميع الأمور، ويشرح صدره لذلك، ويسَلِّم تسليما.

فكل مَنْ زعم أن تحكيم القوانين الوضعية أنسب للناس من تحكيم شرع الله، ومن زعم أن تحكيم القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله أمر جائز، أو أنه لا فرق بين تحكيم شرع الله وتحكيم القوانين التي وضعها البشر المخالفة لشرع الله، فهو مرتد عن الإسلام كافرٌ بعد الإيمان.

أما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم ذلك لرشوة دفعت له من المحكوم له أو لعدواه بينه وبين المحكوم عليه، فإنه أتى منكرًا عظيمًا وكبيرة من الكبائر، كما أنه قد أتى نوعًا من أنواع الكفر والظلم والفسق، لكنه لا يخرجه عمله ذلك عن الإيمان))[1].

١٣- رد سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله على صحيفة عكاظ في دعوتها لإحياء التحاكم إلى الأعراف والقوانين القبلية.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ((الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم وسار على نهجم إلى يوم الدين وبعد:

فقد اطَّلعت على مقال منشور في جريدة عكاظ العدد (٩٨٤٢) الصادر في يوم الأربعاء الموافق ٢٤محرم ١٤١٤ حول (قوانين القبائل والدعوة إلى إحيائها) فرأيت أن من الواجب الرد على هذا المقال وبيان ما فيه من الخطر العظيم، والفساد الكبير، وذلك لأنَّ في إحياء العادات القبلية، والأعراف الجاهلية ما يدعو إلى ترك التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وفي ذلك مخالفة لشرع الله المطهر ولوجوب النصيحة لله ولعباده أقول وبالله التوفيق:

---

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٦/ ٢٠٣-٢٠٤].

يجب على جميع المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل شيء لا إلى العادات والأعراف القبلية ولا إلى القوانين الوضعية قال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

فيجب على كل مسلم أن يخضع لحكم الله ورسوله، وأن لا يقدِّم حكم غير الله ورسوله ـ كائنا من كان ـ على حكم الله ورسوله، فكما أن العبادة لله وحده فكذلك الحكم له كما قال ﷻ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٤٠].

فالتحاكم إلى غير كتاب الله سبحانه وإلى غير رسوله ﷺ من أعظم المنكرات وأقبح السيئات، بل قد يكفر المتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله إذا اعتقد كل ذلك، أو اعتقد أن حكم غيرهما أحسن قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فلا إيمان لمن لم يُحكِّم الله ورسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق، فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد تحاكم إلى الطاغوت.

وبهذا يُعلم أنه لا يجوز إحياء قوانين القبائل وأعرافهم وأنظمتهم التي يتحاكمون إليها بدلاً من الشرع المطهر الذي شرعه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، بل يجب دفنها وإماتتها والإعراض عنها، والاكتفاء بالتحاكم إلى شرع الله ﷻ، ففيه صلاح المجتمع وسلامة دينهم ودنياهم))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٩/ ٢٧٢-٢٧٤].

الفصل الثامن

جهود سماحة الشيخ في الرد على انحرافات في قضايا عقدية متنوعة

واشتمل على:

١- رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في نشرها مقالاً بعنوان قسوة القدر.

٢- رد سماحة الشيخ على صحيفة محلية في مسألة القدر.

٣- رد سماحة الشيخ على مجلة اقرأ لنشرها كلمة بعنوان الطبيعة تخطئ والإنسان يصحح.

٤- تعليق سماحة الشيخ حول وجود الله ﷻ.

٥- رد سماحة الشيخ على صحيفة عكاظ حول وجود الله سبحانه.

٦-تنبيهات حول ما كتبه الشيخ الصابوني حول صفات الله رد على مقابلة أجرتها مجلة المجتمع.

٧- تعقيب سماحة الشيخ على مقال نشر بجريد الشرق الأوسط حول مذهب السلف في الصفات.

٨- الرد على بعض الصحف في دعوتها للتعلق بالأبراج والنجوم والطالع.

٩- بيان من سماحة الشيخ بعنوان نشرات مكذوبة يروج لها بعض الناس.

١٠- رد سماحة الشيخ على صحيفة عكاظ بعنوان خرافة يجب تكذيبها.

١١- تحريم الحلف بغير الله تعالى رد على مقال نشر بصحيفة الرياض.

١٢- رد سماحة الشيخ على صحيفة الندوة بعنوان (الإسلام قول وعمل وعقيدة).

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الثامن

عنوان

جهود سماحة الشيخ في الرد على انحرافات في قضايا عقدية متنوعة

النهي عن سب القدر

رد على صحيفة الرياض في نشرها مقالاً بعنوان قسوة القدر

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اطَّلعتُ على ما نُشِر في جريدة الرياض العدد ٤٨٨٧ الصادر في ١٧/ ٩/ ١٤٠١هـ تحت زاوية قصة اجتماعية بعنوان "قسوة القدر" بقلم قماشة الإبراهيم، وقد ورد في القصة المذكورة قول الكاتبة: (إننا في هذه الحياة ليس لنا حقوق، إننا أعمار يلهو بها القدر، حتى يملها، فيلقى بها إلى العالم الآخر، والقدر يلهو أحيانًا بدموعنا وضحكاتنا).

وهذا الكلام منافٍ لكمال التوحيد، وكمال الإيمان بالقدر، فإنَّ القدر لا يلهو، والزمن لا يعبث، وإنَّ كلَ ما يجري في هذه الحياة هو بتقدير الله وعلمه، والله سبحانه هو الذي يُصرِّف الليل والنَّهار، وهو الذي يقَدّر السعادة والشقاء، حسب ما تقتضيه حكمته وقد تخفى تلك الحكمة على الناس؛ لأن علمهم محدود، وعقولهم قاصرة عن إدراك تلك الحكمة الإلهية، وكل ما في الوجود مخلوق لله، خَلقَه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولى الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وقد أحسن كل شيء خلقه، وكل أفعال

الخالق وأوامره ونواهيه، لها حكمة بالغة وغايات محمودة، يُشكر عليها سبحانه، وإن لم يعرفها البشر لقصور إدراكهم.

وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلِّبُ الليل والنَّهار"، وفي رواية:"لا تسبوا الدهر فإنِّي أنا الدهر"، وفي رواية: "لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما"، وقد كان العرب في الجاهلية ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبُّوا فاعلها فكان مرجع سبها على الله ﷻ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر وقد نُقِل هذا التفسير للحديث بهذا المعنى عن الشافعي، وأبي عبيد، وابن جرير، والبغوي وغيرهم.

وأما معنى قوله: "أقلِّبُ الليل والنَّهار" يعني أن ما يجري فيهما من خير وشر بإرادة الله وتدبيره وبعلمٍ منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيرُه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقد أورد الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بابًا في كتاب التوحيد سماه: (باب من سبَّ الدهر فقد آذى الله) أورد فيه هذا الحديث وبين أنَّه يشتمل على عدة مسائل:

١. النهي عن سب الدهر.

٢. تسميته أذى لله.

٣. التأمل في قوله: "فإنَّ الله هو الدهر".

٤. أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه.

وعلى هذا فإنَّ الكاتبة ـ سامحها الله ـ أخطأت عندما نسبت القسوة إلى الدهر في عنوان قصتها؛ لأنَّ القدر ـ كما سبق ـ لا يتصرف، وإنما الله سبحانه هو المقدِّرُ للأشياء عن حكمةٍ بالغة، والله جلَّ وعلا لا يوصف بالقسوة، بل هو جلَّ وعلا رحيم بعباده، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها، كما ورد في الحديث الصحيح: "الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها" فيجب أن ننزه أقلامنا عن الوقوع في مثل هذه المزالق، امتثالا لأمر الله وأمر رسوله، وإكمالاً للتوحيد، وابتعادًا عما ينافيه أو ينافي كماله، ووسائل الإعلام ـ كما هو معروف ـ واسعة الانتشار وعظيمة التأثير على الناس، وكثرة ترديدها لمثل هذه الكلمات ينشرها بين الناس، ويجعلهم يتساهلون في استعمالها، وخاصةً النشء مع ما في استعمالها من المحذور.

نسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، ويجنبنا زلات القلم واللسان، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [١/ ١٤٦-١٤٨].

رد سماحة الشيخ على صحيفة محلية
في مسألة سب القدر[1]

القارئ خ. ع أرسل إلينا السؤال التالي:

س: لقد ورد في صحيفة محلية خبر جاء فيه: (منصور.. البالغ من العمر ١٣ ربيعا مزدهرا برحيق الصبا.. كان على موعد مع الحزن والأسى ولعبة القدر العمياء) ثم.. (ولكن القدر المترصد لمنصور لم يحكم لعبته الأزلية.. الخ).. وفي نفس الصحيفة ورد خبر عن فتاة سحقتها سيارة وعندما علمت أمها (فحضرت على التو لتشهد الحادث الأليم الذي أطاح بأسرتها وأحال حياتها إلى جحيم لا ينتهي).

فما حكم الشرع في مثل هذا الكلام؟ جزاكم الله خيرا.

ج: المشروع للمسلم عند وقوع المصائب المؤلمة الصبر والاحتساب، وأن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون قدَّر الله وما شاء فعل، وأن يتجمل بالصبر ويحذر الجزع والأقوال المنكرة؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقول النبي ﷺ: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[2]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي

---

(١) الدعوة العدد ١٠٨٣ يوم الاثنين ١٦/ ٧/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها" ولا يجوز الجزع وإظهار السخط أو الكلام المنكر مثلما ذكر في السؤال (لعبة القدر العمياء) وهكذا قوله: (ولكن القدر المترصد لمنصور لم يحكم لعبته الأزلية).

هذا الكلام وأشباهه من المنكرات العظيمة، بل من الكفر البواح؛ لكونه اعتراضا على الله سبحانه، وسبا لما سبق به علمه واستهزاء بذلك، فعلى من قال ذلك أن يتوب إلى الله سبحانه توبة صادقة وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية"[(١)]، وقال ﷺ: "أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة"[(٢)]، والصَّالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة. والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة، وبالله التوفيق))[(٣)].

---

(١) متفق على صحته من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) متفق على صحته من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٥/ ٤١٤].

رد سماحة الشيخ على مجلة اقرأ لنشرها كلمة بعنوان: الطبيعة تخطئ والإنسان يصحح

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد اطَّلعتُ على كلمة نشرتها مجلة (اقرأ) في عددها (٦٠٤) الصادر في ٢٢/ ٥/ ١٤٠٧هـ، جاء فيها ما نصه (الطبيعة تخطئ والإنسان يصحح) وهذا الإطلاق منكر عظيم وكفر صريح، ومعلوم أنّ الفلاسفة لا يؤمنون بإله خالق مدبر له الكمال المطلق يفعل لحكمة ويترك لحكمة وهو منزه عن الخطأ في أفعاله وأقواله ﷻ. ومن أجل عدم إيمانهم بالخالق العظيم الكامل في أسمائه وصفاته ﵎ ينسبون الحوادث إلى الطبيعة، وهذا من جهلهم وبعدهم عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالواجب عدم الاغترار بأقوالهم فيما يتعلق بالإلهيات والشرائع لجهلهم بها وعدم إيمانهم، ولا شك أن ما يقع في العالم من أمراض وحوادث وتشويه خلقة أو غير ذلك كلها تقع بمشيئة الله سبحانه وله فيها الحكمة البالغة والحجة الدامغة وإن جهلها الخلق، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وما ذاك إلا لكمال حكمته وعلمه تبارك اسمه وتقدس عن قول الظالمين والكافرين والجاهلين وتعالى علوًا كبيرًا، ولواجب النصح لله لعباده جرى التنبيه، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٣/ ٧٠].

تعليق على ما أذيع في البرنامج الإذاعي حول وجود الله سبحانه

قال سماحة الشيخ رحمه الله:

((من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم

سعادة وكيل وزارة الإعلام المساعد لشؤون الإذاعة.

وفقه الله لما فيه رضاه آمين.

سلام عليكم ورحمه الله وبركته. أما بعد:

فأشفع لكم مذكرة من الأخ في الله ع ـ م. ذكر فيها أنه سَمِعَ في يوم الاثنين ٢٨/ ٦/ ١٤١١هـ الساعة ٧.٢٠ إلى ٧.٢٥ شخصًا يسأل أباه عن الله سبحانه: فأجابه أبوه بأن الله سبحانه موجود في كل زمان ومكان، ولا شك أنَّ هذا الجواب باطل، وهو من كلام أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهما.

والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الله سبحانه فوق العرش، فوق جميع خلقه، كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع سلف الأمة، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكرر ذلك سبحانه في ست آيات أخرى من كتابه العظيم، **ومعنى الاستواء عند أهل السنة:** هو العلو والارتفاع فوق العرش على الوجه الذي يليق بجلال الله سبحانه، لا يعلم كيفيته سواه، كما قال مالك رحمه الله لما سئل عن ذلك: ((الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)).

ومراده رحمه الله السؤال عن كيفيته، وهذا المعنى جاء عن شيخه ربيعة بن أبي عبدالرحمن، وهو مروي عن أم سلمة رضي الله عنها، هو قول جميع أهل السنة من الصحابة

ﷺ ومن بعدهم من أئمة الإسلام، وقد أخبر الله سبحانه في آيات أخرى أنه العلي، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم، صرح فيها سبحانه في العلو، وذلك موافق لما دلت عليه آيات الاستواء.

وبذلك يُعْلَم أنَّ قول أهل البدع: إنَّ الله سبحانه موجودٌ في كل مكان ـ من أبطل الباطل ـ، وهو مذهب الحلولية المبتدعة الضالة، بل هو كفر وضلال وتكذيب لله سبحانه، وتكذيب لرسوله ﷺ فيما صح عنه من كون ربه في السماء، مثل قوله ﷺ: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"، وكما جاء في أحاديث الإسراء والمعراج.

فأرجو إذاعة هذه الرسالة في البرنامج الإذاعي في الوقت المذكور وفي أوقات أخرى، حتى يعلم ذلك من سمع المقال المشار إليه.

شكر الله سعيكم وبارك في جهودكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[١].

---

(١) مجموع مقالات الشيخ [٦/ ٤٣٤-٤٣٥].

تعليق من سماحة الشيخ على ما أُذِيع في أحدى الإذاعات بعنوان: ربنا في السماء[1]

س: ذُكِرتْ قصة في أحـدى الإذاعـات، تقـول: إنَّ ولـدًا سـأل أبـاه عـن الله فأجاب الأب بأن الله موجود في كل مكان. السؤال: ما الحكـم الـشرعي في مثـل هذا الجواب؟ عبدالله. م ـ الرياض.

ج: هذا الجواب باطل، وهو من كلام أهل البدع من الجهمية والمعتزلـة ومـن سار في ركابهما.

والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أنَّ الله سبحانه في السماء فوق العرش فوق جميع خلقه، كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع سلف الأمة، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكرر ذلك سبحانه في ست آيات أخرى من كتابه العظيم.

ومعنى **الاستواء عند أهل السنة**: هـو العلـم والارتفـاع فـوق العـرش عـلى الوجه الذي يليق بجلال الله سبحانه، لا يعلم كيفيته سواه كما قال مالك رحمه الله لمـا سُئل عن ذلك ((الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان بـه واجـب والـسؤال عنه بدعة، ومراده رحمه الله السؤال عن كيفيته، هذا المعنى جاء عن شيخه ربيعـة بـن أبي عبدالرحمن، وهـو مـروي عـن أم سـلمة رضي الله عنها، وهـو قـول جميـع أهـل الـسنة والصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمـة الإسـلام، وقـد أخـبر الله سـبحانه في آيـات أخرى أنه في السماء وأنه في العلو، كـما قـال سـبحانه: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾

(١) نشرت في مجلة (الدعوة)، في العدد (١٢٨٨)، في ١١/ ١٠/ ١٤١١هـ.

[غافر: ١٢]، وقال ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷻ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

ففي هذه الآيات، وفي آيات كثيرة من كتاب الله الكريم صرح سبحانه أنه في السماء وأنه في العلو وذلك موافق لما دلت عليه آيات الاستواء، وبذلك يعلم أن قول أهل البدع: بأن الله سبحانه موجود في كل مكان من أبطل الباطل، وهو مذهب الحلولية المبتدعة الضالة، بل هو كفر وضلال وتكذيب لله سبحانه وتكذيب لرسوله ﷺ فيما صح عنه من كون ربه في السماء، مثل قوله ﷺ: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"، وكما جاء في أحاديث الإسراء والمعراج وغيرهم))[(١)].

والله ولي التوفيق.

(١) نشرت في مجلة (الدعوة)، في العدد (١١٦٨)، في ١٩/ ٤/ ١٤٠٩هـ.

رد سماحة الشيخ على جريدة عكاظ حول وجود الله
بعنوان: هذا الجواب منكر وغلط عظيم

((من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم

رئيس تحرير جريدة عكاظ وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد اطَّلعت على ما ورد في العدد (٩٤٣) من الجريدة، الصادر في يوم الاثنين ٢٣/ ١١/ ١٤١٢هـ في الصفحة (٢٢) الأخيرة عن الأطفال الذي أصابهم الاختناق في مكة بسبب الحريق، وقول والدهم لما سأله الأطفال: أين الله؟ أجاب: بأنه موجود في كل مكان.

وأفيدكم: أنَّ هذا الجواب منكر، وغلط عظيم، بل كفر أكبر؛ لأن الله سبحانه فوق العرش، فوق جميع خلقه، وعلمه في كل مكان، كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع سلف الأمة.

فالواجب على والد الأطفال أن يتوب إلى الله من ذلك، وأن يعلم يقينًا أن الله سبحانه فوق العرش، فوق جميع خلقه، كما قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه في سورة طه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وقال ﷻ: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]. الآيات في المعنى كثيرة، كلها تدل على علوه سبحانه واستوائه على العرش.

أما قوله سبحانه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله سبحانه لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦]، وما جاء في معنى

هاتين الآيتين، فمعنى المعية هنا: الكلاءة والحفظ والنصر والتأييد مع العلم بكل شيء.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، ومعنى المعية هنا: العلم والإحاطة والاطلاع على شؤونهم، وهو سبحانه فوق العرش لا تخفى عليه خافية.

وقد ذكر أبو عمر بن عبدالبر وأبو عمر الطلمنكي وآخرون من أهل العلم إجماع العلماء على هذا المعنى، والمراد: العلماء من أهل السنة والجماعة، ولا شك أن ذلك هو معنى الآيات المذكورة وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث، فالواجب التمسك بذلك، والإيمان به، والحذر مما يخالفه من أقوال أهل البدع والضلال.

فأرجو نشر هذا الإيضاح للمسألة في الصحيفة؛ تصحيحًا لما نشر، وبيانًا للحق. وفق الله الجميع لما يرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد))[1]

---

(١) مجموع فتاوى مقالات متنوعة [٧/ ٤١٤-٤١٦].

تنبيهات هامة

على ما كتبه الشيخ/ محمد علي الصابوني في صفات الله ﷻ

رد على مقابلة له مع[1] مجلة المجتمع

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد اطلعت على المقابلة التي أجرتها مجلة (المجتمع) مع فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني ونشرت في العدد رقم ٦١٣ وتاريخ ٧/ ٦/ ١٤٠٣هـ وعلى مقالاته الست المنشورة في أعداد المجتمع: رقم ٦٢٧ وتاريخ ١٧/ ٩/ ١٤٠٣هـ، ورقم ٦٢٨ وتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٤٠٣هـ، ورقم ٦٢٩ وتاريخ ٩/ ١٠/ ١٤٠٣هـ، ورقم ٦٣٠ وتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٤٠٤هـ، ورقم ٦٣١ وتاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٤٠٣هـ، ورقم ٦٤٦ وتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤٠٤هـ، وقد اشتملت على أخطاء نبه على بعضها صاحب الفضيلة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في مقاله المنشور بمجلة الدعوة في عدد ١٥ رقم ٩٠٤ وتاريخ٢٩/ ١٠/ ١٤٠٣هـ، وفي مجلة المجتمع بعددها رقم ٦٤٦ وتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤٠٤هـ، و٦٥٠ في ٢٤/ ٢/ ١٤٠٤هـ، وقد أجاد وأفاد وأحسن جزاه الله خيرًا ونصر به الحق، وقد رأيت التنبيه على ما وقع فيها من أخطاء تأكيدًا لما ذكره الدكتور صالح ومشاركة في الخير ونشر الحق

(١) نشر هذا الموضوع في كتاب نشرته الدار السلفية بالكويت عام ١٤٠٤هـ، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٤٠٥هـ مع رد مماثل لفضيلة الشيخ د. صالح بن فوزان ـ حفظه الله ـ.

واستدراكًا لأخطاء لم يتعرض لها فضيلة الدكتور صالح في مقابلته المشار إليهما، والله الموفق . فأقول:

تقليد الأئمة الأربعة:

١ - قوله عن تقليد الأئمة الأربعة (إنّه من أوجب الواجبات) لا شك أنَّ هذا الإطلاق خطأ، إذْ لا يجب تقليد أحدُ من الأئمة الأربعة ولا غيرهم مهما كان علمه؛ لأنَّ الحق في اتباع الكتاب والسنة لا في تقليد أحد من الناس، وإنما قصارى الأمر أن يكون التقليد سائغًا عند الضرورة لمن عُرِف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة كما فصَّل ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (إعلام الموقعين) ولذلك كان الأئمة رحمهم الله لا يرضون أن يُؤْخذَ من كلامهم إلا ما كان موافقًا للكتاب والسنة، قال الإمام مالك رحمه الله: (كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر) يشير إلى قبر رسول الله ﷺ، وهكذا قال إخوانه من الأئمة في هذا المعنى.

فالذي يتمكن من الأخذ بالكتاب والسنة يتعين عليه ألا يقلد أحدًا من الناس ويأخذ عنه الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحق، والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسأل أهل العلم، كما قال الله ﷻ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

٢ - قال: (إذا كان ابن تيمية رحمه الله مع درجة علمه لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد وإنما مذهبه حنبلي يتقيد به في كثير من الأحيان)، الجواب:

هذا القول فيه نظر بل هو خطأ ظاهر، فإنَّ شيخ الإسلام رحمه الله من أعلم المجتهدين وقد توافرت فيه شروط الاجتهاد، وانتسابه إلى المذهب الحنبلي لا يخرجه عن ذلك؛ لأن المقصود من ذلك موافقته لأحمد في أصول مذهبه وقواعده وليس المقصود من ذلك أنه يقلده فيما قاله بغير حجة وإنما كان يختار من الأقوال أقربها إلى الدليل حسبما يظهر له رحمه الله.

مذهب الأشاعرة هل هو حق أم ضلال؟

٣- ذكر أنَّ الخلافات في العقيدة ضيقة وقال: (الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا إلى فتاوى ابن تيمية واقرأوا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري حتى نفهم أن هؤلاء جهلة) أ.هـ.

والجواب أن يقال: لا شك أنه ضل بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة كالمعتزلة والجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم، وأيضًا الأشاعرة ضلوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة وما عليه خيار هذه الأمة من أئمة الهدى من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان والأئمة المهتدين فيما تأولوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله، وأبو الحسن الأشعري رحمه الله ليس من الأشاعرة، وإن انتسبوا إليه؛ لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السنة، فمدحُ الأئمة له ليس مدحًا لمذهب الأشاعرة.

ولا يصح أن يُرمَى من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السنة بالجهل؛ لأن حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم، أما من أخذ بالكتاب والسنة وقواعد الشرع المعتبرة وسار على طريق سلف الأمة وأنكر على من تأول أسماء الله وصفاته أو شيئًا منها على غير تأويلها فإنه لا يُرمي بالجهل.

قوامة الرجال:

٤ - قال: (إنما القوامة للرجل قوامه تكليف وليست قوامة تشريف).

والجواب أن يقال: هذا خطأ، والصواب أن يقال: إن قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وتشريف لقول الله جل وعلا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ [النساء: ٣٤]. فأوضح سبحانه أنه جعل الرجال قوامين على النساء لأمرين:

أحدهما: فضلُ جنس الرجال على جنس النساء.

والأمر الثاني: قيام الرجال بالإنفاق على النساء بما يدفعونه من المهور وغيرها من النفقات.

التفويض الصحيح للكيفية لا للمعاني

٥ - قال في مقاله الأول بعد المقدمة ما نصه: (ولا يجوز أنْ تجعلهم ـ يعني بذلك الأشاعرة والماتريدية ـ مثل الروافض والمعتزلة والخوارج الذين انحرفوا عن أهل السنة والجماعة، غاية ما في الأمر أن نقول: إنهم مخطئون في التأويل، ذلك لأن الأسلم أن نفوض الأمر في موضوع الصفات إلى علام الغيوب الذي لا يخفى عليه خافية). أ.هـ.

والجواب أن يقال: الفرق المخالفة لأهل السنة متفاوتون في أخطائهم، فليس الأشاعرة في خطئهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية بلا شك، ولكن ذلك لا يمنع من بيان خطأ الأشاعرة فيما أخطأوا فيه، ومخالفتهم لأهل السنة في ذلك كما قد بين خطأ غيرهم لإظهار الحق وبيان بطلان ما يخالفه تبليغًا عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ وحذرا من الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

ثم يقال: ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب؛ لأنه سبحانه بيّنها لعبادة وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ، ولم يبين كيفيتها، فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح.

وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض، وبدّعوهم لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه، والله ﷻ يتقدس عن ذلك، وأهل السنة والجماعة يعرفون مراده سبحانه بكلامه ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته وينزهونه عن كل ما لا يليق به ﷻ، وقد علموا من كلامه سبحانه ومن كلام رسوله ﷺ أنه سبحانه موصوف بالكمال المطلق في جميع ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله ﷺ، وأنا أذكر بعض النقول المهمة عن السلف الصالح في هذا الباب ليتضح للقارئ صحة ما ذكرنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة (الفتوى الحموية) ما نصه[1]: (روى أبوبكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: (كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول إنَّ الله ـ تعالى ذكره ـ فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين ـ الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق ـ حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المُنْكِر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا.

---

(١) الفتوى الحموية ص٢٦-٢٨.

ـ وروي أبوبكر الخلال في كتاب (السنة) عن الأوزاعي قال سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: (أمروها كما جاءت)، وروى أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: (أمروها كما جاءت). وفي رواية: قالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، وقولهم ﷺ: (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) رد على الممثِّلة.

والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة وأمثالهما.

ـ وروي أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبدالله قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكِرَ عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبدالعزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاَّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

ـ وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق، وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبدالرحمن من غير وجه.

ومنها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبوبكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء[١] ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يخرج.

فقول ربيعة ومالك: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب) موافق لقول الباقين: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول) ولما قالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف) فإنَّ الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا بل يكون مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضًا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أُثْبِتَتْ الصفات.

وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج إلى أن يقول: (بلا كيف) فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف.

وأيضًا فقولهم: (أمروها كما جاءت) يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ: (بلاكيف) إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

---

(١) يعني العرق.

٦- نقل في المقال المذكور عن الشيخ حسن البنا رحمه الله ما نصه:

(نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه).

والجواب أن يقال: نعم يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة إليه والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله، أما عُذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه بل هو محل تفصيل، فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها، فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف نص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله جل جلاله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" وقوله صلى الله عليه وسلم: "من دل على خير فله أجر فاعله"(١)، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة.

الفُرقة مذمومة والحكم عند التنازع للكتاب والسنة:

٧- ثم نعى الكاتب الشيخ محمد علي الصابوني في مقالة الثاني على المسلمين تفرقهم إلى سلفي وأشعري وصوفي وماتريدي.. إلخ، ولا شك أنَّ هذا التفرق يؤلم كل مسلم، ويجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق، ويتعاونوا على البر والتقوى، ولكن الله سبحانه قدر ذلك على الأمة لحكم عظيمة وغايات محمودة يحمد عليها سبحانه، ولا يعلم تفاصيلها سواه، ومن ذلك التمييز بين أوليائه

---

(١) أخرجهما مسلم في صحيحه.

وأعدائه، والتمييز بين المجتهدين في طلب الحق والمعرضين عنه المتبعين لأهوائهم، إلى حكم أخرى، وفي ذلك تصديق لنبيه ﷺ ودليل على أنه رسول الله حقا لكونه ﷺ قد أخبر عن هذا التفرق قبل وقوعه فوقع كما أخبر حيث قال ﷺ: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة". قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "هي الجماعة"، وفي رواية أخرى قال: "ما أنا عليه وأصحابي" وهذا يوجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق وأن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول لقول الله ﷻ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، وهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على أن الواجب على المسلمين رد ما تنازعوا فيه في العقيدة وغيرها إلى الله سبحانه وإلى رسوله ﷺ وبذلك يتضح الحق لهم وتجتمع كلمتهم عليه ويتحد صفهم ضد أعدائهم، أما بقاء كل طائفة على ما لديها من باطل وعدم التسليم للطائفة الأخرى فيما هي عليه من الحق فهذا هو المحذور والمنهي عنه وهو سبب تسليط الأعداء على المسلمين، واللوم كل اللوم على من تمسك بالباطل وأبى أن ينصاع إلى الحق، أما من تمسك بالحق ودعى إليه وأوضح بطلان ما خالفه فهذا لا لوم عليه بل هو مشكور وله أجران أجر اجتهاده وأجر إصابته للحق.

حقيقة مذهب أهل السنة:

٨- ذكر الصابوني في مقاله الثاني أن أهل السنة اشتهروا بمذهبين اثنين أحدهما: مذهب السلف، والآخر: مذهب الخلف... إلخ.

والجواب أن يقال: هذا غلط بين لم يسبقه إليه أحد فيما أعلم، فإنَّ مذهب أهل السنة واحد فقط وهو ما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان وهو إثبات أسماء الله وصفاته وإمرارها كما جاءت، والإيمان بأنها حق وأن الله سبحانه موصوف بها على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تفويض؛ بل يؤمنون بأن معانيها معلومة وأنها حق لائقة بالله سبحانه وتعالى لا يشابه خلقه في شيء منها، ومذهب الخلف بخلاف ذلك كما يعلم ذلك من قرأ كلام هؤلاء وكلام هؤلاء.

ثم ذكر أنّ أهل السنة يفوضون علم معاني الصفات إلى الله وكرر ذلك في غير موضع، وقد أخطأ في ذلك، ونسب إليهم ما هم براء منه كما تقدم بيان ذلك فيما نقلناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن جمع من أهل السنة رحمة الله عليهم وإنما يفوض أهل السنة إلى الله سبحانه علم الكيفية لا علم المعاني كما سبق إيضاح ذلك.

أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه:

٩- ثم ذكر الصابوني ـ هداه الله ـ تنزيه الله سبحانه عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة، وهذا ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم، فإنَّ أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ، ولا يثبتون له إلا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ولم يرد في النصوص نفي هذه الأمور ولا إثباتها فالواجب الكف عنها، وعدم

التعرض لها لا بنفي ولا إثبات، ويغني عن ذلك قول أهل السنة في إثبات صفات الله وأسمائه أنه لا يشابه فيها خلقه وأنه سبحانه لا ند له ولا كفو له. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث).

وهذا هو معنى كلام غيره من أئمة السنة وأما ما وقع في كلام البيهقي رحمه الله في كتابه: (الاعتقاد) من هذه الأمور فهو مما دخل عليه من كلام المتكلمين وتكلفهم، فراج عليه واعتقد صحته، والحق أنه من كلام أهل البدع لا من كلام أهل السنة.

أهل السنة يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه دون أن يشبِّهوه بخلقه:

١٠- ثم قال الصابوني في مقاله الثاني ما نصه: ((أما ما يتخيله بعض الجهلة من أدعياء العلم اليوم الذين يصورون الله بصورة غريبة عجيبة ويجعلون الله تعالى كأنه جسم مركب من أعضاء وحواس له وجه ويدان وعينان وله ساق وأصابع وهو يمشي وينزل ويهرول، ويقولون في تقرير هذه الصفات أن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج ـ يريد بزعمه أن يقرر مذهب السلف الصالح للتلاميذ ويثبت لهم حقيقة معنى الاستواء والنزول، وأنَّه جلوس حس لا كما يتأوله المؤولون ـ فهذا والعياذ بالله عين الضلالة؛ لأنه شبَّه وجسَّم وهو كمن فر من حفرة صغيرة ليقع في هوة عميقة يتحطم فيها ويهوي فيها إلى مكان سحيق) أ.هـ.

وأقول: إنَّ الأخ الصابوني ـ هداه الله ـ قد جمع في هذا الكلام حقًا وباطلاً يعلمه كل صاحب سنة، وإليك أيها القارئ المؤمن التفصيل في ذلك.

أما الوجه واليدان والعينان والساق والأصابع فقد ثبتت في النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة، وقال بها أهل السنة والجماعة وأثبتوها لله سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه، وهكذا النزول والهرولة جاءت بها الأحاديث الصحيحة ونطق بها الرسول ﷺ وأثبتها لربه ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه من غير مشابهة لخلقه ولا يعلم كيفية هذه الصفات إلا هو سبحانه، فإنكار الصابوني هذه الصفات إنكار على النبي ﷺ، بل إنكار على الله ﷻ؛ لأنه سبحانه ذكر بعضها في كتابه العزيز وأوحى البعض الآخر لنبيه ﷺ، فإنه ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر عن الله سبحانه بما أوحى إليه، فالصابوني هداه الله تارة يقول إنه يلتزم بمذهب أهل السنة وتارة ينقصه ويخالفه، فإنا لله وإنا إليه راجعون ونسأل الله لنا وله الهداية والرجوع إلى الحق. وأما قوله: (ويقولون في تقرير هذه الصفات إن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج... إلخ).

فهذا القول أهل السنة بَراءٌ منه بل هو من كلام المشبهة الذين كفرهم السلف الصالح وأنكروا مقالتهم لكونها مصادمة لقول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وما جاء في معناها من الآيات، فلا يجوز لأحد أن يخلط بين كلام أهل الحق من أهل السنة وكلام أهل الباطل من المشبهة وغيرهم ولا يميز بينهما، بل الواجب التفصيل والتمييز.

الأشعري والماتريدي ليس أول من رد شبهات أهل الزيغ..

١١ - ثم زعم الصابوني في مقاله الثالث أن أول من كتب في أصول الدين ورد شبهات أهل الزيغ والضلال أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي.

وهذا جزم غير صحيح فقد سبقهما في ذلك: الإمام أبو حنيفة ﷺ، والإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، والإمام مالك ﷺ، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، والإمام عثمان ابن سعيد الدارمي في الرد على المريسي، والإمام عبدالعزيز الكنائي صاحب الحيدة وغيرهم ممن لا يحصى.

مذهب أهل السنة واحد وهو أسلم وأعلم وأحكم:

١٢ - ثم كرر الصابوني هداه الله في مقاله الثالث قوله: (إنّ السلف لهم مذهبان مذهب أهل التفويض ومذهب أهل التأويل) إلى آخر ما قال... إلى أنْ قال: (إنَّ بعضهم يفضل مذهب السلف ويقول إنَّه أسلم والبعض الآخر يفضل مذهب الخلف ويقول هو أحكم) أ.هـ.

والجواب: أنّ هذا التقسيم باطل كما تقدم، وليس للسلف إلا مذهب واحد هو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة ﷺ وأتباعهم بإحسان وهو الأسلم والأعلم والأحكم، أما المذهب الثاني فهو مذهب الخلف المذموم، وهو مذهب أهل التأويل والحريف والتكلف ولا يلزم من ذم مذهب الخلف والتحذير منه القول بتكفيرهم، فإن التكفير له حكم آخر يبني على معرفة قول الشخص وما لديه من الباطل، ومدى مخالفته للحق فلا يجوز أن يقال أنه يلزم من ذم مذهب الخلف أو الإنكار على الأشاعرة ما وقعوا فيه من تأويل الصفات وتحريفها إلا

صفات قليلة استثنوها وليس المقصود القول بتكفيرهم، وإنما المقصود بيان مخالفتهم لأهل السنة في ذلك وبطلان ما ذهب إليه الخلف من التأويل وبيان أن الصواب هو مذهب السلف الصالح وهم أهل السنة والجماعة في إمرار آيات الصفات وأحاديثها وإثبات ما دلت عليه من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تمثيل كما سبق ذكر ذلك غير مرة والله المستعان.

ثم ذكر كلام البيهقي هنا، وقد تقدم ما فيه، وأنه رحمه الله دخلت عليه ألفاظ من ألفاظ أهل البدع، فراجت عليه، وظنها صوابًا فأدخلها في كتابه، وهو من جملة الذين خاضوا في الكلام، وعلّق باعتقاده بعض ما فيه من الشر سامحه الله وعفى عنه، كما نبه على ما يدل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى جـ٦ ص٥٣.

أهل السنة لا يؤوّلون الصفات ولكن يجمعون بين النصوص ويفسرون بعضها ببعض.

١٣- ثم قال الصابوني في مقاله الثالث ما نصه: (ولا يظنّ أحدٌ أننا نفضل مذهب الخلف على مذهب السلف، ولسنا على الرأي الذي يقوله علماء الكلام: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم، بل نقول عن إيمان ويقين أن مذهب السلف هو الأسلم وهو الأحكم فلا نحاول أن نؤول صفات الخالق جل وعلا، بل نؤمن بها كما جاءت ونقر بها كما وردت مع نفي التشبيه والتجسيم)، ثم استشهد بقول بعض الشعراء:

إن المفوض سالم ... مما تكلفه المؤول

... إلى أنْ قال: (وإذا كان مَنْ أوَّل الصفات ضال فسنضلل السلف الصالح

جميعًا لأنهم أولوا قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]، قالوا: معهم بعلمه لا بذاته وأوَّلو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، قالوا: معية علم لئلا تتعدد الذات، وسنحكم بضلال الحافظ ابن كثير؛ لأنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٥]: ملائكتنا أقرب إليه منكم ولكن لا ترونهم، كما أوَّل قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] قال: المراد ملائكتنا أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، والحلول والاتحاد منفي بالإجماع تعالى الله وتقدس). **وقال:** (بل نقول إنه يتعين التأويل أحيانًا كما في الحديث الصحيح: "الحجر الأسود يمين الله في أرضه" وكما قال عن سفينة نوح: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٣-١٤].

والجواب أن يقال: قد أحسنت في اختيار مذهب السلف الصالح، واعتقاد أنه الأسلم والأحكم والأعلم، ولكنك لم تثبت عليه بل تارة تختار مذهب التأويل وتارة تختار مذهب التفويض، والواجب على المؤمن الثبات على الحق وعدم التحول عنه، وما ذكرته عن السلف من تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، بالعلم ليس بتأويل ولكنه هو معنى آيات المعية عند أهل السنة والجماعة، كما حكى الإمام أبوعمر بن عبدالبر وأبوعمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على ذلك؛ وذلك لأن النصوص من الكتاب والسنة الدالة على علوه وفوقيته وتنزيهه سبحانه عن الحلول والاتحاد تقتضي ذلك، ومن تأمل الآيات الواردة في ذلك علم أنها تدل على أن المراد بالمعية العلم بأحوال عباده واطلاعه على شؤونهم مع دلالة المعية

الخاصة على كلاءته ورعايته وحفظه ونصره لأنبيائه وأوليائه، مع علمه واطلاعه على أحوالهم، والعرب الذين نزل عليهم الكتاب وجاءت السنة بلغتهم يعلمون ذلك ولا يشتبه عليهم، ولهذا لم يسألوا النبي ﷺ عن معاني هذه الآيات لظهورها لهم، أما النصوص الأخرى فلا تحتاج إلى تأويل؛ لأن المعنى فيها ظاهر مثل قوله سبحانه: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، و﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩]، و﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]. فلا يدور بخلد أحد أن السفينة تجري بعين الله ولا أن محمدًا عليه الصلاة والسلام في عين الله وإنما المراد بذلك أن السفينة تجري برعاية الله وعنايته وتسخيره لها وحفظه لها، وأن محمدًا ﷺ تحت رعاية الله وعنايته وتسخيره لها وحفظه لها، وأن محمدًا ﷺ تحت رعاية مولاه وعنايته وحفظه وكلاءته، وهكذا قوله في حق موسى ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩] أي: تحت رعايتي وحفظي وهكذا حديث: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" يفسره قوله في الرواية الأخرى: "فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي"[(١)] ولا يظن من له أدنى بصيرة ممن يعرف اللغة العربية أن المراد بذلك أن الله سبحانه هو سمع الإنسان وبصره وهو يده ورجله ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ وإنما أراد من ذلك سبحانه بيان توفيقه لأوليائه وتسديده لهم في حواسهم وحركاتهم بسبب طاعتهم له وقيامهم بحقه وهكذا الأحاديث الأخرى. وأما حديث: "الحجر يمين الله" فهو حديث ضعيف والصواب وقفه على ابن عباس ومعناه ظاهر سواء كان مرفوعًا أو موقوفًا، وقد قال في نفس الحديث: "فكأنما صافح الله وقبل يمينه"، فدل على أن الحجر ليس هو يمين الله

(١) ذكر الشيخ الألباني في الصحيحة [٤/ ١٩١] أنه لم ير هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكر من الذين أخرجوا هذا الحديث.

وإنما شبَّه مستلمه ومقبله بمن صافح الله وقبّل يمينه ترغيبًا في استلامه وتقبيله، وهكذا قول الله سبحانه في الحديث الصحيح لعبده: "مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني" قد بين في الحديث ما يدل على معناه حيث قال سبحانه: "أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟" فعُلم بذلك أن الله سبحانه لم يمرض ولم يجع وإنما أراد سبحانه من ذلك حث العباد على عيادة المريض وإطعام الجائع. وأما قوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]، فقد فسره جماعة بقرب الملائكة؛ لأن قربهم من العبد حين يتلقي المتلقيان وحين الموت كان بأمره سبحانه وتقديره ورعايته لعباده، وفسره آخرون بأنه: قربه سبحانه بعلمه وقدرته وإحاطته بعباده كالمعية، وكقربه من عابديه وسائليه مع علوه وفوقيته سبحانه وليس المراد الحلول ولا الاتحاد ـ تعالى الله عن ذلك وتقدس ـ لأن الأدلة القطعية من الكتاب والسنة تدل على أنه سبحانه فوق العرش بائن من خلقه عالٍ عليهم وعلمه في كل مكان، فمن تدبر النصوص من الكتاب والسنة وفسر بعضها ببعض اتضح له المعني ولم يحتج إلى التأويل، وقد اختار أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تفسيره: القول الثاني في سورة (ق) والقول الأول في سورة (**الواقعة**) وقد أنكر أهل السنة على من تأول نصوص الصفات وبدّعوه لما يترتب على تأويلها من أنواع الباطل وتحريف الكلم عن مواضعه وتجريد الرب سبحانه من صفات الكمال وسوء الظن به وأنه خاطب عباده بما ظاهره تشبيه وتمثيل وأن المراد غيره، وهذا هو التأويل المذموم وهذا هو الذي سلكه أهل الكلام وأنكره عليهم أهل السنة وضللوهم في ذلك، لكونهم أولوا النصوص عن ظاهرها وصرفوها عن

الحق الذي دلت عليه بلا حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة، بل بمقتضى عقولهم وآرائهم التي لم ينزل الله بها من حجة ولا قام عليها برهان. وقد ألزموهم فيما أثبتوا نظير ما فروا منه فيما تأولوه وهو لازم لهم بلا شك، ولا يَسْلَم من التناقض واللوازم الباطل إلا من أثبت ما أثبته الله ورسوله ونفي ما نفاه الله ورسوله وهم أهل السنة والجماعة، والله المستعان.

الوحدة والاعتصام ومقتضياتهما:

١٤- ثم دعا في مقاله الرابع إلى جمع الكلمة بين الفئات الإسلامية وتضافر الجهود ضد أعداء الإسلام، وذكر أنَّ الوقت ليس وقت مهاجمة لأتباع المذاهب، ولا للأشاعرة ولا للإخوان حتى ولا للصوفيين)).

والجواب أن يقال:

لا ريب أنه يجب على المسلمين توحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم على الحق، وتعاونهم على البر والتقوى ضد أعداء الإسلام كما أمرهم الله سبحانه بذلك بقوله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحذرهم من التفرق بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ولكن لا يلزم من وجوب اتحاد المسلمين، وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله، ألا ينكروا المنكر على من فعله، أو اعتقده من الصوفية، أو غيرهم بل مقتضى الأمر بالاعتصام بحبل الله، أن يأتمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر، ويبينوا الحق لمن ضل عنه، أو ظن ضده صوابًا بالأدلة الشرعية حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه، وهذا هو مقتضى قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومتى سكت أهل الحق

عن بيان أخطأ المخطئين، وأغلاط الغلطين لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر وبقاء الغالط على غلطه والمخالف للحق على خطئه وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله ولي التوفيق.

السلف لا يؤولون الصفات ولا يخوضون بالتجسيم لا نفيًا ولا إثباتًا لأن ذلك بدعة لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة.

١٥- ذكر الصابوني في مقاله الخامس ما نصه: ((ليس مذهب السلف الصالح ـ الذي أسلفنا الحديث عنه في مقالاتنا السابقة في موضوع صفات الباري جل وعلا ـ هو (التفويض المطلق) كما قد يتوهم البعض من الناس بل هو مسلك آخر يدل على نظر ثاقب وفهم سليم مستقيم لنصوص الكتاب والسنة، ويتلخص هذا المسلك والمنهج في الآتي:

أولاً: تأويل ما لابد من تأويله من آيات الصفات وأحاديث الصفات مما لا مندوحة عن تأويله لأسباب لغوية أو شرعية أو اعتقادية.

ثانيًا: إثبات ما أثبته القرآن الكريم أو السنة المطهرة من صفات الله جل وعلا من السمع والبصر والكلام والمحبة والرضى والاستواء والنزول والإتيان والمجيء وغيرها من الصفات، والإيمان بها على مراد الله ﷻ بطريق التسليم والتفويض دون تشبيه أو تعطيل أو تجسيم أو تمثيل)) أ.هـ.

والجواب أن يقال:

إنَّ هذه الدعوى على مذهب السلف دعوى لا أساس لها من الصحة، فإنَّ

السلف الصالح ليس مذهبهم التفويض لأسماء الله وصفاته لا تفويضًا عامًا ولا خاصًا، وإنما يفوضون علم الكيفية كما تقدم بيان ذلك وكما نص على ذلك مالك وأحمد وغيرهما وقبلهما أم سلمة رضي الله عنها وربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ مالك رضي الله عن الجميع، وليس من مذهب السلف أيضًا تأويل الصفات، بل يمرونها كما جاءت ويؤمنون بمعانيها على الوجه اللائق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما سلف ذكر ذلك غير مرة.

وليس من مذهب السلف أيضًا نفي التجسيم ولا إثباته؛ لأنَّ ذلك لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام سلف الأمة كما نص على ذلك غير واحد من أئمة السنة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد نص على ذلك في كتابه: (التدمرية) حيث قال في القاعدة السادسة: (ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص بهذا الطريق طريقًا فاسدًا: لم يسلكه أحد من السلف أو الأئمة فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لا نفيًا ولا إثباتًا ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك؛ لأنها عبارات مجملة لا تحق حقًا ولا تبطل باطلاً، ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما أنكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي أنكره السلف والأئمة). أ.هـ.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه: (فضل علم السلف على علم الخلف) بعد كلام سبق: (والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحدٍ منه خلاف ذلك البتة خصوصًا الإمام أحمد، ولا خوض في معانيها، ولا ضرب مثل من الأمثال لها، وإن كان بعض من كان قريبًا من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئًا من ذلك اتباعًا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك إنما

الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم، وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلام من سَلِمَ من قدح وجرح، وقد قال أبو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يصن علمه احتاج في نشره إلى شيء من الكلام فلستم منه).أ.هـ.

وليس فيما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ما يجب تأويله، بل لابد أن يوجد في النصوص ما يدل على المعنى المراد الذي يجب إثباته لله على الوجه اللائق به من غير حاجة إلى تأويل يخالف الظاهر من كلام الله ومن كلام رسوله ﷺ مع تفويض علم الكيفية إلى الرب ﷻ كما سبق بيان ذلك في كلام أئمة السنة.

ليس من أهل العلم منْ يكفّر ابن حجر وغيره ممن وقعوا في التأويل، ومذهب العالِم هو آخر ما مات عليه.

١٦- ثم قال الصابوني في مقاله الخامس هداه الله وألهمه التوفيق ما نصه: (ولكني أربأ بإخواني السلفيين أن يتحملوا في أعناقهم وزر تضليل الأمة وتكفير أئمة المسلمين من أهل الفقه والحديث والتفسير الذين هم على مذهب الأشاعرة فماذا سنجني إن فرقنا صف المسلمين ونسبنا إلى الضلال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري... وذكر جماعة آخرين، ثم قال: (وكل هؤلاء الأئمة الأجلاء وغيرهم على مذهب الإمام الأشعري.. إلخ). أ.هـ.

والجواب أنْ يقال: ليس من أهل العلم السلفيين منْ يكفِّر هؤلاء الذين ذكرتهم، إنما يوضحون أخطاءهم في تأويل الكثير من الصفات ويوضِّحون أن

ذلك خلاف مذهب سلف الأمة وليس ذلك تكفيرًا له ولا تمزيقًا لشمل الأمة ولا تفريقًا لصفهم، وإنما في ذلك النصح لله ولعباده وبيان الحق، والرد على من خالفه بالأدلة النقلية والعقلية والقيام بما أوجب الله سبحانه على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه والقيام بالدعوة إلى الله والإرشاد إلى سبيله، ولو سكت أهل الحق عن بيانه لا ستمر المخطئون على أخطائهم وقلدهم غيرهم في ذلك وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله عليه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]، وقد أخذ الله على علماء أهل الكتاب الميثاق ليبيننه للناس، ولا يكتمونه، وذمهم على نبذه وراء ظهورهم، وحذرنا من اتِّباعهم.

فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين.

ثم يقال للأخ الصابوني: ليس علماء الأشاعرة من أتباع أبي الحسن الأشعري؛ لأنه رجع عن تأويل الصفات وقال بمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وإمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما أوضح ذلك في كتابيه: (الإبانة) و(المقالات) فعُلم مما ذكرنا أن من أوّل الصفات من المنتسبين للأشعري فليس على مذهبه الجديد بل هو على مذهبه القديم، ومعلوم أن مذهب العالم هو ما مات عليه معتقدًا له لا ما قاله سابقًا ثم رجع عنه فيجب التنبه لذلك والحذر مما يلبس الأمور ويضعها في غير موضعها، والله المستعان.

الأشاعرة لا يُعدّون من أهل السنة، لأنهم لم يثبتوا الصفات:

١٧- ذكر الصابوني في مقاله السادس الذي بدأه بقوله: ((هذا بيان للناس) إنَّ التأويل لبعض آيات وأحاديث الصفات لا يخرج المسلم عن جماعة أهل السنة، فمنه ما هو خطأ ومنه ما هو صواب، وهناك آيات صريحة في التأويل أوْلَها الصحابة والتابعون وعلماء السلف وما يتجرأ أحد أن ينسبهم إلى الضلال أو يخرجهم عن أهل السنة والجماعة، ثم ضرب لذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، ومنها ما ذكره سبحانه من استهزائه بالمستهزئين وسخريته من الساخرين بالمؤمنين ومكره بالماكرين وكذلك أيضًا الحديث الصحيح عن قول الله ﷻ: "مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني" إلى أن قال.. إذن ليس الأمر كما يظن البعض أن مذهب السلف ليس فيه تأويل مطلقًا بل مذهب السلف هو تأويل ما لابد من تأويله)). أ.هـ.

والجواب أن يقال: هذا الكلام فيه تفصيل وفيه حق وباطل، فقوله: (إنَّ التأويل لبعض الصفات لا يخرج المسلم عن جماعة أهل السنة) صحيح في الجملة؛ فالمتأول لبعض الصفات كالأشاعرة لا يخرج بذلك عن جماعة المسلمين ولا عن جماعة أهل السنة في غير الصفات، ولكنه لا يدخل في جماعة أهل السنة عند ذكر إثباتهم للصفات وإنكارهم للتأويل، فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السنة في إثبات الصفات لكونهم قد خالفوهم في ذلك، وسلكوا غير منهجهم، وذلك يقتضي الإنكار عليهم وبيان خطئهم في التأويل، وأنَّ ذلك خلاف منهج أهل السنة والجماعة كما تقدم بيانه في أول هذه التنبيهات، كما أنَّه لا مانع أن يقال إنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السنة في باب الأسماء والصفات وإن كانوا منهم في الأبواب الأخرى حتى يعلم الناظر في مذهبهم أنهم قد أخطأوا في تأويل بعض الصفات، وخالفوا أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان في هذا المسألة تحقيقًا للحق وإنكارًا للباطل وإنزالاً لكل من أهل السنة والأشاعرة في منزلته التي هو عليها.

لا يجوز نسبة تأويل الصفات إلى السلف بحالٍ من الأحوال..

ولا يجوز أن يُنسب التأويل إلى أهل السنة مطلقًا بل هو خلاف مذهبهم وإنما يُنسب التأويل إلى الأشاعرة وسائر أهل البدع الذين تأوّلوا النصوص على غير تأويلها.

أما الأمثلة التي مثل بها الأخ الصابوني للتأويل عند أهل السنة فلا حجة له فيها وليس كلامهم فيها من باب التأويل بل هو من باب إيضاح المعنى وإزالة اللبس عن بعض الناس في معناها، وهاك الجواب عنها: أما قوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، فليس المراد بالنسيان فيها النسيان في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، بل ذلك له معنى والنسيان المثبت له معنى آخر فالنسيان المثبت في قوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، هو تركه إياهم في ضلالهم وإعراضه عنهم سبحانه لتركهم أوامره وإعراضهم عن دينه لنفاقهم وتكذيبهم، والنسيان المنفي عن الله سبحانه هو النسيان الذي بمعنى الذهول والغفلة، فالله سبحانه منزه عن ذلك لكمال علمه وكمال بصيرته بأحوال عباده وإحاطته بكل شؤونهم فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينسى ولا يغفل ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ وبذلك يُعلم أن تفسير النسيان بالترك في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧]، ليس من باب التأويل ولكنه من باب تفسير النسيان في هذا المقام بمعناه اللغوي؛ لأن كلمة النسيان مشتركة يختلف معناها بحسب مواردها كما بين ذلك علماء التفسير رحمهم الله، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى الآية ما نصه: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: نسوا ذكر الله، ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾

أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]. أ. هـ.

وهكذا ما ذكره الله سبحانه من استهزائه المستهزئين وسخريته بالساخرين ومكره بالماكرين وكيده للكائدين لا يحتاج إلى تأويل؛ لكونه من باب: (الجزاء من جنس العمل) لأنَّ السخرية منه سبحانه بالساخرين كانت بحق، وهكذا مكره بالماكرين واستهزاؤه بالمستهزئين وكيده للكائدين كله بحق، وما كان بحق فلا نقص فيه، والله سبحانه يوصف بذلك؛ لأن ذلك وقع منه على وجه يليق بجلاله وعظمته ولا يشابه ما يقعٍ من الخلق؛ لأن أعداءه سبحانه فعلوا هذه الأفعال معاندة للحق وكفرًا به وإنكارًا له فعاملهم سبحانه بمثل ما فعلوا على وجه لا يشابه فيه أفعالهم ولا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ومن كيده له ومكره بهم وسخريته بهم واستهزائه بهم هو إمهالهم وإنظارهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ومن ذلك ما يظهره للمنافقين يوم القيامة من إظهاره لهم بعض النور ثم سلبهم إياه كما قال ﷻ في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

وهكذا قال علماء التفسير من أهل السنة في هذا المعنى:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله بعد أن ذكر أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]: (والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرًا وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنًا وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر، وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المدخل له في عداد من يشمله اسم الإسلام، وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين إقرارهم بذلك بألسنتهم وبضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم، واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون حتى ظنّوا بالآخرة إذ حُشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم، وداخلون مدخلهم، والله جل جلاله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم مُعدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل، كان معلومًا أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم، وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلاً ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر له من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه، وهم له أعداء وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذّبين ـ إلى أن ميّز بينهم وبينهم ـ مستهزئًا وساخرًا ولهم خادعًا وبهم ماكرًا إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون

ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل بل ذلك معناه في كل أحواله إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره). أ.هـ[1].

وقال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامه الباهلي فلما صلي على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا ـ يشير إلى القبر ـ بيت الوحدة، وبيت الظلمة وبيت الضيق إلا ما وسع الله ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوهٌ وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا ويُترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا

﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان جـ١ [ص١٠٣-١٠٤].

حيث قال: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسَّم فيه النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣]، يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًا حتى يقسم النور، ويميز الله بين المنافق والمؤمن. ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا أرطأة ابن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال: يَبْعَثُ الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [الحديد: ١٣]، وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [الحديد: ١٣]، فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور)[1] انتهى ما ذكره الحافظ ابن كثير.

وبما ذكرناه عن ابن جرير وابن كثير رحمة الله عليهما يتضح للقارئ أن المكر والسخرية بالكافرين والخداع والاستهزاء بالمنافقين والكيد منه سبحانه لأعدائه كله على بابه، ولا يحتاج إلى تأويل بل هو حق من الله وعدل وجزاء لهم من جنس عملهم يليق به سبحانه، وليس يماثل ما وقع من أعدائه؛ لأن صفة الله سبحانه وأفعاله تليق به وكلها حق وعدل ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وإنما يعلم العباد من ذلك ما أخبرهم به ﷻ في كتابه الكريم أو على لسان رسوله الأمين من ربه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٦ [ص: ٥٥٥-٥٥٦].

يمدح العالم بموافقته للكتاب والسنة

١٨- نقل الصابوني في مقاله السادس وفي بعض مقالاته السابقة: عن شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ ما نصه: (العلماء أنصار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين) أ.هـ.

وعزاه إلى المجلد من الفتاوى وبمراجعة الفتاوى ص١٦ من المجلد الرابع اتضح أن هذا الكلام من فتوى الفقيه أبي محمد لا من قول شيخ الإسلام، وبذلك يعلم وهم الأخ الصابوني في النقل المذكور، وهذا الكلام على فرض صحته لا يدل على أن الأشاعرة لا يُنكر عليهم ما أخطأوا فيه، فإن القاعدة الشرعية كما نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وغيره أن العالم يمدح بما وافق فيه الكتاب والسنة ويذم على ما خالف فيه الكتاب والسنة، وهذا الذي قاله ﷺ هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، فالأشاعرة، وغيرهم يُمدحون على ماقالوه وكتبوه في نصر الحق في أبواب أصول الدين وفي غيرها، ويُذمون على ما أخطأوا فيه إحقاقًا للحق وردًا للباطل حتى لا يشتبه الأمر على من قل علمه والله المستعان.

١٩- ذكر الصابوني في مقاله السادس ما نصه: (وفي الحديث الصحيح ثلاثة من أصول الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفر مسلمًا بذنب، والإيمان بالأقدار) أو كما قال ﷺ .أ.هـ.

وبمراجعتنا لهذا الحديث في الأصول المعتبرة اتضح أنه ضعيف جدًا وقد رمز له السيوطي في الجامع بعلامة الضعف، وأخرجه أبو داود من طريق يزيد بن أبي نُشبه عن أنس ﷺ ويزيد بن أبي نشبه بضم النون لم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود وهو مجهول كما قال المزي وغيره).

وبهذا يعلم أن جزم الأخ الصابوني بأنه صحيح ليس في محله والأولى أن يقال في مثل هذا: (ورُوي عن النبي ﷺ) فيُنقل بصيغة التمريض كما نص عليه أهل العلم في رواية الأحاديث الضعيفة، ولم يسق الأخ الصابوني لفظه كما ورد، وإليك أيها القارئ نصه عند أبي داود لمزيد الفائدة: (حدثنا سعيد ابن منصور ثنا أبو معاوية ثنا جعفر ابن برقان عن يزيد بن أبي نشبة عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار".أ.هـ.

وهذا الذي دل عليه الحديث قد جاء في معناه أحاديث أخرى صحيحة والقول بمعناه هو قول أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة يعتقدون أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والتزم بمعناها ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام، فإنه يجب الكف عنه وحسابه على الله ﷻ كما قال النبي ﷺ فيما رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ﷻ"، ومن عقيدة أهل السنة أن المسلم لا يكفر بذنب من الذنوب التي دون الشرك، ولا يخرج من الإسلام بعمل من الأعمال التي لا تلحقه بالمشركين خلافًا للخوارج لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكأن الأخ الصابوني ذكر هذا الحديث ليستدل به على وجوب الكف عن الكلام في الأشاعرة وبيان ما أخطأوا فيه، وهكذا ما أخطأ فيه غيرهم من الفرق الإسلامية، وليس الأمر كما زعم فإن الحديث المذكور لو صح لا يدل على

شرعية الكف عن من خالف الحق، كما أنه لا يدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما أخطأ فيه المخطئون وغلط فيه الغالطون من الأشاعرة وغيرهم، بل الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة كلها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنكار على من خالف الحق وإرشاده إلى طريق الصواب حتى يهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينه، كما بينا ذلك فيما سبق. وإنما المقصود من الحديث لو صح الكف عن قتال من أظهر الإسلام وتكلم بكلمة التوحيد حتى ينظر في أمره بعد ذلك ويعامل بما يستحق حسب الأدلة الشرعية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها آنفًا. والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا آخر ما تيسر التنبيه عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وصفوته من خلقه، إمام المجاهدين ورسول رب العالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين))[1].

---

(١) مجموع مقالات الشيخ [٣/ ٥١-٨٢].

تعقيب وتوضيح على مقالة الدكتور محيي الدين الصافي بعنوان (من أجل أن نكون أقوى أمة)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد اطلعت على ما نشر في صحيفة الشرق الأوسط في عددها ٣٣٨٣ الصادر في ٣/ ٤/ ١٤٠٨هـ بقلم الدكتور محيي الدين الصافي بعنوان (من أجل أن نكون أقوى أمة).

وقد لفت نظري ما ذكره عن اختلاف السلف والخلف في بعض صفات الله وهذا نص كلامه:

(إلا أنه وردت في القرآن الكريم آيات تصف الله تعالى ببعض صفات المخلوقين، من مثل قول تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وللعلماء طريقتان: طريقة السلف وهي إثبات الصفات، ولكن من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل واضعين نصب أعينهم عدم تعطيل الذات الإلهية عن الصفات، مع جزمهم بأن ظاهر هذا الآيات غير مراد، وأن الأصل تنزيه الله تعالى عن كل ما يماثل المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

أما طريقة الخلف، فهي: تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها إلى المعنى، فتكون اليد بمعنى القدرة، والوجه بمعنى الذات، والاستواء بمعنى الاستيلاء والسيطرة ونفوذ الأمر؛ لأنه قام الدليل اليقيني على أن الله ليس بجسم

ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وكل من الطريقتين صحيحة، مذكورة في الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام. إلخ

وقد أخطأ - عفا الله عنا وعنه - في نسبته للسلف (جزمهم بأن ظاهر هذه الآيات غير مراد) فالسلف رحمهم الله، ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال، أو أثبته له رسوله ﷺ ويعتقدون حقيقتها اللائقة بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تفويض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الفتوى الحموية. ما نصه: (روى أبوبكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات، فقد حكى الأوزاعي هو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العرق.

حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش، وبصفاته السمعية، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا.

وروي أبوبكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرُّوها كما جاءت. وروي أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت، وفي رواية قالوا:

أمروها كما جاءت بلا تكييف، وقولهم ﷺ: أمروها كما جاءت رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف رد على الممثلة.

والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهما، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد، وحماد ابن سلمة وأمثالهما) إلى أن قال ـ رحمه الله: (وروي الخلال بإسناد كل أئمته ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق. وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبدالرحمن من غير وجه (ومنها) ما رواه الشيخ الأصبهاني وأبوبكر البيهقي عن يحيى ابن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا مبتدعًا فأمر به أن يخرج.

فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا بل يكون مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضًا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذ لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف، فمن قال أن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف، وأيضًا فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف ونفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول). أ. هـ.

فهذا هو مذهب السلف في هذه المسألة وهو واضح في أنهم يثبتون لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه من صفات الكمال، أو وصفه به رسوله ﷺ فيما صح عنه، وأن ما تدل عليه الآيات والأحاديث الصحيحة مراد ومفهوم، ولكنهم لا يؤولونها ولا يكيفونها بل يكلون علم الكيفية لله سبحانه، ويعتقدون تنزيه الله سبحانه عن مماثلة المخلوقين.

كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وكما قال ﷻ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤].

وأما قوله: (أما طريقة الخلف فهي تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها) إلى قوله: (وكل من الطريقين صحيحة مذكورة في الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام) أ.هـ. أقول: هذا خطأ عظيم فليست كلتا الطريقتين صحيحة، بل الصواب أن طريقة السلف هي الصحيحة وهي الواجبة الاتباع؛ لأنها عمل بالكتاب والسنة، وتمسك بما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون له

بإحسان من التابعين ومن تبعهم من الأئمة الأعلام، وفيها تنزيه الله ﷻ عن صفات النقص بإثبات صفات الكمال وتنزيه الله سبحانه عن صفات الجمادات والناقصات والمعدومات، وهذا هو الحق، أما تأويلها على ما يقول علماء الخلف من أصحاب الكلام فهو خلاف الحق، وهو تحكيم للعقل الناقص، وقول على الله بلا علم، وفيه تعطيل لله جل وعلا من صفات الكمال، فهم فروا من التشبيه المتوهم في أذهانهم ووقعوا في التعطيل الذي هو في الحقيقة تشبيه لله سبحانه بالجمادات والمعدومات والناقصات كما تقدم، وتجريد له سبحانه من صفات الكمال التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، ونص عليها سبحانه في كتابه الكريم، وتمدح بها إلى عباده، وأرسل بها أفضل رسله وخاتم أنبيائه وفطر عليها الخلق.. ولو أن هؤلاء المتكلمين المتأولين ساروا على مذهب السلف الصالح، وأثبتوا لله صفات الكمال على الوجه اللائق بالله سبحانه، واكتفوا بنفي التكييف والتمثيل لأصابوا الحق، وفازوا بالسلامة من مخالفة الرسل، وتحكيم العقول التي لم تحط به علمًا.

والخلاصة: أنّ مذهب السلف هو الحق الذي يجب اتباعه والقول به، وأما ما ذهب إليه بعض علماء الخلف من تأويل نصوص صفات الله جل وعلا فهو باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة.

فالواجب العدول عنه، والوقوف عند نصوص الكتاب والسنة وإثبات ما أثبتته ونفي ما نفته، مع الإيمان بأن ما دلت عليه من المعاني حق ثابت لله سبحانه، لا يشابهه فيه أحد من خلقه كما تقدم.

وقوله: (قام الدليل اليقيني على أنَّ الله ليس بجسم) هذا الكلام لا دليل عليه؛ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة وصف الله سبحانه بذلك أو نفيه عنه،

فالواجب السكوت عن مثل هذا؛ لأن مأخذ صفات الله جل وعلا توقيفي لا دخل للعقل فيه، فيوقف عند حد ما ورد في النصوص من الكتاب والسنة.

وبهذا يتضح خطأ قول الدكتور محيي الدين الصافي ما نصه: (لذا فإن علينا أن نتفق أن من ذهب من علماء المسلمين في العالم الإسلامي الآن إلى الأخذ بإحدى الطريقتين فهو على الصواب) إلى أخر ما قال؛ لأن الحق كما ذكرنا هو ما ذهب إليه السلف رحمهم الله، وما خالفه يعتبر باطلاً يجب تركه وبيان بطلانه وإظهار الحق للناس، وهو من التعاون على البر والتقوى، ومن إنكار المنكر، ومن الدعوة إلى الحق. والله المسؤول أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه، والسير على ما دل عليه كتاب الله العزيز وسنة رسوله الناصح الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، على ما درج عليه سلف الأمة في باب أسماء الله وصفاته وفي جميع أبواب الدين، وأن يوفق أخانا الدكتور محيي الدين الصافي للرجوع إلى الحق والتمسك به وترك ما خالفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

(١) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ [٢/٩٨-١٠٤].

الرد على بعض الصحف في دعوتها للتعلق بالنجوم والأبراج والطالع(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطَّلعت على مقال نشر في بعض الصحف يتضمن تمجيد بعض أعمال الجاهلية والفخر بها والدعوة إليها، مثل التعلق بالنجوم والأبراج والحظ والطالع، فرأيت أنَّ من الواجب التنبيه على ما تضمنه المقال من الباطل، فأقول: إنَّ ما يسمى بعلم النجوم والحظ والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها وبيان أنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله تعالى واعتقاد الضر والنفع زورًا وبهتانًا، ويعبثون بعقول السذج والأغرار من الناس ليبتزوا أموالهم ويغيروا عقائدهم، قال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد"(٢)، وللنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئًا وكل إليه" وهذا يدل على أن السحر شرك بالله تعالى وأن من تعلق بشيء من أقوال الكهان أو العرافين وكل إليهم وحُرِم من عون الله ومدده.

وقد ذكر مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) نشر في مجلة البحوث الإسلامية العدد٦، [ص٢٨٦-٢٨٨].

(٢) رواه أبو داود وإسناده صحيح.

عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(١)، وعن عمران بن حصين مرفوعًا: "ليس منا من تطَّير أو تُطِّير له أو تكَّهن أو تُكِهن له أو سَحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(٢)، وقال ابن القيم رحمه الله: (من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا وعرافا، والمقصود من هذا: معرفة أن من يدعي معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن وإما مشاركٌ له في المعنى فيلحق به، وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفال والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية؛ ونعني بالجاهلية كل ما ليس من أتباع الرسل عليهم السلام كالفلاسفة والكهان والمنجمين ودهرية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل صلى الله عليهم وسلم، وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنًا وعرافًا وما في معناهما فمن أتاهم أو صدقهم بما يقولون لحقه الوعيد.

وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء لله وأن ذلك كرامة) انتهى المقصود نقله من كلام ابن القيم رحمه الله.

وقد ظهر من أقواله ﷺ ومن تقريرات الأئمة من العلماء وفقهاء هذه الأمة، أن علم النجوم وما يسمى بالطالع وقراءة الكف وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط

---

(١) أخرجه أهل السنن الأربع.

(٢) رواه البزار بإسناد جيد.

كلها من علوم الجاهلية، ومن المنكرات التي حرمها الله ورسوله، وأنها من أعمال الجاهلية وعلومهم الباطلة التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به، قال تعالى:﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل: ٦٥]، ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ويستغفره، وأن يعتمد على الله وحده ويتوكل عليه في كل الأمور، مع أخذه بالأسباب الشرعية والحسية المباحة وأن يدع هذه الأمور الجاهلية ويبتعد عنها، ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم طاعة لله ورسوله ﷺ وحفاظًا على دينه وعقيدته، والله المسؤول أن يرزقنا والمسلمين الفقه في دينه والعمل بشريعته، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين))(١).

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ [٢/ ١٢٣-١٢٥].

بيان من سماحة الشيخ
بعنوان: نشرات مكذوبة يروجها بعض الناس[1]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((وردتنا رسالة من معلمة بالمدرسة الثانوية الثالثة بالرياض تسأل فيها عن نشرات توزع في بعض المدارس، ونص تلك النشرات:

قال الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٩٦].

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٤].

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قم بإرسال هذه الآيات لتكون جالبة خير وحسن طالع وفلاح، فقم بتوزيعها حول العالم تسع مرات وستجلب لك الخير والفلاح بعد أربعة أيام بإذن الله، وليس الأمر بلهو ولعب أو لاتخاذ آيات الله الكريمة هزوا بك، وسترى ما يصلك خلال أربعة أيام. فعليك أن ترسل نسخا من هذه الرسالة وقد سبق أن وصلت هذه الرسالة إلى أحد رجال الأعمال فوزعها فورًا، فجاءته أخبار نجاح صفقة تجارية بسبعة آلاف دينار زيادة عما كان متوقعا، ووصلت إلى طبيب، وأهملها فلقى مصرعه في حادث سيارة أدى إلى تشويهه كاملاً، وبقي جثة هامدة

---

(١) نشر في الدعوة العدد ٩٣٨ في ١٥/ ٧/ ١٤٠٤هـ.

مبعثرة تحدث عنها الجميع؛ وذلك لأنه أَهْمَل توزيع الرسالة، وفوجئ أحد المقاولين بإحالة عطاء مجز إليه، ولكنه أهمل توزيعها فتوفي ابنه الأكبر في حادث سيارة في بلد عربي شقيق، لذا يرجى إرسال ٢٥ نسخة وستبشر بما يصلك في اليوم الرابع، وإياك أن تهملها، فهناك من ربح الآلاف لدى التزامه، وأما من أهمل كان خطرًا على حياته وأمواله. وفقنا الله وإياكم لتبليغ هذه الرسالة والله ولي التوفيق

هذه النشرة وما يترتب عليها من الفوائد بزعم من كتبها وما يترتب على إهمالها من الخطر كذب لا أساس له من الصحة، بل هي من مفتريات الكذابين اللعابين، ولا يجوز توزيعها لا في الداخل ولا في الخارج، بل ذلك منكر يأثم من فعله ويستحق عليه العقوبة العاجلة والآجلة؛ لأن البدع شرها عظيم وعواقبها وخيمة، وهذه النشرة على هذا الوجه من البدع المنكرة ومن الكذب على الله سبحانه وقد قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(٢).. فالواجب على جميع المسلمين الذين تقع في أيديهم أمثال هذه النشرة تمزيقها وإتلافها وتحذير الناس منها، وقد أهملناها وأهملها غيرنا من أهل الإيمان فما رأينا إلا خيرا، ومثلها النشرة التي ينسبونها إلى خادم الحجرة النبوية، ونشرة أخرى مثل النشرة المذكورة آنفًا لكنها مبدوءة بقول الله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

[الملك: ٢٩]، بدلاً من قول الله سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٩٦]. وكلها نشرات مكذوبة لا أساس لها من الصحة ولا يترتب عليها خير ولا شر، ولكن يأثم من افتراها ومن وزعها ومن دعا إليها، ومن روجها بين الناس؛ لأن ذلك كله من باب التعاون على الإثم والعدوان، ومن باب ترويج البدع والترغيب في الأخذ بها.

نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل شر وحسبنا الله على من وضعها، ونسأل الله أن يعامله بما يستحق لكذبه على الله وترويجه الكذب وإشغاله الناس بما يضرهم ولا ينفعهم، وللنصيحة لله، ولعباده جرى التنبيه على ذلك))[١].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤/ ١٥٧-١٥٩].

رد سماحة الشيخ على جريدة عكاظ
بعنوان: خرافة.. يجب تكذيبها[1]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فقد اطلعت على ما نشرته جريدة عكاظ في عددها (رقم: ٥٩٧٧) الصادر في يوم الاثنين الموافق ٢٤/ ١٢/ ١٤٠٢هـ، ص (٢٠) نقلاً عن صحيفة السياسة الكويتية عن الرجل المدعو محمد المصري الذي يزعم أنه أُغمِي عليه في يوم الأربعاء وظن أنه ميت ودُفِن يوم الأربعاء وأُخرِجَ من قبره يوم الجمعة، وما رأى من العجائب والغرائب.. إلخ، ونظرًا إلى كون هذه الحكاية قد تروج على بعض الناس، ويظن صحتها رأيت التنبيه على بطلانها، وأنها خرافة لا تروج على عاقل، بل هي كذب بحت زورها من سمى نفسه محمد المصري أو غيره لأغراض خسيسة حملته على ذلك، ومن المعلوم أن من يسمع كلام أهله وكلام الطبيب وكلام المشيعين لجنازته لا تخفى حياته لا على الطبيب ولا على غيره ممن ينظر إليه ويقلبه، ثم كيف يكون مغمى عليه وهو يعي ويحفظ كل ما دار حوله، ومن المعلوم أيضًا أن سنة الله في عباده أن من جعل في محل مكتوم ضيق لا يعيش مثل هذه المدة، ثم من المعلوم شرعًا أن ملكي القبر لا يأتيان إلى الحي إذا وضع في القبر وإنما يأتيان إلى الميت والله سبحانه يعلم الأحياء والأموات وهو الذي يرسل الملكين إلى الميت لسؤاله، ثم هذا الرجل الكذاب وصف الملكين بما يدل على أنهما رجلان لا ملكان، ثم الملكان لا يخبران الميت لا بحسناته ولا بسيئاته، وإنما يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فإن أجاب جوابًا صحيحًا فاز بالنعيم، وإن أجاب

---

(١) نشرت بمجلة الدعوة العدد ٨٦٦ يوم الاثنين ١٥/ ١/ ١٤٠٣هـ.

بالشك عُذِب، ثم ما ذكره بعد ذلك من المناظر الغريبة إنما قصد بذلك ترويج باطله وإيهام الناس أنه من الناجين حتى يعطفوا عليه، ويساعدوه بما يطلب منهم، أو يعطفوا عليه بدون طلب، وقد يكون من قصده الشهرة بين الناس حتى يطلب في كل مكان ليسأل عما رأى ويحصل له بعض ما يريد، ومن جهله قوله: (وتشاء الصدف أن كل أهلي قد جاءوا لزيارة قبري)، ومثل هذا الكلام لا يجوز والصواب أن يقال (ويشاء الله)؛ لأن الصدف لا مشيئة لها، والخلاصة أن هذه الحكاية موضوعة مكذوبة لا أساس لها من الصحة كما يتضح ذلك من سياقها وواقعها ولا ينبغي لصحفنا ولا للصحف التي تحترم نفسها أن تنشر مثل هذه الخرافات، ونسأل الله أن يطهر صحفنا وصحف المسلمين من كل باطل، وأن يكبت الخدَّاعين والماكرين ويفضحهم، ويكفي المسلمين شرهم، وأن يوفق جميع المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه، إنه سبحانه خير مسئول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٤/ ١٤٠-١٤١].

كلمة لسماحة الشيخ

بعنوان: تنبيه على مسألة الحلف بغير الله(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته على ما شاء منها، ولا يجوز كائنًا من كان أن يحلف ويقسم بغيره جل وعلا، فإنَّ الله شرع لعباده المؤمنين أن تكون أيمانهم به تعالى، أو بصفة من صفاته، وهذا خلاف ما كان يفعله المشركون في الجاهلية، فقد كانوا يحلفون بغيره من المخلوقات، كالكعبة والشرف والنبي والملائكة والمشايخ والملوك والعظماء والآباء والسيوف، وغير ذلك مما يحلف به كثير من الجهلة بأمور الدين، فهذه الأيمان كلها لا تجوز بإجماع أهل العلم، لقوله ﷺ: "من حلف بغير الله كفر أو أشرك" وقوله ﷺ: "إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله"(٢)، ولمسلم: "من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت"، وفي حديث آخر "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون"، وقوله ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا" وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا"، والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين أن يحفظوا أيمانهم، وألاَّ يحلفوا إلا بالله وحده، أو صفة من صفاته، وأن يحذروا الحلف بغير الله كائنًا من كان للأحاديث السابقة. نسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين لما يرضيه، وأن يمنحهم الفقه في دينه، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن، ومن شرور النفس وسيئات العمل إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه)).

---

(١) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الرابع عشر الافتتاحية [ص١٢-١٣].

(٢) رواه البخاري.

رد سماحة الشيخ على مقال نُشِر بصحيفة الرياض بعنوان: تحريم الحلف بغير الله

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، وبعد:

فقد اطَّلعت على المقال المنشور في الصفحة الحادية عشر من جريدة الرياض الصادر بتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٤٠٢هـ. بعنوان (نداء من مواطن فقد ماله)، وذكر في ضمن ندائه ما نصه: (إنني استحلفك برب العالمين وبرسوله الأمين)، ونظرًا إلى أنَّ الحلف لا يجوز إلا بالله وحده أو بأسمائه أو بصفاته، رأيت التنبيه على ذلك، أما الحلف بالمخلوقين فلا يجوز مطلقًا بأي حال من الأحوال لقول النبي ﷺ: "من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت"، وقوله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على الصحافة وغيرها مراقبة المقالات وجميع ما يراد نشره قبل النشر لملاحظة مثل ذلك حتى تكون سليمة من الأشياء المنكرة وغير اللائقة بصحافتنا الإسلامية، كما أنَّ الواجب على كل مسلم أن يتفقه في دينه وأن يتعلم ما لا يسعه جهله.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٢/ ١١٦-١١٧].

رد سماحة الشيخ على صحيفة الندوة

بعنوان: الإسلام قول وعمل وعقيدة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد نشرت صحيفة الندوة في عددها ١٥٩٠ الصادر في ١٧/ ١٢/ ٨٣ تحت عنوان: (هذه الصفحات الإسلامية) بقلم المحرر ما نصه: (تحرص كل الصحف هنا تقريبًا وفي أكثر البلاد الإسلامية على أن تخصص بعض صفحاتها أو بعض أعمدتها للحديث عن الإسلام بين الحين والحين فلماذا؟ أليس الناس مسلمين يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله ولو باللسان، أليسوا يحملون أسماء إسلامية وتقول شهادات ميلادهم، أو حفائظ نفوسهم إنهم مسلمون، بل وتقول دساتير دولهم كلها تقريبًا إن دينهم هو الإسلام، فلماذا إذن يكثر الحديث عن الإسلام، وإلى أي شيء تهدف هذه الصحف، أو هذه الصفحات أهي للدعوة إلى الصلاة؟ ما شاء الله المساجد مملوءة بالمصلين الذين يتقنون تسوية الصفوف والرد على الإمام استوينا، أم هي الدعوة إلى الحج؟ مثلاً إن أكثر المسلمين يتسابقون إلى الحج والله أعلم بالنيات، أم هي الزكاة؟ وكثيرون منهم يؤدون الزكاة طائعين أو مكرهين إنَّ الإسلام الذي يكثر الناس الحديث عنه يتضمن كل هذه الأركان لكنه يتضمنها كقواعد يقوم عليها نظام كامل للحياة الحياة كلها بكل ما فيها من نشاط، وبكل ما فيها من قيمٍ وتصورات توضِّح أنَّ الإسلام في صميمة نظام حياة، نظام يقوم على تصور خاص للحياة بكل ما فيها من قيم، وعلى أساس هذا التصور الصحيح يقوم الحكم، ونظام الاقتصاد، ونظام التربية، ونظام

الأخلاق، كما تقوم العلاقات الدولية بين الدول المسلمة، وسائر الناس، وعلى هذا التصور وحده يجب أن تسير الدعوة إلى الإسلام، وعلى هذا التصور سنحاول أن تكون هذه الصفحة إن شاء الله، وإننا ندعو القراء أن يكتبوا إلينا حين يكتبون على هذا الاعتبار وبهذه النظرة) هذا كله أيها القارئ كلام المحرر في صحيفة الندوة.

وأقول وبالله التوفيق. إنه لأمر غريب، وعجب لا ينقضي، أن ينبري كاتب ممن يشار إليه في أم القرى مهبط الوحي ومطلع شمس الرسالة، فيسمح لقلمه أن يكتب في صحيفة سيارة مقالاً مضمونه: دعوة المسلمين إلى أن يُعرضوا عن دينهم، فلا ينشروا محاسنه ولا يدعوا إليه، ولا يحذروا من مخالفته وأن يتساءل تساؤل المستغرب المستنكر (أليس الناس مسلمين).. إلخ

ويدعو الناس أن يكتفوا من دينهم بمجرد اللفظ فقط بل إلى أدنى من ذلك وهو الاكتفاء بمجرد الأسماء الإسلامية، كمحمد وعبدالله وعبدالرحمن، ونحو ذلك وشهادة الميلاد وحفيظة النفوس، أو ما هو أدني من ذلك، وهو الانتساب إلى دولة تزعم أن دستورها الإسلام سبحان الله! كيف بلغ الجهل بهذا الرجل أو التجاهل للإسلام إلى هذا الحد حتى كتب هذه المقالة، مع أنه يعلم نشاط المبشرين في دعوتهم إلى أديانهم الباطلة ونشاط الدعاة إلى المذاهب الهدامة كالبعثية والاشتراكية والشيوعية، وتكريس جهودهم في تحبيذها وإبراز ما يزعمون أنه من محاسنها، وإنفاق الأموال الطائلة في هذا السبيل الذي يقود أهله إلى النار.

أيها المحرر، أين ذهب عقلك حتى قلت هذه المقالة الشنعاء عن دين الإسلام الذي هو خير الأديان، وأحبها إلى الله وهو دين ودولة وعبادة وجهاد

وسيف ومصحف وثقافة وحكم وهو المشتمل على صلاح أمر الدنيا والآخرة وعلى سعادة الفرد والجماعة في هذه الحياة العاجلة وفي الآخرة، أليس دين هذه بعض محاسنه ومزاياه حقيقًا بأن يُدعى إليه وتُنشر محاسنه على صفحات الصحف السيارة وفي المجلات والنشرات وعلى المنابر وفي سائر الحفلات والاجتماعات؟ أليس خليقًا بأن تُكَرَّس الجهود والأموال للدعوة إليه والترغيب في اعتناقه وتحكيمه، والاستقامة عليه، وتزييف ما خالفه من الأديان والمذاهب؟ أليس القرآن الكريم الذي هو أعظم كتاب وأشرف دستور قد أَمَر بالدعوة إلى الإسلام، ونشر محاسنه، وحصر الفلاح في الدعاة إليه، وحكم بأن أهله هم خير أمة أخرجت للناس لإيمانهم به، ودعوتهم إليه، وإن كنت قد نسيت ذلك فاسمع قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة أنَّ أتْباع الرسول ﷺ على الحقيقة والكمال هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة، وسبيله هو الإسلام الذي أنكرت على أهله الدعوة إليه. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، أمر سبحانه في هذه الآية نبيه ﷺ أن يدعو إلى الإسلام وأنْ يجادل عليه بالتي هي أحسن، وأنت تعلم وهكذا غيرك من القراء أن كل دين وكل مذهب يهمل، ولا يدعى إليه، ولا تنشر محاسنه بل يغفل عنه وينسى، مصيره إلى الذهاب والزوال، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على رغبة أهله عنه وقلة اكتراثهم به فكيف سمحت لقلمك، بل كيف سمحت لك مروءتك وعروبتك إن لم يكن هناك غيرة على الإسلام أن تقول هذا المقال الذي مقتضاه وخلاصته: الدعوة إلى نبذ الإسلام والإعراض عنه وألا يذكر في الصحف السَّيارة بين الناس، سبحان الله ما أعظم شأنه والله أكبر وأجل وأعظم

من أن تكون قيمة دينه ما ذكرته أيها المحرر. وقال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال جل ذكره: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، تأمل أيها المحرر وتأملوا أيها القراء هذه الآيات كيف حكم الرب جل وعلا للدعاة إلى الله بالفلاح وأنهم خير الأمم وأنهم لا أحد أحسن قولاً منهم، وصاحب المقال يحذر من طريقهم وينتقد سبيلهم، ويتعجب منهم تعجب المستنكر والمستغرب، ثم نتأمل جميعًا هل رضي الله سبحانه من أهل الإسلام بمجرد اللفظ، أو التسمي بالأسماء الإسلامية، أو الانتساب إلى دولة الإسلامية؟ أم طالب المسلمين بالإيمان والعمل اللذين يترتب عليهما الفلاح والخير والسعادة في الدنيا والآخرة، إن الأمر في غاية الوضوح بل هو أوضح من الشمس في الظهيرة، ولكن الأمر كما قال الله ﷻ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، ولولا ما يخشى عليه من اغترار بعض الجهال بهذا المقال وصاحبه لما كان حقيقًا بالرد عليه لظهور بطلانه لكل من يطلع عليه من عامة المسلمين فضلاً عن مثقفيهم، ونسأل الله أن يهدي كاتبه وأن يردنا وإياه إلى التوبة الصادقة، وأما قوله في آخر المقال بعد ما ذكر الصلاة والزكاة والحج ما نصه: (إن الإسلام يتضمن كل هذه الأركان لكنه يتضمنها كقواعد يقوم عليها نظام كامل للحياة، الحياة كلها بكل ما فيها من نشاط وبكل ما فيها من قيم وتصورات، إن الإسلام في صميمه نظام حياة نظام يقوم على تصور خاص

للحياة بكل ما فيها من قيم وعلى أساس هذا التصور الصحيح يقوم نظام الحكم، ونظام الاقتصاد، ونظام التربية ونظام الأخلاق).. إلخ.

فالجواب أن يقال: لهذا الكاتب: إذا كان الإسلام دينا يتضمن هذه الأسس ويصلح أن ينظم الحياة في جميع شئونها فكيف تنكر على أهله الدعوة إليه ونشر محاسنه، وتقول إن الناس مسلمون ولو باللفظ إذا كان يكفي من الإسلام مجرد اللفظ لم تتحقق هذه المقاصد وهذه الأسس والتي أشرت إليها أخيرًا إنه لأمر عجيب وتناقض غريب أو تلبيس وخداع، ولماذا لم تذكر أنه دين يترتب عليه صلاح أمر الدنيا والآخرة ويسعد أهله في الدنيا والآخرة وإنما قصرته على هذه الحياة فقط، أتظن أنَّ هذا الدين إنما جاء لإصلاح الدنيا فقط، وليس له تعلق بالآخرة أم ماذا؟ إنَّ المقام واضح لا يحتاج إلى تفصيل، وكل من له أدنى علم بالإسلام يعلم أنه نظام صالح شامل لكل ما فيه سعادة البشرية في هذه الدنيا وفي الآخرة، وإنما يجيء الخلل لبعض أهله بسبب جهلهم به، أو عدم تطبيقهم لأحكامه، والواقع قديمًا وحديثًا شاهد بذلك لكل من تأمل أحوال المسلمين في صدر الإسلام وفي ما بعد ذلك، فاتق الله أيها الكاتب، وحاسب نفسك وتب إلى ربك وارجع عن أخطائك، فالرجوع إلى الحق فضيلة، بل واجب لا بد منه وهو خير لك في الدنيا والآخرة من التمادي في الباطل. وأسأل الله لي ولك ولسائر المسلمين التوفيق لما يرضيه والهداية إلى سبيله إنه خير مسئول وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا به وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [٣/ ٢٨٨-٢٩٢].

الفصل التاسع

بعنوان

جهود سماحة الشيخ في الرد على بعض البدع والمحدثات

واشتمل على:

١- رد سماحة الشيخ على صحيفة الأضواء لنشرها مقالاً حول الاحتفال بالمولد النبوي مع تعليقه على مزاعم هيئة الإذاعة البريطانية.

٢- تنبيه حول الاحتفال بالمناسبات الإسلامية تعليق على صحيفة المدينة.

٣- رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في الدعوة لتعظيم الآثار.

٤- حكم الإسلام في إحياء الآثار رد على مقال بصحيفة المدينة يدعو إلى إحياء الآثار.

٥- رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الندوة يدعو لإحياء الآثار.

٦-كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: حكم الإحداد على الزعماء.

٧- الرد على الكاتب الصحفي مصطفى آمين في دعوته لإحياء الآثار.

٨- التحذير من بناء المساجد على القبور الرد على دعوة لأحياء مسجد أهل الكهف.

٩-كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: دفن الموتى في المساجد إحدى وسائل الشرك.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosailil miyah

Tautan Undangan

الفصل التاسع
بعنوان
جهود سماحة الشيخ في الرد على البدع والمحدثات
رد سماحة الشيخ على صحيفة الأضواء لنشرها مقالاً حول الاحتفال بالمولد النبوي

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه.

في يوم الخميس الموافق ١٨/ ٣/ ٧٨هـ، اطَّلعت على مقال محمد أمين يحيى نشرته صحيفة (الأضواء) في عددها الصادر يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ٣/ ١٣٧٨هـ، ذكر فيه الكاتب المذكور أنّ المسلمين في كافة أقطار الأرض يحتفلون بيوم المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة، وأكمل التسليم بشتى أنواع الاحتفالات، وأنّه يجب علينا قبل غيرنا ـ أفرادًا وجماعات ـ أنْ نحتفل به احتفالاً عظيمًا، وعلى الصّحف أن تهتم به وتدبج به المقالات، وعلى الإذاعة أن تهتم بذلك، وتعد البرامج الخاصة لهذه المناسبة والذكرى الخالدة، هذا ملخص المقال المذكور.

وقد عجبْتُ كثيرًا من جرأة هذا الكاتب على الدّعاية ـ بهذا المقال الصريح ـ لبدعةٍ منكرة تخالف ما كان عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، والسلف الصالح التابعون لهم بإحسان في بلاد إسلامية تُحكِّم شرع الله وتحارب البدع، ولواجب النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين رأيت أن أكتب كلمة على هذا المقال؛ تنبيهًا للكاتب وغيره على ما تقتضيه الشريعة الكاملة حول الاحتفال بمولد النبي ﷺ **فأقول:**

لا ريب أن الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، وهما العلم النافع والعمل الصالح، ولم يقبضه إليه حتى أكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة،

كما قال ﷻ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣]، فأبان سبحانه بهذه الآية الكريمة أنّ الدين قد كَمُل، والنعمة قد أُتِمتْ، فمن رام أن يُحدِثَ حدثًا يزعم أنه مشروع، وأنه ينبغي للناس أن يهتموا به ويعملوا به ـ فلازم قوله: إنَّ الدين ليس بكامل، بل هو محتاج إلى مزيد وتكميل، ولا شك أنَّ ذلك باطل، بل من أعظم الفرية على الله سبحانه، والمصادمة لهذه الآية الكريمة، ولو كان الاحتفال بيوم المولد النبوي مشروعًا لبيَّنه الرسول ﷺ لأمته؛ لأنه أنصح الناس، وليس بعده نبي يبين ما سكت عنه من حقه؛ لأنه ﷺ خاتم النبيين، وقد أبان للناس ما يجب له من الحق؛ كمحبته، واتباع شريعته، والصلاة والسلام عليه، وغير ذلك من حقوقه الموضَّحة في الكتاب والسنة، ولم يذكر لأمته أن الاحتفال بيوم مولده أمر مشروع حتى يعملوا بذلك، ولم يفعله ﷺ طيلة حياته، ثم الصحابة ﷺ أحب الناس له، وأعلمهم بحقوقه لم يحتفلوا بهذا اليوم، لا الخلفاء الراشدون، ولا غيرهم، ثم التابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضَّلة لم يحتفلوا بهذا اليوم، أفتظن أنَّ هؤلاء كلهم جهلوا حقّه، أو قصَّروا فيه حتى جاء المتأخرون فأبانوا هذا النقص، وكملوا هذا الحق؟! لا والله، ولنّ يقول هذا عاقل يعرف حال الصحابة وأتباعهم بإحسان.

وإذا علمت أيها القارئ الكريم أنّ الاحتفال بيوم المولد النبوي لم يكن موجودًا في عهده ﷺ، ولا في عهد أصحابه الكرام، ولا في عهد أتباعهم في الصدر الأول، ولا كان معروفًا عندهم ـ علمتَ أنه بدعة محدثة في الدين، لا يجوز فعلها، ولا إقرارها، ولا الدعوة إليها، بل يجب إنكارها والتحذير منها؛ عملاً بقوله ﷺ في خطبته يوم الجمعة: "خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"، وقوله ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" ، وقوله عليه الصلاة

والسلام: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي لفظ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ومعلوم ـ عند كل من له أدنى مسكة من علم وبصيرة ـ أنَّ تعظيم النبي ﷺ لا يكون بالبدع، كالاحتفال بيوم المولد، وإنما يكون بمحبته واتباع شريعته وتعظيمها والدعوة إليها ومحاربة ما خالفها من البدع والأهواء، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟! قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"(١).

وتعظيمه ﷺ لا ينبغي أن يكون في وقت دون آخر، ولا في السنة مرة واحدة، بل هذا العمل نوع من الهجران، وإنما الواجب أن يعظم ﷺ كل وقت بتعظيم سنته والعمل بها والدعوة إليها والتحذير من خلافها، وببيان ما كان عليه ﷺ من الأعمال الصالحة والأخلاق الزاكية والنصح لله ولعباده، وبالإكثار من الصلاة والسلام عليه وترغيب الناس في ذلك وتحريضهم عليه، فهذا هو التعظيم الذي شرعه الله ورسوله ﷺ للأمة، ووعدهم الله عليه الخير الكثير والأجر الجزيل والعزة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.

وليس ما ذكرته هنا خاصًا بمولد النبي ﷺ، بل الحكم عام في سائر الموالد التي أحدثها الناس، وقد قامت الأدلة على أنَّ الاحتفال بمولده ﷺ بدعة منكرة،

---

(١) خرجه البخاري في صحيحه.

ولا يجوز إقرارها، فغيره من الناس أولى بأن يكون الاحتفال بمولده بدعة.

فالواجب على العلماء وولاة أمر المسلمين في سائر الأقطار الإسلامية أن يوضّحوا للناس هذه البدعة وغيرها من البدع، وأن ينكروها على من فعلها، وأن يمنعوا من إقامتها؛ نصحًا لله ولعباده وأن يبينوا لمن تحت أيديهم من المسلمين أن تعظيم الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين إنما يكون باتباع سبيلهم والسير على منهاجهم الصالح ودعوة الناس إلى ما شرعه الله ورسوله وتحذيرهم مما خالف ذلك.

وقد نص العلماء المعروفون بالتحقيق والتعظيم للسنة على إنكار هذه الموالد والتحذير منها، وصرحوا بأنها بدع منكرة لا أصل لها في الشرع المطهر ولا يجوز إقرارها.

فالواجب على من نصح نفسه أن يتقي الله سبحانه في كل أموره، وأن يحاسب نفسه فيما يأتي ويذر، وأن يقف عند حدود الله التي حدها لعباده، وأن لا يُحِدث في دينه ما لم يأذن به الله. فقد أكمل الله الدين وأتم النعمة، وتوفى الرسول ﷺ وقد ترك أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

والله المسؤول أن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم، وأن يعصمنا وإياهم من البدع والأهواء، وأن يمن على الجميع بالتمسك بالسنة وتعظيمها والعمل بها والدعوة إليها والتحذير مما خالفها، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين وعلماءهم لأداء ما يجب عليهم من نصر الحق وإزالة أسباب الشر وإنكار البدع والقضاء عليها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٦/ ٤٠٤-٤٠٨].

كلمة بعنوان
الرد على مزاعم هيئة الإذاعة البريطانية
(تكذيب خبر)[١]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أما بعد:

فقد كتبت منذ أيام مقالاً يتضمن جواب سؤال عن حكم الاحتفال بالمولد، وأوضحت فيه أنّ الاحتفال به من البدع المحدثة في الدين، وقد نُشِر المقال في الصحف المحلية السعودية وأُذيع من الإذاعة، ثم علمت بعد ذلك أنَّ إذاعة لندن نقلت عني في إذاعتها الصباحية أنّي أقول بأنّ الاحتفال بالموالد كفُر، فتعين عليَّ إيضاح الحقيقة للقراء، فأقول: إنَّ ما ذكرته هيئة الإذاعة البريطانية في إذاعتها الصباحية في لندن منذ أيام عني أني أقول بأن الاحتفال بالموالد كفر كذب لا أساس له من الصحة، وكل من يطلع على مقالي يعرف ذلك وإني لآسف كثيرًا لإذاعة عالمية يحترمها الكثير من الناس، ثم تُقْدِم هي، أو مراسلوها على الكذب الصريح، وهذا بلا شك يوجب على القراء التثبت في كل ما تنقله هذه الإذاعة خشية أن يكون كذبًا كما جرى في هذا الموضوع، وأسأل الله أن يحفظنا، وجميع المسلمين من الكذب، ومن كل ما يغضبه سبحانه إنه جواد كريم، وللحقيقة جرى نشره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[٢].

---

(١) نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد٦، ص٣١١، وراجع مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٢/ ٣٨٠].

(٢) مقالات الشيخ [٢/ ٣٨].

تنبيه حول الاحتفال بالمناسبات الإسلامية

تعليق على صحيفة المدينة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد اطلعت على ما كتبه الأخ: فريد بن عبدالحفيظ مياجان في صحيفة المدينة الصادرة في ١٥/ ٢/ ١٤١٥هـ، يؤيد بذلك ما كتبه عبدالله أبو السمح من تحبيذ الاحتفال بالمناسبات الإسلامية.

فرأيت أنّ من الواجب التنبيه على غلطهما في ذلك؛ نصحًا لله ولعباده، وعملاً بقوله عز وجل: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: ١-٣]، وقوله ﷺ: "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة" قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم".

وقد حرّم الله سبحانه القول عليه بغير علم، وحذّر منه عباده، كما في قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولا شك أنَّ الدعوة إلى إقامة الاحتفالات الإسلامية التي لم يحتفل بها النبي ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم من البدع المحدثة في الدين، ومنْ أسباب الغلو في دين الله، وتشريع عبادات لم يشرّعها الله، وقد يكون بعضها مع كونه بدعة وسيلة للشرك

الأكبر؛ كالاحتفال بالمولد النبوي، وموالد الصحابة والعلماء، وقد قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[(١)]،وقال ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[(٢)]، وكان النبي ﷺ يقول في خُطَبِه: "أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[(٣)]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على علماء المسلمين، وعلى طلبة العلم، وعلى كل مسلم أن يتقي الله، وأن يَحْذَرَ الدعوة إلى غير ما شرعه من البدع والمحدثات، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله ﷺ وأصحابه ﷺ وأتباعهم بإحسان، ففي ذلك السعادة والعاقبة الحميدة، والنجاة في الدنيا والآخرة، والبعد عن التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى الذي أحدثوا ما لم يأذن به الله، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا، ومن الواجب على المسلم ـ بدلاً من إحداث البدع والدعوة إليها ـ التواصي بالحق والتناصح، والعناية بتدبر القرآن الكريم والإكثار من تلاوته، والعناية بالسنة الصحيحة والدعوة إلى ذلك قولاً وعملاً في المساجد والبيوت، والعناية بحلقات العلم والإكثار منها، حتى يتعلم الجاهل، ويتذكر الناسي، ويكثر الخير، ويقل الشر، كما

(١) متفق على صحته.

(٢) خرجه مسلم في صحيحه.

(٣) خرجه مسلم في صحيحه.

كان السلف الصالح رحمة الله عليهم يقومون بذلك ويتواصون به.

والله المسؤول أن يوفقنا وجميع المسلمين للعلم النافع والعمل به، وأنْ يُصِلحَ قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يجعلنا من المتواصين بالحق والداعين إليه على بصيرة، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، ويولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه))[1].

---

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٨/ ٣٢٨-٣٢٩].

رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في دعوتهم لتعظيم الآثار بعنوان: لا يجوز تعظيم آثار العلماء بما يفضي إلى الغلو فيهم والشرك بهم

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد..

فقد نشرت صحيفة الرياض في عددها الصادر في ٢١/ ١٠/ ١٤١٢هـ، مقالاً بقلم: س.د ـ تحت عنوان: (ترميم بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحريملاء)، وذكر أنَّ الإدارة العامة للآثار والمتاحف أولت اهتمامًا بالغًا بمنزل مجدد الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في حي غيلان بحريملاء حيث تمت صيانته وأُعيد ترميمه بمادة طينية تشبه مادة البناء الأصلية... إلى أن قال: وتم تعيين حارس خاص لهذا البيت.. إلخ.

وقد اطَّلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على المقال المذكور، ورأت أن هذا العمل لا يجوز، وأنه وسيلة للغلو في الشيخ محمد رحمه الله وأشباهه من علماء الحق، والتبرك بآثارهم والشرك بهم، ورأت أن الواجب هدمه وجعل مكانه توسعة للطريق؛ سدًا لذرائع الشرك والغلو، وحسمًا لوسائل ذلك، وطلبت من الجهة المختصة القيام بذلك فورًا، ولإعلان الحقيقة والتحذير من هذا العمل المنكر جرى تحريره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز))[1].

---

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٧/ ٤٢٩].

حكم الإسلام في إحياء الآثار

رد على مقال بصحيفة المدينة يدعو إلى إحياء الآثار

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد:

فقد نشرت بعض الصحف مقالات حول إحياء الآثار والاهتمام بها لبعض الكتاب، ومنهم الأستاذ صالح محمد جمال، وقد رد عليه سماحة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، فأجاد وأفاد، وأحسن أجزل الله مثوبته.

ولكن الأستاذ أنور أبا الجدايل هداه الله، وألهمه رشده لم يقتنع بهذا الرد أو لم يطلع عليه فكتب مقالاً في الموضوع نشرته جريدة المدينة بعددها الصادر برقم ٥٤٤٨ وتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٤٠٢هـ بعنوان: (طريق الهجرتين) قال فيه: "والكلمة المنشورة بجريدة المدينة بالعدد ٥٤٣٣ وتاريخ ٧/ ٤/ ١٤٠٢هـ، للأستاذ البَّحاثة عبد القدوس الأنصاري عطفًا على ما قام به الأديب الباحث الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي من تحقيق للمواقع التي نزل بها رسول الله ﷺ في الطريق الذي سلكه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة تدفعنا إلى استنهاض همة المسئولين إلى وضع شواخص تدل عليها، كمثل خيمتين أدنى ما تكونان إلى خيمتي أم معبد مع ما يلائم بقية المواقع من ذلك بعد اتخاذ الحيطة اللازمة لمنع أي تجاوز يعطيها صفة التقديس، أو التبرك، أو الانحراف عن مقتضيات الشرع؛ لأن المقصود هو إيقاف الطلبة والدارسين، ومن يشاء من السائحين على ما يريدونه من التعرف على هذا الطريق ومواقعه لمعرفة ما عاناه الرسول ﷺ في رحلته السرية المتكتمة من متاعب، وذلك لمجرد أخذ العبرة، وحمل النفوس على تحمل مشاق الدعوة إلى الله تأسيًا بما تحمله في ذلك عليه الصلاة والسلام.

على أن تعمل لها طرق فرعية مُعَبّدة تخرج من الطريق العـام وتقـام بهـا نـزل واستراحات للسائحين، وأن يعني أيضًا بتسهيل الـصعود إلى أمـاكن تواجـده ﷺ بدءًا بغار حراء ثم ثور، والكراع حيث تعقبه سراقة بن مالك حتـى الوصـول إلى قباء، وما سبق ذلك من مواقع في مكـة المكرمـة، كـدار الأرقـم بـن أبي الأرقـم، والشعب الذي قوطع هو وأهلـه فيـه وطريـق دخولـه في فـتح مكـة، ثـم نزولـه بالأبطح، وكذا في الحديبية وحنين وبدر وكذلك مواقعه في المدينة المنورة، ومواقع غزواته، وتواجده في أريافها ثم طريقه ﷺ إلى خيبر وإلى تبوك وتواجه فيهما لإعطاء المزيد من الإحاطة والإلمام بجهاده الفذ في نشر الدعوة الإسـلامية والعمـل عـلى التأسي به في ذلك. أ.هـ.

كما دعا الدكتور فاروق أخضر في مقاله المنشور في (جريدة الجزيرة) بعـددها رقم ٣٣٥٤ وتاريخ ١٣/ ١/ ١٤٠٢هـ إلى تطـوير الأمـاكن الأثريـة في المملكـة لزيارتها من قبل المسلمين بصفة مستمرة، لضمان الدخل بزعمه بعد نفاذ البـترول ومما استدل به: (أنَّ السياحة الدينية المـسيحية في الفاتيكـان تعتـبر أحـد الـدخول الرئيسية للاقتصاد الإيطالي، وأنَّ إسرائيل قد قامت ببيـع زجاجـات فارغـة عـلى اليهود في أمريكا على اعتبار أن هذه الزجاجات مليئة بهواء القدس) كما أشـار إلى أنهـا سـتؤدي مـن الفوائـد أيـضًا: (في تثبيـت العلـم بالإسـلام عنـد الأطفـال المسلمين... إلخ).

ونظرًا لما يؤدي إليه إحياء الآثار المتعلقـة بالـدين مـن مخاطر تمـس العقيـدة أحببت إيضاح الحق، وتأييد ما كتبه أهل العلم في ذلك، والتعاون معهم على الـبر والتقوى والنصح لله ولعباده، وكشف الشبهة، وإيضاح الحجة، فأقول: إنّ العناية

بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقة أو مزعومة بلا حجة يتضح له كيف يتمسح الجهلة بترابها، وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها، ويدعو من نسبت إليه ظنًا منهم أن ذلك قربة إلى الله سبحانه ولحصول الشفاعة، وكشف الكربة، ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم، والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتها لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالبًا من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط بل الغالب العكس.

ويشاهد العاقل ذلك واضحًا في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله، ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أنَّ أهلها أولياء فكيف إذا قيل لهم إنَّ هذه آثار رسول الله ﷺ، كما أنَّ الشيطان لا يفتر في تحيُّن الأوقات المناسبة لإضلال الناس، قال الله تعالى عن الشيطان إنه قال:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقال أيضًا سبحانه عن عدو الله الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، وقد أغوى آدم فأخرجه من الجنة مع أن ﷻ حذره منه وبين له أنه عدوه كما قال تعالى في سورة طه: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع السامري حينما صنع لهم من حُليهم عجلاً

ليعبدون من دون الله، فزين لهم الشيطان عبادته مع ظهور بطلانها.

وثبت في جامع الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: "الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم".

شبه قولهم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط بقول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، فدَّل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ ولعظم جريمة الشرك وخطره في إحباط العمل نرى الخليل ﷺ يدعو الله له ولبنيه السلامة منه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، فإذا خافه الأنبياء والرسل ـ وهم أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأتقاهم له ـ فغيرهم أولى وأحرى بأن يخاف عليه ذلك، ويجب تحذيره منه كما يجب سد الذرائع الموصلة إليه.

ومهما عمل أهل الحق من احتياط أو تحفظ، فلن يحول ذلك بين الجهال وبين المفاسد المترتبة على تعظيم الآثار، لأن الناس يختلفون من حيث الفهم والتأثر والبحث عن الحق اختلافًا كثيرًا، ولذلك عبد قوم نوح ﷺ ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرا. مع أن الأصل في تصويرهم هو التذكير بأعمالهم الصالحة للتأسي والاقتداء بهم، لا للغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، ولكنَّ الشيطان أنسى من

جاء بعدهم هذا المقصد وزين لهم عبادتهم من دون الله وكان ذلك هو سبب الشرك في بني آدم. روي ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح: ٢٣].

قال: (هذا أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت).

أما التمثيل بما فعله اليهود والنصارى فإن الله جل وعلا أمر بالحذر من طريقهم؛ لأنه طريق ضُلَّال وهلاك ولا يجوز التشبه بهم في أعمالهم المخالفة لشرعنا وهم معروفون بالضلال واتباع الهوى والتحريف لما جاء به أنبياؤهم، فلهذا ولغيره من أعمالهم الضالة نهينا عن التشبه بهم وسلوك طريقهم.

والحاصل أنَّ المفاسد التي ستنشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محققة، ولا يحصي كميتها وأنواعها وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها وسد الذرائع إلى ذلك، ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله، وأحب الناس لرسول الله ﷺ، وأكملهم نصحًا لله ولعباده ولم يحيوا هذه الآثار ولم يعظموها ولم يدعوا إلى إحيائها، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها أمر بقطعها خوفًا على الناس من الغلو فيها والشرك بها. فشكر له المسلمون ذلك وعدوه من مناقبه رضي الله عنه.

ولو كان إحياؤها، أو زيارتها أمرًا مشروعًا لفعله النبي ﷺ في مكة وبعد الهجرة، أو أمر بذلك، أو فعله أصحابه، أو أرشدوا إليه، وسبق أنهم أعلم الناس بشريعة الله، وأحبهم لرسوله ﷺ، وانصحهم لله ولعباده ولم يحفظ عنه ﷺ ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة، أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضًا

حين عمرة القضاء، ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع، ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد، ولا محل الشجرة البيعة، فعلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر، ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل الشرك نهى النبي ﷺ عن ذلك، ولعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأخبر عمن يفعل ذلك أنهم شرار الخلق، وقال فيما ثبت عنه في صحيح مسلم رحمه الله عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك". وفي صحيح مسلم أيضًا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه. وأن يبنى عليه"[1]، "وأن يكتب عليه"، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية، واحتج العلماء على ذلك بأدلة لا تحصى كثرة، وذكر منها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (إعلام الموقعين) تسعة وتسعين دليلاً كلها تدل على وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي، وذكر منها قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وقوله ﷺ: "لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس" سدًا لذريعة عبادة الشمس من دون الله.

ومنعًا للتشبه بمن فعل ذلك، كما ذكر منها أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها، واتخاذها

(١) زاد الترمذي بإسناد صحيح.

مساجد وعن الصلاة إليها وعندها وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيدًا، وعن شد الرحال إليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها وحرَّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدًا للذريعة.

فالواجب على علماء المسلمين وعلى ولاة أمرهم أن يسلكوا مسلك نبي الله ﷺ وأصحابه ﷺ في هذا الباب وغيره، وأن ينهوا عما نهى عنه رسول الله ﷺ، وأن يسدوا الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك والمعاصي والغلو في الأنبياء والأولياء حماية لجناب التوحيد وسدًا لطرق الشرك ووسائله، والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يفقههم في الدين، وأن يوفق علماءهم وولاة أمرهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وأن يوفق قادة المسلمين لتحكيم شريعة الله والحكم بها في كل شئونهم، وأن يسلك بالجميع صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين))[1].

---

(١) فتاوى ومقالات الشيخ [٣/ ٣٣٤-٣٤٠].

رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الندوة يدعو لإحياء الآثار

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة (الندوة) في عددها الصادر في ٢٤/ ٥/ ١٣٨٧هـ، بقلم الأخ صالح محمد جمال تحت عنوان: (الآثار الإسلامية) فألقيت الكاتب المذكور يدعو في مقاله المنوه عنه إلى تعظيم الآثار الإسلامية، والعناية بها، يخشى أن تندثر، ويجهلها الناس ويمضي الكاتب فيقول: (والذين يزورون الآن بيت شكسبير في بريطانيا، ومسكن بتهوفن في ألمانيا، لا يزورونها بدافع التعبد والتأليه، ولكن بروح التقدير والإعجاب لما قدّمه الشاعر الإنجليزي، أوالموسيقيِّ الألماني لبلادهما وقومهما مما يستحق التقدير فأين هذه البيوت التافهة من بيت محمد ﷺ، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وغار حراء ومواقع بيعة الرضوان، وصلح الحديبية، إلى أن قال: ومنذ سنوات قليلة عَمِدَتْ مصر إلى تسجيل تاريخ (أبو الهول) ومجد الفراعنة، وراحت ترسلها أصواتًا تحدث وتصور مفاخر الآباء والأجداد، وجاء السُّواح من كل مكان يستمعون إلى ذلك الكلام الفارغ إذا ما قيست بمجد الإسلام، وتاريخ الإسلام ورجال الإسلام في مختلف المجالات، ويريد الكاتب من هذا الكلام أنّ المسلمين أولى بتعظيم الآثار الإسلامية كغار حراء وغار ثور، وما ذكره الكاتب معهما آنفًا من تعظيم الإنجليز والألمان للفنانين المذكورين، ومن تعظيم المصريين لآثار الفراعنة، ثم يقترح الكاتب أن تقوم وزارة الحج والأوقاف بالتعاون مع وزارة المعارف على صيانة

هذه الآثار والاستفادة منها بالوسائل التالية:

١. كتابة تاريخ هذه الآثار بأسلوب عصري معبر عما تحمله هذه الآثار من ذكريات الإسلام ومجده عبر القرون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢. رسم خريطة أو خرائط لمواقع الآثار في كل مكة المكرمة والمدينة المنورة.

٣. إعادة بناء ما تهدم من هذه الآثار على شكل يغاير الأشكال القديمة، وتحلية البناء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لوحة كبرى يسجل بها تاريخ موجز للأثر وذكرياته بمختلف اللغات.

٤. إصلاح الطرق إلى هذه الآثار خاصة منها الجبلية كغار ثور وغار حراء، وتسهيل الصعود إليها بمصاعد كهربائية كالتي يصعد بها إلى جبال الأرز في لبنان مثلاً مقابل أجر معقول.

٥. تعيين قيِّم أو مرشد لكل أثر من طلبة العلم يتولى شرح تاريخ الأثر للزائرين، والمعاني السامية التي يمكن استلهامها منه بعيدًا عن الخرافات والبدع، أو الاستعانة بتسجيل ذلك على شريط يدار كلما لزمت الحاجة إليه.

٦. إدراج تاريخ هذه الآثار ضمن المقررات المدرسية على مختلف المراحل).

انتهى نقل المقصود من كلامه.

ولما كان تعظيم الآثار الإسلامية بالوسائل التي ذكرها الكاتب يخالف الأدلة الشرعية، وما درج عليه سلف الأمة، وأئمتها من عهد الصحابة ﷺ إلى أن مَضَتْ القرون المفضلة، ويترتب عليه مشابهة الكفار في تعظيم آثار عظمائهم، وغلو الجُهَّال في هذه الآثار، وإنفاق الأموال في غير وجهها ظنًا من المنفق أن زيارة هذه الآثار من الأمور الشرعية، وهي في الحقيقة من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، ومن مشابهة اليهود والنصارى في تعظيم آثار أنبيائهم وصالحيهم

واتخاذها معابد، ومزارات رأيت أن أعلق على هذا المقال بما يوضِّح الحق ويكشف اللبس بالأدلة الشرعية، والآثار السلفية، وأن أفصِّل القول فيها يحتاج إلى تفصيل، لأنّ التفصيل في مقام الاشتباه من أهم المهمات، ومن خير الوسائل لإيضاح الحق، عملاً بقول الرسول ﷺ: "الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" فأقول والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به:

قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وفي لفظ لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ قال كان رسول الله يقول في خطبته يوم الجمعة: "أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهذه الآثار التي ذكرها الكاتب كغار حراء، وغار ثور وبيت النبي ﷺ ودار الأرقم بن أبي الأرقم، ومحل بيعة الرضوان، وأشباهها إذا عُظِّمت وعُبِّدَت طرقها وعُمِلَتْ لها المصاعد واللوحات لا تزار كما تزار آثار الفراعنة، وآثار عظماء الكفرة، وإنما تزار للتعبد والتقرب إلى الله بذلك، وبذلك نكون بهذه الإجراءات قد أحدثنا في الدين ما ليس منه، وشرعنا للناس ما لم يأذن به الله وهذا هو نفس المنكر الذي حذر منه الله ﷻ منه في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وحذر منه النبي ﷺ بقوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وبقوله ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن!"، ولو كان

تعظيم الآثار بالوسائل التي ذكرها الكاتب وأشباهها مما يحبه الله ورسوله لأمر به ﷺ أو فعله، أو فعله أصحابه الكرام ﷺ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الدين بل هو من المحدثات التي حذر منها النبي ﷺ، وحذر منها أصحابه ﷺ، وقد ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه أنكر تتبع آثار الأنبياء، وأمر بقطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها في الحديبية لما قيل له إنَّ بعض الناس يقصدها حمايةً لجناب التوحيد وحسمًا لوسائل الشرك والبدع والخرافات الجاهلية، وأنا أنقل أيها القارئ ما ذكره بعض أهل العلم في هذا الباب لتكون على بينة من الأمر: قال الإمام أبوبكر محمد بن الوليد الطرطوشي في كتابة (الحوادث والبدع) صفحة (١٣٥): (فصل في جوامع البدع) ثم قال: (وقال المعرور بن سويد: خرجنا حجاجًا مع عمر بن الخطاب ﷺ فلقينا مسجدًا فجعل الناس يصلون فيه، قال عمر: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم باتباع مثل هذا حتى اتخذوها بِيَعًا، فمن عرضت له فيها صلاة فليصل ومن لم تعرض له صلاة فليمض)، ثم نقل في صفحة (١٤١) عن محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم.

ثم قال ابن وضَّاح: (وكان مالك، وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد، ودخل سفيان بيت المقدس وصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يقتدى به، ثم قال ابن وضاح: فكم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرًا عند من مضى، وكم من متحبب إلى الله بما يبغضه الله عليه ومتقرب إلى الله بما يبعده منه). انتهى كلامه رحمه الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في صفحة(١٣٣) من جزء(٢٦) من مجموع الفتاوى ما نصه: (وأما صعود الجبل الذي بعرفة، ويسمى جبل الرحمة فليس سنة، وكذلك القُبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم لا يستحب دخولها ولاالصلاة فيها، والطواف بها من الكبائر، وكذلك المساجد التي عند الجمرات لايستحب دخول شيء منها ولا الصلاة فيها؛ وأمَّا الطواف بها، أو بالصخرات، أو بحجرة النبي ﷺ، وما كان غير البيت العتيق فهو من أعظم البدع المحرمة).

وقال في صفحة (١٤٤) من الجزء المذكور: (وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا، وما في سفح أبي قبيس، ونحو ذلك من المساجد التي بُنِيَت على آثار النبي ﷺ وأصحابه كمسجد المولد وغيره، فليس قصد شيء من ذلك من السنة، ولا استحبه أحد من الأئمة، وإنّما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة، والمشاعر عرفة ومزدلفة ومنى والصفا والمروة، وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى، مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال إنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك، فإنه ليس من سنة رسول الله ﷺ زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة، وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال إنها من الآثار لم يشرع النبي ﷺ زيارة شيء من ذلك).

وقال في صفحة (١٣٤) من الجزء (٢٧) من المجموع المذكور:(فصل: وأما قول السائل هل يجوز تعظيم مكان فيه خلوق وزعفران لكون النبي ﷺ رؤى عنده؟ فيقال بل تعظيم مثل هذه الأمكنة، واتخاذها مساجد ومزارات لأجل ذلك هو من أعمال أهل الكتاب الذين نهينا عن التشبه بهم فيها، وقد ثَبتَ أنَّ عمر بن

الخطاب ﷺ كان في السفر فرأى قوما يبتدرون مكانًا فقال: ما هذا؟ فقالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال: ومكان صلى فيه رسول الله ﷺ، أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض، وهذا قاله عمر بحضرة من الصحابة ﷺ، ومن المعلوم أنّ النبي ﷺ كان يصلي في أسفاره في مواضع، وكان المؤمنون يرونه في المنام في المواضع، وما اتخذ السلف شيئًا من ذلك مسجدًا ولا مزارًا، ولو فُتِح هذا الباب لصار كثير من ديار المسلمين أو أكثرها مساجد ومزارات، فإنهم لا يزالون يرون النبي ﷺ في المنام وقد جاء إلى بيوتهم، ومنهم من يراه مرارًا كثيرة، وتخليق هذه الأمكنة بدعة مكروهة إلى أن قال: ولم يأمر الله أن يتخذ مقام نبي من الأنبياء مصلى إلا مقام إبراهيم بقوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، كما أنَّه لم يأمر بالاستلام والتقبيل لحجر من الحجارة إلا الحجر الأسود، ولا بالصلاة إلى بيت إلا البيت الحرام، ولا يجوز أن يقاس غير ذلك عليه باتفاق المسلمين بل ذلك بمنزلة من جعل للناس حجًا إلى غير البيت العتيق، أو صيام شهر مفروض غير صيام رمضان، وأمثال ذلك، ثمَّ قال: وقد تبين الجواب في سائر المسائل المذكورة بأنْ قصد الصلاة والدعاء عندما يقال أنه قدم نبي أو أثر نبي أو قبر بعض الصحابة أو بعض الشيوخ أو بعض أهل البيت أو الأبراج أو الغيران من البدع المحدثة المنكرة في الإسلام لم يشرع ذلك رسول الله ﷺ، ولا كان السابقون الأولون والتابعون لهم بإحسان يفعلونه، ولا استحبه أحدٌ من أئمة المسلمين بل هو من أسباب الشرك وذرائعه)، والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الجواب، ثمَّ قال في صفحة (٥٠٠) من الجزء المذكور: (ولم يكن أحدٌ من الصحابة بعد الإسلام يذهب إلى غار حرام ولا يتحرى مثل ذلك فإنه لا يشرع لنا بعد الإسلام أن نقصد غِيَران الجبال ولا نختلي فيها.. إلى أن

قال: وأما قصد التخلي في كهوف الجبال وغيرانها، والسّفر إلى الجبل للبركة مثل جبل الطور، وجبل ثور، أو نحو ذلك، فهذا ليس بمشروع لنا بل قد قال ﷺ: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد") انتهى كلامه رحمه الله.

وقال ابن القيم رحمه الله في (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) صفحة (٢٠٤) بعد كلام له سبق في التحذير من قصد القبور للتبرك بها، والدعاء عندها: (وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير فروي غير واحد عن المعرور بن سويد قال: صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريق مكة صلاة الصبح ثم رأى النّاس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وَبِيْعا فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمش، ولا يتعمَّدها، وكذلك أرسل عمر رضي الله عنه أيضا فقطع الشجرة التي بايع تحتها أصحاب رسول الله ﷺ) انتهى كلامه رحمه الله.

وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير لا نحب أن نطيل على القارئ بنقله، ولعل فيما نقلناه كفاية ومقنعًا لطالب الحق.. إذا عرفت ما تقدم من الأدلة الشرعية وكلام أهل العلم في هذا الباب علمت أن ما دعا إليه الكاتب المذكور من تعظيم الآثار الإسلامية، كغار ثور، ومحل بيعة الرضوان، وأشباهها، وتعمير ما تهدَّم منها، والدعوة إلى تعبيد الطرق إليها، واتخاذ المصاعد لما كان مرتفعا منها كالغارين المذكورين، واتخاذ الجميع مزارات، ووضع لوحات عليها، وتعيين مرشدين للزائرين ـ كل ذلك مخالف للشريعة الإسلامية التي جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وسد ذرائع الشرك والبدع وحسم الوسائل المفضية إليها، وعرفت أيضا أنَّ البدع وذرائع الشرك يجب النهي عنها

ولو حسن قصد فاعلها، أو الداعي إليها لما تقضي إليه من الفساد العظيم وتغيير معالم الدين وإحداث معابد ومزارات وعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ. وقد قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، فكل شيء لم يكن مشروعا في عهده ﷺ وعهد أصحابه ﷺ لا يمكن أن مشروعًا بعد ذلك، ولو فتح هذا الباب لفسد أمر الدين ودخل فيه ما ليس منه، وأشبه المسلمون في ذلك ما كان عليه اليهود والنصارى من التلاعب بالأديان، وتغييرها على حسب أهوائهم واستحساناتهم وأغراضهم المتنوعة، ولهذا قال الإمام مالك بن أنس أمام دار الهجرة في زمانه ﷺ كلمة عظيمة وافقه عليها أهل العلم قاطبة، وهي قوله: (لن يُصلِحَ آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها)، ومراده بذلك أنَّ الذي أصلح أولها هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والسير على تعاليمهما، والحذر مما خالفهما، ولنْ يصلح آخر هذه الأمة إلا هذا الأمر الذي صلح به أولها. ولقد صدق في ذلك ﷺ فإن الناس لما غيروا وبدلوا واعتنقوا البدع وأحدثوا الطرق المختلفة تفرقوا في دينهم، والتبس عليهم أمرهم وصار كل حزب بما لديهم فرحون وطمع فيهم الأعداء، واستغلوا فرصة الاختلاف وضعف الدين، واختلاف المقاصد، وتعصب كل طائفة لما أحدثته من الطرق المضلة، والبدع المنكرة حتى آلت حال المسلمين إلى ما هو معلوم الآن من الضعف والاختلاف وتداعي الأمم عليهم.

فالواجب على أهل الإسلام جميعًا هو الرجوع إلى دينهم والتمسك بتعاليمه السمحة وأحكامه العادلة، وأخذها من منبعها الصافي: الكتاب العزيز والسنة الصحيحة المطهرة، والتواصي بذلك، والتكاتف على تحقيقه في جميع المجالات التشريعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك، والحذر كل الحذر من كل ما يخالف ذلك أو يفضي إلى التباسه أو التشكيك فيه، وبذلك ترجع إلى

المسلمين عزتهم المسلوبة، ويرجع إليهم مجدهم الأثيل وينصرهم الله على أعدائهم ويمكن لهم في الأرض كما قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وأما اقتراح الكاتب إدراج تاريخ هذه الآثار ضمن المقررات المدرسية على مختلف المراحل فهذا حق، ولا مانع منه إذا كان ذلك على سبيل الدعوة إلى التأسي برسول الله ﷺ فيما أصابه من المشاق، والأذى الشديد في سبيل الدعوة إلى الحق، والتذكير بأحواله ﷺ في بيته، وفي دار الأرقم، وفي غار ثور وحراء، والاستفادة من الآيات والمعجزات التي حصلت في غار ثور، في مكة المكرمة، وفي طريق الهجرة، وفي المدينة المنورة، وكون الله سبحانه حماه من مكائد أعدائه في جميع مراحل الدعوة، لا شك أنّ التحدث عن هذه الأمور، وما فيها من العبر والمعجزات، والدالة على صدق رسول الله ﷺ فيما دعا إليه، والشهادة له بأنه رسول الله حقًا، وما أيده الله به من الآيات والمعجزات كل ذلك مما يقوى الإيمان في القلوب، ويشرح صدور المسلمين، ويحفزهم إلى التأسي برسول الله ﷺ والسير على منهاجه، والصبر على دعوته، وتحمل ما قد يعرض للمسلم ولا سيما الداعية إلى الحق من أنواع المشاق والمتاعب، ولقد أدرك علماء المسلمين هذه المعاني الجليلة، وصنفوا

فيها الكتب، والرسائل وذكروها في المقررات المدرسية على اختلاف أنواعها ومراحلها، ولا ريب أنه ينبغي للمسئولين عن التعليم في جميع البلاد الإسلامية أن يعنوا بهذا الأمر، وأن يعطوه ما يستحقه من إيضاح وتفصيل حتى تكون ناشئة المسلمين على غاية من البصيرة بما كان عليه نبيهم وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ من الأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة والجهاد الطويل والصبر العظيم حتى لحق بربه وصار إلى الرفيق الأعلى عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.. والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يوفقهم وقادتهم للتمسك بدين الله والاستقامة عليه وتحكيمه، والتحاكم إليه، والسير على منهاجه القويم الذي ارتضاه لعباده وتركهم عليه نبيه محمد ﷺ، وسار عليه صحابته الكرام، وأتباعهم بإحسان، إنه على كل شيء قدير؛ وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [١/ ٤٠٠-٤١٠].

كلمة لسماحة الشيخ
بعنوان: حكم الإحداد على الملوك والزعماء[١]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فقد جرى عادة الكثير من الدول الإسلامية في هذا العصر بالأمر بالإحداد على من يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام، أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية وتنكيس الأعلام، ولا شك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية، وفيه تشبه بأعداء الإسلام، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى عن الإحداد وتحذر منه إلا في حق الزوجة، فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشرا، كما جاءت الرخصة عنه ﷺ للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل، أما ما سوى ذلك من الإحداد، فهو ممنوع شرعًا، وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما، وقد مات في حياة النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وبناته الثلاث، وأعيان آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام، وقُتِل في زمانه أمراء جيش مؤتة: زيد بن حارث وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم فلم يحد عليهم، ثم توفى النبي ﷺ وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم، والمصيبة بموته أعظم المصايب ولم يحد عليه الصحابة رضي الله عنهم، ثم مات أبوبكر الصديق رضي الله عنه وهو أفضل الصحابة، وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه، ثم قُتِل عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء وبعد أبي بكر الصديق فلم يحدوا عليهم، وهكذا مات الصحابة جميعًا فلم يحد عليهم التابعون، وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين ومن بعدهم؛ كسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي، وعمر ابن عبدالعزيز)).

(١) نشر هذا الموضوع في مجلة البحوث الإسلامية العدد التاسع الصادر للأشهر الربيعان والجماديان عام ١٤٠٤هـ.

الرد على الكاتب الصحفي مصطفى أمين [(١)]
في: دعوته لإحياء الآثار

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وبعد:

اطلعت على ما نشرته صحيفة الندوة في عددها الصادر في ٢٤/ ٦/ ١٣٨٠هـ، بعنوان: (آثار المدنية المنورة) بقلم الأخ مصطفى أمين، فلما تأملت المقال المشار إليه وجدته قد اشتمل على أخطاء كثيرة يجب التنبيه عليها؛ لئلا يغتر بها بعض القراء، والمقتضي لذلك قول النبي ﷺ: "الدين النصيحة" الحديث، وقوله ﷺ: "من رأى منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

وإليك أيها القارئ الأخطاء والحجة على إنكارها:

أولاً: قوله في المدينة: هذه المدينة المقدسة بها آثار كثيرة تستحق الذكرى، ونحن العرب لم نهتم بهذه الآثار بينما نشاهد العالم باريس ولندن بها من الآثار ما يجعل شعوبها تخلد هذه الذكرى، فما بالنا نحن المسلمين العرب لا نهتم بآثار العصور الماضية، إلى قوله وإنما يدعو الإسلام.. إلخ.

يدعونا الكاتب في هذا الكلمات إلى التشبه بباريس ولندن في تعظيم الآثار، وتخليد ذكراها بالأبنية وأشباهها، وهذا غريب، وعجيب أن يدعو مسلم إلى التشبه بأعداء الله، والرسول ﷺ يقول: "من تشبه بقوم فهو منهم" أيها القارئ إنَّ تعظيم الآثار لا يكون بالأبنية، والكتابات والتأسي بالكفرة، وإنما تعظيم الآثار يكون باتباع أهلها في أعمالهم المجيدة، وأخلاقهم الحميدة وجهادهم الصالح قولاً

(١) كاتب صحفي مصري أشرف على العديد من الصحف وله مقالات تدعو إلى تغريب المرأة المسلمة وكذلك الدعوة للأخذ بنمط الحياة الغربية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وهو من دعاة التقريب إلى الأديان.

وعملاً ودعوةً وصبرًا، هكذا كان السلف الصالح يعظِّمون آثار سلفهم الصالحين، وأما تعظيم الآثار بالأبنية والزخارف والكتابة ونحو ذلك فهو خلاف هدي السلف الصالح، وإنما ذلك سنة اليهود والنصارى ومن تشبه بهم، وهو من أعظم وسائل الشرك، وعبادة الأنبياء والأولياء كما يشهد به الواقع، وتدل عليه الأحاديث والآثار المعلومة في كتب السنة فتنبه واحذر نعم ينبغي للمسلمين أن يستعدوا لأعدائهم في إيجاد المصانع النافعة للمجتمع، واختراع الأسلحة المناسبة للعصر، لا تأسيًا بالكفرة، ولكنْ طاعةً لله ولرسوله، وتأسيًا بالسلف الصالح من الصحابة ﷺ، ومن سلك سبيلهم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقول النبي ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" الحديث، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أنه يجب على المسلمين أن يوجدوا بينهم من المصانع والأسلحة وأسباب العيش والحياة الكريمة ما يقوم بكفايتهم ويغنيهم عن الحاجة إلى غيرهم، ويعينهم على جهاد أعدائهم وحماية مصالحهم، والنصر لدينهم، هذا يا مصطفى أمين هو تعظيم الآثار لا ما أشرت إليه من الأبنية ونحوها والله المستعان.

ثانيًا: يقول الكاتب مصطفى أمين: والمعرفة لا تجعل التقوى في الضعف ولا في الخوف بل في العلم بسنة الكون والوقوف على أسراره، والاتصال بما دقَّ وجلَّ منه، إلخ، نعم لا ينبغي أن تجعل التقوى في الضعف والخوف، والتأخير عن ميادين الإصلاح والنفع الخاص والعام، والنظر في سنن الكون والتبصر في حكمة

الرب سبحانه فيما خلق وشرع بل يجب أن يكون أهل التقوى هم أشجع الناس على كل خير، وأكملهم عناية بكل إصلاح؛ لأن تقواهم لله سبحانه تقتضي منهم ذلك، ولكن كلام الكاتب يوهم أن التقوى تنحصر في العلم بسنة الكون، والوقوف على أسراره، والتأسي بمن بلغ في هذا الباب أقصى ما يمكنه من العناية، وليس الأمر كذلك. وإنما العلم بسنة الكون، والعناية بأسراره من التقوى، لا أنَّه كل التقوى؛ لأن التقوى عند علماء الشرع: فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، عن إيمان وصدق وإخلاص ومحبة ورغبة ورهبة، ومن ذلك العناية بالمصالح العامة، وإيجاد المصانع النافعة، والتأسي بمن سبقنا في هذا الميدان من السلف الصالحين والأئمة المتقين ولا حرج علينا في أن نأخذ مما وقف عليه غيرنا من أسرار الكون واكْتُشِف من العلوم النافعة الدنيوية التي لا تخالف الشرع المطهر، وإنما تُعين على حمايته من كيد أعدائه وتغني أهله عن الحاجة إلى الغير بل يجب ذلك ويتعين على أهل الإسلام لا تأسيًا بالكفار بل لأنّ دينهم الكامل يأمرهم بالحرص على ما ينفعهم، والحذر عن كل ما يضرهم كما تقدمت الأدلة على ذلك، وهؤلاء الكفار الذين بلغوا في الاختراع الغاية لم يزدهم ما وصلوا إليه من العلم إلا كفرًا وإلحادًا وهبوطًا من الأخلاق الفاضلة، وابتعادًا عن الأخلاق الكريمة، فلا ينبغي أن يُغْتَر بعلمهم، ولا أن يُقَلدوا في أخلاقهم وأزيائهم المخالفة لشرع الله، وإنما يؤخذ من علومهم ما ينفع وتدعو الحاجة إليه مع التقيد بتعاليم الشريعة والاستقامة على صراط الله المستقيم، والحذر من كل ما خالف ذلك، فتنبه أيها القارئ الكريم لهذا المقام العظيم تنج من ضلالات كثيرة وشبهات متنوعة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثًا: يقول الكاتب مصطفى أمين: فمن الواجب على الذين يزورون قبر

سيد الشهداء أن يلتمسوا فيه هذه الأسوة، وأن يعلموا أن الله يجزيهم بجهادهم لبلوغ الغاية منها ولا يجزيهم لمجرد الزيارة، والتبرك، والدعاء، إلى أن قال: وأسوة حمزة ﷺ هي الجهاد في سبيل الله له المثل الأعلى.. إلخ.

أقول: إن هذا الكلام فيه حق وباطل، فأما الحق فهو تشجيع زوار قبر حمزة ابن عبدالمطلب ﷺ وغيره من المؤمنين على تذكر أعمالهم المجيدة التي قاموا بها حين كانوا في قيد الحياة من الجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه، والعناية بالمصالح العامة، والتأسي بهم في ذلك، وهذا حق ينبغي لكل مسلم أن يتذكره كثيرًا، وأن يتأسي بأهله في سائر أطوار حياته حتى يعمل كأعمالهم، ويسير كسيرتهم حسب الطاقة[1]. وقوله: إن الله لا يجزي الزائر لمجرد الزيارة والتبرك والدعاء، وهذا بلا شك خطأ ظاهر ومخالف للأحاديث الصحيحة التي يقول بها النبي ﷺ: "زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة" وفي بعضها "وتزهد في الدنيا".

فالنصوص الواردة عن النبي ﷺ في هذا الباب تدل على أن مقصود الزيارة تذكر الآخرة، والزهد في الدنيا، والدعاء لأهل القبور من المسلمين بالعافية والمغفرة. والكاتب المذكور قد أعرض عن هذا ولم يرفع به رأسًا، وشجَّع على أمر آخر يؤخذ من نصوص أخرى، ولو جمع بين الأمرين لما فاته الصواب، وأما قصد الزائر القبور التبرك بها، فليس ذلك من دين الإسلام بل هو من أعمال أهل الجاهلية، ومن أخلاق عُبَّادِ الأوثان، فيجب الحذر منه، ونهي الزوار عنه، وقد ثبت في صحيح مسلم عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. وإنا

(١) وأما الباطل فهو ما يوهمه كلامه من حصر المقصود بالزيارة في التأسي بالمزور في أعماله الطيبة السالفة.

إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية" وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبور المدينة فقال: "السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر" فهذه سنة الرسول ﷺ في زيارة القبور وبيان المقصد منها، وأما التبرك بها والبناء عليها والكتابة عليها وقصدها للدعاء عندها فليس ذلك من سنته بل هو من سنة اليهود والنصارى وأهل الجاهلية، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعًا العافية من ذلك.

رابعًا: يقول الكاتب مصطفى أمين في أثناء كلامه: واتخذت بعض الأمم الإسلامية ملوكها أربابا، وجعلت من بعض الصالحين فيها أولياء اتخذتهم إلى الله زلفى، ولهؤلاء وأولئك بنيت القباب، وأقيمت عليها المساجد لا تقصد تخليد ذكراهم ليكون للذكرى في الأجيال أسوة ومثلا، بل قُصِد أن تكون القباب والمساجد محاريب لعبادتهم، والتوسل إلى الله، ولو أنهم أقاموا القبة أو المساجد للأسوة، وللذكرى لكان ذلك خيرًا.. إلخ

أقول: في هذا الكلام حق وباطل؛ أما الحق فهو إقرار الكاتب بوجود هذه البدع والمنكرات في بعض الأمم الإسلامية، وانتقاده اتخاذ تلك القباب والمساجد محاريب لعبادة الأموات والتوسل بهم، وهذا لا شك واقع، ومن زار البلدان المجاورة رأى ذلك عيانًا فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك، وأن يمنحهم الفقه في الدين الذي بعث الله به نبينا محمدًا ﷺ حتى يعرفوا أن هذه المحدثات حول القبور تخالف شرعه وتوقع في عبادة غير الله سبحانه كما هو الواقع، وأما الباطل الذي اشتمل عليه كلام الكاتب فهو تفصيله بين اتخاذ القباب والمساجد للعبادة والتوسل، وبين اتخاذها لتخليد الذكرى ففرق بين الأول والثاني. وهذا "التفصيل" ليس عليه دليل، بل النصوص من الكتاب

والسنة تخالفه، وتدل على أنه لا يجوز اتخاذ القباب والمساجد على القبور مطلقًا؛ لأنَّ اتخاذها لعبادة الأموات والتوسل بهم بالدعاء والاستغاثة ونحو ذلك شرك أكبر من جنس عمل الجاهلية الأولى حول اللات والعزى ومناة وأشباهها، واتخاذها للذكرى وسيلة قريبة وذريعة إلى الشرك بأهل القبور وعبادتهم مع الله سبحانه، ولهذا المعنى جاءت النصوص من الكتاب والسنة تنكر ذلك وتحذر منه، وتحسم وسائل الشرك. ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت عائشة رضي الله عنها: يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا، وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"، وفي صحيح مسلم أيضًا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: "نهى أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه" فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على تحريم اتخاذ المساجد والقباب على القبور، وأنَّ الرسول ﷺ حذر أمته من ذلك؛ لئلا يفعلوا فعل اليهود والنصارى من الغلو في تعظيم الأموات، واتخاذ قبورهم مساجد، والصلاة عندها والدعاء ونحو ذلك فيقعوا في الشرك، وعبادة الأنبياء والصالحين من دون الله كما وقع غيرهم، وهذا الذي خافه ﷺ قد وقع في أمته فعظموا الأموات من الأنبياء والصالحين التعظيم الذي لم يشرعه الله، وبنوا على قبورهم المساجد والقباب وصرفوا لهم الدعوات والرغبات حتى وقع الشرك المحذور، وحصل التأسي بعبَّاد القبور فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن ذلك ما ثبت في

الصحيحين من حديث أم سلمة، وأم حبيبة ﷺ أنهما رأتا في أرض الحبشة كنيسة يقال لها مارية وما فيها من الصور، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله" فبيَّن ﷺ أن بناة المساجد والقباب على القبور والمصورين فيها الصور هم شرار الخلق عند الله، ولعنهم في حديث عائشة ولم يفصل بين من بناها للعبادة أو لتخليد الذكرى، فعُلَم بذلك أن بناءها لا يجوز مطلقا وما ذلك إلا لكونها من أعظم وسائل الشرك، ومن أظهر أعلامه وشعائره، وهي سنة اليهود والنصارى التي نهينا عن اتباعها، وحذرنا من سلوكها كما في قوله ﷺ: "لتتبعين سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: "فمن؟"[(١)]، فهذا الخبر الصحيح يدل على أن هذه الأمة تسلك مسالك اليهود والنصارى في الشرك والبدع إلا من عصم الله من ذلك، وهم الطائفة المنصورة كما في الأحاديث الأخر، ويدل هذا الخبر أيضا على تحذير الأمة من اتباع سنن اليهود والنصارى؛ لأن اتباعهم يفضي بأهله إلى مخالفة الرسول ﷺ وقد أمر الله سبحانه في كتابه الكريم بطاعة الرسول ﷺ والحذر عما نهى عنه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ولا ريب أنه ﷺ دعا إلى كل خير، وحذَّر أمته من كل شر فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف سبيله أو يدعو إلى غير طريقة، ولا شك أن البناء على القبور، واتخاذ المساجد والقباب عليها من سبيل اليهود

(١) متفق عليه.

والنصارى، ومن وسائل الشرك والضلال مطلقًا فوجب تركها والحذر منها والله ولي التوفيق.

خامسًا: **يقول الكاتب مصطفى أمين**: وكذلك البقيع هذا الجزء الذي دفنوا فيه أزواج وعمات رسول الله ﷺ، وقبر إبراهيم وقبور الصحابة كان في الماضي بالقباب حتى جاءت الدولة الرشيدة وأزالت تلك القباب، ولكن تركت القبور كما هي، ويحضر إلى هذا البقيع مئات الألوف من زوار المسجد النبوي لزيارة أهل البقيع فلا يعرفون من فَضَّلهم الله على العباد أمثال زوجات رسول الله وابنه إبراهيم، وعشرات الصحابة فلو عملت إدارة الأوقاف على هذه القبور لوحات يكتب عليها اسم صاحب القبر، ويحاط أيضًا القبر بشبك من حديد، للتعرف عليه والسلام عليه ليس إلا... إلخ.

يدعو الكاتب في هذا الكلمات إدارة الأوقاف بالمدينة إلى عمل لوحات يكتب فيها أسماء المشهورين من المدفونين في البقيع وإلى إقامة شبك حديد على قبورهم للتعريف بهم.

أقول: قد يكون هذا الاقتراح من الكاتب عن حسن نية ومقصد صالح، ولكن الآراء والاستحسانات لا ينبغي للمؤمن الاعتماد عليها حتى يعرضها على الميزان العادل الذي يميز طيبها من خبيثها، ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولعل الكاتب حين كتب هذه الكلمة من أولها إلى أخرها لم يكن عنده علم بما جاء به السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ حول القبور، فلذلك وقعت منه الأخطاء السالفة، ووقع منه هذا الخطأ الأخير وهو: اقتراحه على إدارة الأوقاف ما تقدم ذكره، وقد سبق في الحديث الصحيح نهي الرسول ﷺ عن البناء على القبور، ولا

شك أن اتخاذ الشبابيك عليها نوع من البناء ووسيلة إلى الغلو فيهـا، والفتنـة بهـا، وهكذا الكتابة عليها هي من وسائل الغلو فيها واتخاذها أوثانا فإنّ بعض الجهـال إذا قراؤا أسماء المدفونين وعرفوا أنهم من المعظمين لعلـم أو عبـادة أو رئاسـة، أو لكونهم من أهل بيت النبي ﷺ أكبوا عليهم للتمسح بهم والتبرك بتربتهم كما يفعل الجهال في البلدان المجاورة بكثير من الموتى، وقد صح عـن رسـول الله ﷺ النهـي عن الكتابة على القبور، كما صح عنه النهي عن البناء عليها، وأن يـزاد عليهـا مـن غير ترابها، وأن تتخذ عليها المساجد والسرج كما سـلف الأحاديـث بـذلك، ومـا ذلك منه ﷺ إلا حماية لجناب التوحيد، وسدًا لطرق الشرك، وخوفًا على الأمة مـن الوقوع فيما وقع فيه من قبلهم من ضُلَّال اليهود والنصارى، وعبادة الأوثـان مـن شتى قبائل العرب فلقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونَصَح الأمة أبلغ نصيحة عليـه من ربه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، والمقصود مـن الزيـارة لأهـل البقيـع هـو الدعاء لهم بالعافية والمغفرة، والتذكير للآخرة بزيـارتهم كـما سـلف في أول هـذه الكلمة وذلك متيسر بحمد الله وإنّ لم يَعلم الزائر أسماءهم، وليس هناك حاجة إلى ما اقترحه هـذا الكاتـب مـن الكتابـة وإقامـة الـشبك، ولـو كـان في ذلـك خـيرٌ للمسلمين لكان السلف الصالح من الصحابة وأتباعم بإحـسان أسـبق إلى ذلـك وأولى بفعلـه مـن المتـأخرين؛ لأنهـم بالـشريعة أعلـم، وفي العمـل بهـا أرغـب، ولزوجات النبي ﷺ وغيرهم من أهـل البيـت أحـب وأغـير، فلـما تركـوا ذلـك واكتفوا بما كان عليه الحال في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين عُلِم أن أحدثـه الناس بعدهم في قبورهم من البناء والكتابة هو الباطل والغلـو المحـرم والحـدث المنكر فتنبه أيها القارئ لذلك، واحذر مـن شـبه المـشبهين وبـدع المبتـدعين، والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

وقد جاء بعد الرسول ﷺ دعاة الشرك من اليهود والنصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة يدعون الناس إلى خلاف ما دعاهم إليه الرسول ﷺ، وينشرون بينهم الأفكار الهدامة والدعايات المضللة عن قصد وعن غير قصد، فراج الباطل بسبب ذلك وخفي الحق على أكثر الخلق، وقل دعاة الهدى وأنصار الشريعة، وكثر بين الناس أدعياء العلم وأنصار الشرك ودعاة الرذيلة، فحسبنا الله ونعم الوكيل. ومن هنا يعلم القراء الصالحون، والعلماء المهتدون أن الواجب عليهم التشمير عن ساعد الجد في الدعوة إلى الإسلام الصافي من شوائب الشرك والبدع، ونشر محاسنه وأحكامه العادلة وأهدافه السامية وتعاليمه السمحة بين طبقات الأمة في المجتمعات والمحافل والصحف والنشرات، ومن طريق الخطابة والإذاعة ليتعلم الجاهل وينتبه الغافل ويتذكر الناسي ويقف المضلِّل عند حده فلا يكيد للإسلام وأحكام الشريعة بمرأى من أهل العلم ومسمع، ومتى شمر دعاة الإسلام لنصره في الدعوة إليه، ذل دعاة الشرك والإلحاد والبدع والأهواء، وخمدت نارهم وقبعوا في زوايا الخمول وابتعدوا عن منصات الخطابة ومنابر الصحافة، أو دخلوا في الحق وناصروا أهله لما سطع لهم نوره، وظهر لهم رشده، وأنزاح عن قلوبهم حجب الشبهات والجهالة، فما أوجب النصيحة لدين الإسلام على أهل الإسلام وما أعظم حقه عليهم، ولقد قام بهذا الواجب جم غفير من علماء الإسلام ودعاة الإصلاح في هذا العصر، وإني لأرجو لهم التوفيق والثبات ومزيد القوة والنشاط في الحق وهدم حصون الضلال وقلع أسس الباطل، وإني لأرى لزامًا على الذين لم يساهموا في هذا الميدان من القراء النابهين والعلماء المبرزين أن ينفضوا عنهم غبار الكسل وشبهة التواكل، وان يقتحموا الميدان بصدق وشجاعة وعلم وحلم حتى

ينصروا دينهم، ويحموا شريعتهم، ويهدوا الناس إليها ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم، ولهم بذلك مثل أجور أتباعهم إلى يوم القيامة كما قال الصادق الأمين ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا".

والله المسئول أن يهدينا وجميع إخواننا صراطه المستقيم، وأن يعيذنا جميعًا من طريق المغضوب عليه والضالين إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ [١/ ٣٩٠-٤٠٠]، وراجع الجامع الفريد [ص ٤٧٢/ ٤٩١]، ط١ عام ١٣٨٩هـ.

رد سماحة الشيخ على مجلة رابطة العلوم الإسلامية الأردنية بعنوان: التحذير من بناء المساجد على القبور والرد على دعوة لإحياء مسجد أهل الكهف

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد: فقد اطلَّعتُ على ما نُشر في العدد الثالث من مجلة رابطة العلوم الإسلامية في باب: "أخبار المسلمين في شهر".

إنّ رابطة العلوم الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية تنوي إشادة مسجد على الكهف الذي اكتشف حديثًا في قرية الرحيب، وهو الكهف الذي يقال إنَّ أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم رقدوا فيه انتهى.

ولواجب النصح لله ولعباده رأيت أن أوجِّه كلمة في المجلة نفسها لرابطة العلوم الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية مضمونها نصيحة الرابطة بعدم تنفيذ ما نوته من إشادة مسجد على الكهف المذكور، وما ذاك إلا لأنَّ إشادة المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وآثارهم مما جاءت الشريعة الإسلامية الكاملة بالمنع منه، والتحذير عنه ولَعْن من فعله؛ لكونه من وسائل الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين، والواقع شاهد بصحة ما جاءت به الشريعة، ودليلٌ على أنّها من عند الله عز وجل، وبرهان ساطع وحجة قاطعة على صدق رسول الله ﷺ، فيما جاء به عن الله وبلغه الأمة، وكل من تأمل أحوال العالم الإسلامي، وما حصل فيه من الشرك، والغلو بسبب إشادة المساجد على الأضرحة وتعظيمها وفرشها وتجميلها، واتخاذ السدنة لها علم يقينًا أنّها من وسائل الشرك، وأنَّ من محاسن

الشريعة الإسلامية المنع منها والتحذير من إشادتها، ومما ورد في ذلك ما رواه الشيخان البخاري ومسلم رحمة الله عليهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت عائشة يحذر ما صنعوا، قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

وفي الصحيحين أيضًا أن أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال ﷺ: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجد وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله"، وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرؤ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإنَّ الله قد اتخذني خليلاً كما اتَّخَذ إبراهيم خليلاً ولو كنتُ متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً إلا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد نص الأئمة من علماء المسلمين من جميع المذاهب الأربعة وغيرهم على النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، وحذَّروا من ذلك؛ عملاً بسنة الرسول ﷺ، ونصحًا للأمة وتحذيرًا لها أن تقع فيما وقع فيه من قبلها من غلاة اليهود والنصارى وأشباههم من ضلال هذه الأمة.

فالواجب على رابطة العلوم الإسلامية في الأردن، وعلى غيرها من المسلمين أن تأخذ بالسنة، وتسير على نهج الأئمة، وأن تحذر مما حذر الله ورسوله، وفي ذلك صلاح العباد وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة وقد تعلق بعض الناس في هذا الباب بقوله جل وعلا في قصة أهل الكهف: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ [الكهف: ٢١]، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الله سبحانه وتعالى

أخبر عن الرؤساء وأهل السيطرة في ذلك الزمان أنهم قالوا هذه المقالة، وليس ذلك على سبيل الرضا والتقرير لهم وإنما هو على سبيل الذم والعيب والتنفير من صنيعهم، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ الذي أنزلت عليه هذه الآية هو أعلم الناس بتأويلها قد نهى أمته عن اتخاذ المساجد على القبور، وحذرهم من ذلك، ولعن وذم من فعله، ولو كان ذلك جائزًا لما شدد رسول الله ﷺ في ذلك التشديد العظيم، وبالغ في ذلك حتى لعن من فعله، وأخبر أنه من شرار الخلق عند الله ﷻ، وهذا فيه كفاية ومقنع لطالب الحق، ولو فرضنا أن اتخاذ المساجد على القبور جائز لمن قبلنا لم يجز لنا التأسي بهم في ذلك؛ لأن شريعتنا ناسخة للشرائع قبلها ورسولنا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الرسل وشريعته كاملة عامة، وقد نهانا عن اتخاذ المساجد على القبور، فلم تجز لنا مخالفته، ووجب علينا اتباعه والتمسك بما جاء به وترك ما خالف ذلك من الشرائع القديمة، والعادات المستحسنة عند من فعلها؛ لأنه لا شرع أكمل من شرع الله ولا هدي أحسن من هدي رسول الله ﷺ.

والله المسئول أن يوفقنا والمسلمين جميعًا للثبات على دينه، والتمسك بشريعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأعمال، والظاهر والباطن، وفي سائر الشؤون حتى نلقى الله ﷻ إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [١/ ٤٢٢-٤٣٥].

كلمة لسماحة الشيخ

بعنوان: دفن الموتى في المساجد إحدى وسائل الشرك(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد اطلعت على صحيفة الخرطوم الصادرة في ١٧/ ٤/ ١٤١٥هـ، فألفيتها قد نُشر فيها بيان بدفن السيد محمد الحسن الإدريسي بجوار أبيه في مسجدهم بمدينة أم درمان... إلخ.

ولما أوجب الله من النصح للمسلمين، وبيان إنكار المنكر رأيت التنبيه على أن الدفن في المساجد أمر لا يجوز، بل هو من وسائل الشرك، ومن أعمال اليهود والنصارى التي ذمهم الله عليها، ولعنهم رسول الله ﷺ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، وفي صحيح مسلم، عن جندب بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك". والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين في كل مكان ـ حكومات وشعوبًا ـ أن يتقوا الله، وأن يحذروا ما نهى عنه، وأن يدفنوا موتاهم خارج المساجد، كما كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدفنون الموتى خارج المساجد وهكذا أتباعهم بإحسان.

وأما وجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مسجده ﷺ فليس به حجة على دفن الموتى في المساجد؛ لأنه ﷺ دفن في بيته ـ في بيت عائشة رضي الله عنها ثم

(١) نشرت في جريدة الجزيرة في العدد ٨٠٨٦، بتاريخ ١٥/ ٦/ ١٤١٥هـ.

دفن صاحباه معه، فلما وسع الوليد بن عبد الملك المسجد أدخل الحجرة فيه على رأس المائة الأولى من الهجرة، وقد أنكر عليه ذلك أهل العلم، ولكنه رأى أن ذلك لا يمنع من التوسعة، وأنَّ الأمر واضح لا يشتبه.

وبذلك يتضح لكل مسلم أنه ﷺ وصاحبيه ﭬ لم يدفنوا في المسجد، وإدخالهم فيه بسبب التوسعة ليس بحجة على جواز الدفن في المساجد؛ لأنهم ليسوا في المسجد، وإنما هم في بيته عليه الصلاة والسلام، ولأن عمل الوليد لا يصلح حجة لأحد في ذلك، وإنما الحجة في الكتاب والسنة، وفي إجماع سلف الأمة ﭭ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

وللنصح وبراءة الذمة جرى تحريره في ١٤/ ٥/ ١٤١٥هـ. والله ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه، وأتباعهم بإحسان.

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل العاشر
بعنوان
جهود سماحة الشيخ ابن باز في الرد على الانحرافات في قضية تغريب المرأة المسلمة وبعض القضايا الأخرى

واشتمل على:

١-مدخل تاريخي لقضية تغريب المرأة المسلمة مع نماذج من أقوال دعاة التغريب.

٢-تحذير وبيان من سماحة الشيخ عن مؤتمر بكين.

٣-ملاحظات حول قانون الأحوال الشخصية في بعض الدول الإسلامية.

٤-رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الأهرام القاهرية يدعو إلى خلع الحجاب.

٥-بيان من سماحة الشيخ حول توظيف النساء في الدوائر الحكومية.

٦-حكم الاختلاط في التعليم والرد على مدير جامعة صنعاء في دعوته للاختلاط في الدراسة.

٧-الاختلاط في الدارسة والرد على بعض الكتاب في دعوته للاختلاط.

٨-تحريم الدعوة إلى الاختلاط والرد على بعض الكتاب في دعوته للاختلاط بالدراسة.

٩-تعليق موجز على ما كتبه بعض الكتاب في مجلة اليمامة.

١٠-بيان من سماحة الشيخ بعنوان التحذير من مكائد الأعداء.

١١-حكم الأغاني في الإسلام الرد على بعض الصحف في دعوتها لترويج الأغاني المحرمة.

١٢-لا لهذه الرحلات والرد على بعض الصحف في دعوتها للسفر لرحلات بالخارج.

١٣-الرد على المفتي العام بالأردن في إباحة تحديد النسل.

١٤-حكم الإسلام في عيد الأم والأسرة والرد على بعض الكُتَّاب في دعوتهم للاحتفال بهذه الأعياد.

١٥-بيان من سماحة الشيخ بعنوان مع الصحف والإذاعة.

الفصل العاشر

بعنوان

جهود سماحة الشيخ ابن باز في الرد على الانحرافات في قضية تغريب المرأة المسلمة وبعض القضايا الأخرى

مدخل تاريخي لقضية تغريب المرأة المسلمة

تعرضت المرأة المسلمة في مطلع القرن الثالث عشر لمؤامرة كبرى بدأها أعداء الإسلام، من اليهود والنصارى والملحدين، وأتمها أدعياء التغريب من المنتسبين إلى الإسلام، وكانت الحملة شرسة ومركزة، شملت أحكام المرأة في الإسلام عامة، وحجاب المرأة خاصة، وبدأت هذه الحملة بأكذوبة كبرى أسماها أدعياء التغريب (تحرير المرأة) وهي في حقيقتها وجوهرها تغريب المرأة، لتسير على نمط المرأة الغربية، في زيها ولباسها، واختلاطها بالرجال، وسيرها في الطرقات متزينة، ومصاحبتها للأخدان، ولسنا نعرض في كتابنا لهذا الموضوع تفصيلا، ولكن وجدنا لزامًا علينا قبل الحديث عن جهود الشيخ عبدالعزيز بن باز في هذا المجال أن نلقي ملامح حول هذا الموضوع.

فنقول وبالله التوفيق: إنّ المتتبع لحركة ما يسمى بتحرير المرأة التي بدأت بواكيرها في مصر ثم امتدت إلى بلاد العالم الإسلامي يجد أنَّ جذور هذه الحركة تمتد إلى عهد محمد على باشا[1] والي مصر الذي انبهر وتأثر بالحضارة الفرنسية، فأرسل بعثة تعليمية إلى فرنسا، وقد رجع هؤلاء المبتعثون وقد رضعوا ألبان التغريب بعد أن بهرتهم رهبانية العلم المادي، رجعوا بأفكار دخيلة على المجتمع

---

(١) كان لهذا الرجل دور مشبوه في إدخال المدنية الغربية إلى بلاد المسلمين وكذلك كان له دور خطير في القضاء على الدعوة السلفية بنجد راجع واقعنا المعاصر [٢٠٥].

الإسلامي، وأُفسِح لهم المجال حتى احتلوا مكان الصدارة والتوجيه في شتى الميادين التربوية، والفكرية، والتعليمية.

وكان من رواد هذا الجيل التغريبي (رفاعة رافع الطهطاوي)[1]، وهو شيخ أزهري رافق البعثة كإمام ووعاظٍ، أقام في فرنسا خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) ورجع من فرنسا وقد استوحى أفكارا عن المرأة أبعد ما تكون عن الإسلام وآدابه، فدعا إلى سفور المرأة، ودعا إلى الاختلاط بين الجنسين وأنَّ هذا الاختلاط ليس من الفساد، بل هو من التمدن والحضارة.

ودعا إلى إنشاء المسارح والمراقص، ودعا المرأة إلى أن تتعلم حتى تتعاطى أشغال وأعمال الرجال، وقال: ((إن الرقص على الطريقة الأوربية المختلط بين الرجال والنساء ليس من الفسق في شيء))[2].

في عام (١٨٩٤) تجرأ صليبي حاقد يدعى (مرقص فهمي) وأصدر كتابا أسماه (المرأة في الشرق) دعا فيه إلى تحقيق أهداف منها:

- القضاء على الحجاب الإسلامي.
- إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب.
- تقيد الطلاق وإيجاب وقوعه أمام القاضي ومنع الزواج بأكثر من واحدة.
- إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

ثم تلقف هذه الدعوة الآثمة (تغريب المرأة المسلمة) من يسمونه زورا برائد الإصلاح في العصر الحديث (جمال الدين الأفغاني)[3]، وتلميذه محمد عبده فدعَوا

---

(١) راجع دور رفاعة الطهطاوي (عودة الحجاب) [٢٦/ ٢٧]، واقعنا المعاصر [٢٠٥]، المؤامرة على المرأة المسلمة [٣٨].

(٢) راجع الإسلام والحضارة الغربية [٣٦٦]، واقعنا المعاصر [٢٠٧].

(٣) راجع في دور الأفغاني ومحمد عبده (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام) ط/ دار طيبة، فهي دراسة جادة تكشف جوانب خطيرة من حياة الأفغاني وأتباعه وتلامذته.

إلى تغريب المرأة بصراحة ووضوح ثم تبنى هذه الدعوة الآثمة من يسمونه برائد تحرير المرأة، والحقيقة أنّه رائدة إفسادها (قاسم أمين) الذي تعلم في فرنسا وتأثر بالأفكار التغريبية، وأخمرها في رأسه حتى أفقدته وعيه، وكان تلميذًا لمحمد عبده، وصديقًا حميمًا لسعد زغلول.

فخرج على المجتمع المسلم بكتاب حشاه من زبالة أفكاره وما استوحاه من أسياده أسماه (تحرير المرأة) وقد تناول في كتابه أربع مسائل مهمة:

(الحجاب - اشتغال المرأة بالشؤون العامة - تعدد الزوجات - الطلاق).

قال الدكتور محمد محمد حسين ﷺ ردًا على قاسم أمين وأشياعه:

(هل تعلمون أنّ أحدًا من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله ﷺ، وفقهاء المسلمين... قد غفلوا جميعًا عن فهم نصوص دينهم حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الإنس في باريس من أمثال (قاسم أمين) فانتكس تفكيرهم بين معاهدهم ومباذلها... وذلك حين ذهبوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا العلم النافع الصالح من علومها، فضلوا الطريق وعادوا إلينا بغير الوجه الذي بعثوا به))[1] ثم أصدر الخبيث في جرأة كتاب أسماه (المرأة الجديدة) دعا فيه بجرأة ووقاحة إلى حرية المرأة المزعومة حتى وصل به الأمر أن دعا إلى إلغاء نظام الزواج، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة علاقة حرة، لا تخضع لنظام ولا يحدها لا شرع ولا دين قانون.

والمرأة الجديدة التي يقصدها عدو المرأة، وداعية التغريب هي المرأة الأوربية

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها [١٢١].

التي يريد أن تتحول المرأة المسلمة إلى مثل حالها وتتخذها مثلا وقدوة يقول: (وهذا التحول هو كل ما نقصد وغاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع، وأن تخطوا هذه الخطوة على سُلَّم الكمال، وأن تكون مثلها تحررا، فالبنات في سن العشرين، يتركن عائلاتهن متغيبات في السياحة متنقلات من بلاد إلى أخرى، لم يخطر على بال أحد أقاربهن أنّ وحدتهن تعرضهن إلى الخطر، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير الزوج، والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها، وأنّ تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها)(١).

انظر إلى الهدم الكامل لتشريعات الإسلام في مجال المرأة من دعوة تغريبية خبيثة من سفر المرأة متبرجة بدون ـ محرم ـ وتغيبها الأعوام ـ وإباحة أن تصاحب المرأة المتزوجة غير زوجها، وأن تسير وفق ذوقها لا رقيب عليها، ولا قوامة من رجل عليها.

ما أخبث دعوة هذا الرجل التي مازال المجتمع المسلم يتجرع الكؤوس من سمها، وما دعاة تغريب المرأة المعاصرين إلا من نتاج زبالة أفكاره، وكان لمحمد عبده دور كبير في دعم دعوة قاسم أمين التغريبية، وكذلك لسعد زغلول رئيس حزب الوفد المصري(٢)؛ فقد وقف معه حين حاربه علماء الأزهر، ونصره بما يملك من جاه وسلطة.

ثم قامت الحركات النسائية بدعم من دعاة التغريب في الشرق والغرب تنفخ في دعوة قاسم أمين، وقام ما يسمى بالاتحاد النسائي العربي عام (١٩٤٤م)، وحضر مؤتمر الاتحاد النسائي مندوبات من دعاة تغريب المرأة، من معظم الأقطار

---

(١) المرأة الجديدة [ص٧٥]، وأثار باحثة البادية [٢٧٤].

(٢) راجع في ذلك حصوننا مهددة من داخلها [١٢١]، الاتجاهات الوطنية [١/ ٢٨١].

العربية وكان من قراراته[1]:

١. المطالبة بمساواة المرأة بالرجل في الحقوق السياسية.

٢. تقييد حق الطلاق.

٣. تقييد تعدد الزوجات إلا بإذن من القضاء في حالة العقم أو المرض الغير قابل للشفاء.

٤. الجمع بين الجنسين في مرحلة الطفولة والتعليم الابتدائي.

٥. الحد من سلطة الولي أيا كان وجعلها مماثلة لسلطة الوصي.

ثم مات داعية تغريب المرأة قاسم أمين في الثالث والعشرين من أبريل ١٩٠٨م، وتسلم الراية من بعده من يسمى (أستاذ الجيل) لطفي السيد، وهو مفسد الجيل الذي سمح ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية بدخول الطالبات مختلطات بالطلاب سافرات الوجوه، هكذا فعل أستاذ التضليل وتآمر معه في هذه الخطوة من أسموه زورا بعميد الأدب العربي (طه حسين)[2]، ثم استلم الراية زعيم حزب الوفد العلماني صديق اللورد كرومر (سعد زغلول) صاحب ثورة ١٩١٩ الذي أمر برفع الحجاب ورفع الحجاب بيده في ميدان الإسماعيلية الذي سمي من وقتها بميدان التحرير عن وجوه النسوة، ومن يومها استجابت المرأة المصرية لرجل الوطنية[3] هذه هي أبرز ملامح تاريخ المرأة أوردناها بإيجاز، والتفصيل له مظانه.

---

(١) راجع الحركات النسائية في الشرق والغرب [٢٤]. كانت هذه المطالبات تناسب واقع العصر أما الآن فقد خطا دعاة التغريب خطوات مهمة في هذا المجال وأصبحت مطالبهم أكبر من ذلك بكثير راجع في ذلك (المؤامرة على المرأة المسلمة).

(٢) راجع في ذلك المرأة المصرية لدرية شفيق الدين [١٥٣].

(٣) راجع عودة الحجاب [١/ ٧٦-٨٦].

نماذج من أقوال دعاة التغريب في إفساد المرأة:

ولكي تكتمل الصورة للمؤامرة ننقل للقارئ نماذج من أقوال دعاة التغريب في مجال المرأة وإفسادها.

ـ تقول إحدى داعيات التغريب في مصر (أمينة السعيد) (هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تغطيهن تماما، وتجعلهن كالعفاريت، وهل لابد من تكفين البنات بالملابس وهنَّ على قيد الحياة، حتى لا يرى منهن شيء، وهنّ يسرن في الشارع)[١]، وتقول عن الحجاب الشرعي (عجبت لفتيات مثقفات، كيف يلبسن أكفان الموتى، وهن على قيد الحياة)[٢].

ـ ويقول أحد دعاة تغريب المرأة مهاجما نظام الزواج في الإسلام (إن نظام الزواج في وطننا العربي، هو نظام مضحك يدعوا إلى السخرية، مهر وعقد... مظاهر جوفاء تقتل فيها الإرادة وتقتل المشاعر الإنسانية)[٣].

ـ ويقول أحد دعاة تغريب المرأة (إحسان عبد القدوس) وهو صحفي مستغرب ساهم في إفساد المرأة والمجتمع المسلم (إني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها، وتذهب به إلى أبيها، وتقول هذا صديقي[٤]).

ـ يقول مصطفى أمين وهو صحفي متحرر ساهم في إفساد المرأة (حارب الأحرار في هذا البلد سنوات لتحصل المرأة على بعض حقها، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة إلى الوراء، وقد يحدث هذا في أي مكان، ولكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر)[٥].

---

(١) مجلة المصور ٢٢يناير ١٩٨٢م [ص٧٥].

(٢) راجع الولاء والبراء [ص٤٠٤] ط/ دار طيبة.

(٣) نقلا عن مجلة الجامعة الإسلامية [١٣٩٠-١٣٩٦] [ص١٢٨].

(٤) راجع مزيد من أقواله التغريبية وواقعنا المعاصر [٢٩٤-٢٩٥].

(٥) أخبار اليوم عدد ٥ نوفمبر ١٩٧٧.

ـ كتب الكاتب الصحفي مصطفى أمين محددا أهداف الحركة التغريبية (أن نشجع المرأة على المطالبة بحقوقها السياسية، وتولي الوظائف، وأن ترث كما يرث الرجل تمامًا)[1].

هذه نماذج من أقوال دعاة التغريب، وهي كثيرة لم نرد أن نستكثر منها لكفاية ما نقل للدلالة على المراد.

(١) الصحافة والأقلام المسمومة لأنور الجندي [ص٩٩].

من سماحة الشيخ
تحذير وبيان عن مؤتمر بكين للمرأة[١]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز ﷺ:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد نُشِر في وسائل الإعلام خبر انعقاد المؤتمر الدولي الرابع المعني بالمرأة، من ٩ إلى ٢٠/ ٤/ عام ١٤١٦هـ الموافق ٤/ ١٥سبتمبر عام ١٩٩٥م في بكين عاصمة الصين، واطلعت على الوثيقة المعدة لهذا المؤتمر المتضمنة (٣٦٢) مادة في (١٧٧) صفحة، وعلى ما نُشر من عدد من علماء بلدان العالم الإسلامي في بيان مخاطر هذا المؤتمر، وما ينجم عنه من شرور على البشرية عامة وعلى المسلمين خاصة، وتأكد لنا أن المؤتمر من واقع الوثيقة المذكورة هو امتداد لمؤتمر السكان والتنمية المنعقد في القاهر في شهر ربيع الثاني عام ١٤١٥هـ، وقد صدر بشأنه قرار هيئة كبار العلماء، وقرار المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، كلاهما برئاستي واشتراكي، وقد تضمن القراران إدانة المؤتمر المذكور بأنه مناقض لدين الإسلام ومحادة لله ورسوله ﷺ، لما فيه من نشر للإباحية وهتك المحرمات، وتحويل المجتمعات إلى قطعان بهيمية، وأنه تتعين مقاطعته.. إلى آخر ما تضمنه القراران المذكوران.

والآن يأتي هذا المؤتمر في نفس المسار والطريق الذي سار عليه المؤتمر المذكور، متضمنًا التركيز على مساواة المرأة بالرجل والقضاء جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة في كل شيء..، وقد اشتملت مسودة الوثيقة المقدمة من الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة على مبادئ كفرية، وأحكام ضالة في سبيل تحقيق ذلك منها:

---

(١) بيان صدر من مكتب سماحته.

الدعوة إلى إلغاء أي قوانين تميز بين الرجل والمرأة على أساس الدين، والدعوة إلى الإباحية باسم: الممارسة الجنسية المأمونة وتكوين الأسرة عن طريق الأفراد، وتثقيف الشباب والشابات بالأمور الجنسية، ومكافحة التمييز بين الرجل والمرأة، ودعوة الشباب والشابات إلى تحطيم هذه الفوارق القائمة على أساس الدين، وأن الدين عائق دون المساواة إلى آخر ما تضمنته الوثيقة من الكفر والضلال المبين، والكيد للإسلام وللمسلمين، بل للبشرية بأجمعها وسلخها من العفة، والحياء والكرامة.

لهذا فإنه يجب على ولاة أمر المسلمين، ومن بسط الله يده على أي من أمورهم أن يقاطعوا هذا المؤتمر، وأن يتخذوا التدابير اللازمة لمنع هذه الشرور عن المسلمين، وأن يقفوا صفًا واحدًا في وجه هذا الغزو الفاجر، وعلى المسلمين أخذ الحيطة والحذر من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

نسأل الله ﷻ، أن يرد كيد الأعداء إلى نحورهم، وأن يبطل عملهم هذا، وأن يوفق المسلمين وولاة أمرهم إلى ما فيه صلاحهم، وصلاح أهليهم رجالاً ونساء، وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي
بمكة المكرمة والمفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٩/ ٢٠٢-٢٠٤].

ملاحظات تتعلق بما نشر حول مشروع قانون الأحوال الشخصية في بعض الدول الإسلامية(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد نَشرتْ صحيفة الرياض بعددها الصادر برقم ٤٩٧٤ خبر بعنوان: (مشروع قانون الأحوال الشخصية في الإمارات) وقد تضمن الخبر أن المشروع مستمد من الشريعة الإسلامية كما ورد فيه (فبالنسبة لعقود الزواج يشترط مشروع القانون ألا يقل عمر الفتى عن ثمانية عشر عامًا، وعمر الفتاة عن ستة عشر عامًا، ويفرض غرامة على كل من يخالف هذا الشرط لا تقل عن ألف درهم ولا تزيد عن خمسة آلاف درهم إلا إذا رأت المحكمة مبررًا مثل: (ستر العرض) كما لا يجوز بالنسبة لمن تجاوز الستين عامًا عقد زواج إلا بإذن المحكمة خاصة عندما يكون فارق السن بين الطرفين يتجاوز نصف عمر الأكبر منهما).

ولما كان ذلك يخالف ما شرعه الله جل وعلا أحببت التنبيه لبيان الحق، فالسن في الزواج لم يقيد بحد معين لا في الكبر ولا في الصغر، والكتاب والسنة يدلان على ذلك؛ لأن فيهما الحث على الزواج والترغيب فيه من دون تقييد بسن معينة قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، فأجاز نكاح اليتيمة، وهي التي لم تبلغ سن البلوغ وأعلاه خمسة عشر عامًا على الأرجح وقد تبلغ بأقل من ذلك بغير السن، وقال

---

(١) نشرت في مجلة الدعوة العدد [٨٢٨] بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٠٢هـ.

ﷺ: "تستأذن اليتيمة في نفسها فإن سكتت فهو إذنها"، وقد تزوج النبي ﷺ عائشة ﵂ ولها ست أو سبع سنين، ودخل بها وهي ابنة تسع، وفعلُه تشريعٌ لهذه الأمة كما أنَّ الصحابة ﵃ كانوا يتزوجون في الصغر وفي الكبر دون تحديد سن معينة، فليس لأحدٍ أن يشرّع غير ما شرعه الله ورسوله ولا أن يغيّر ما شرعه الله ورسوله؛ لأن فيه الكفاية، ومن رأي خلاف ذلك فقد ظلم نفسه، وشرّع للناس ما لم يأذن به الله، وقد قال ﷻ ذامًّا لهذا الصنف من الناس: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد"[1]. وفي رواية مسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". وعلقه البخاري في الصحيح جازمًا به.

وإنني أذكِّر القائمين على هذا الأمر بقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فما يصيب الأمة أو الأفراد من فتن، أو صد عن سبيل الله أو أوبئة وحروب أو غير ذلك من أنواع البلاء فأسبابه ما كسبه العباد من أنواع المخالفات لشرع الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقد بين جل وعلا ما حصل لبعض الأمم السابقة من العذاب والهلاك بسبب مخالفتهم لأمرهم لينتبه العاقل ويأخذ من ذلك عظة وعبرة.

ولا يكفي دعوى الأخذ من الشريعة الإسلامية إذا وُجد ما يخالفها، فقد عاب الله جلا وعلا ذلك على اليهود حيث قال سبحانه: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

(١) متفق عليه.

ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

كما أذكِّر العلماء بتقوى الله جل وعلا، وأداء ما وجب عليهم من النصح لولاة الأمر ببيان الحق والدعوة لاتباعه والتحذير من مخالفته، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]، وفقنا الله جميعًا لقول الحق وقبوله والعمل به، وجمع شمل المسلمين على الهدى، وتحكيم شرعه المطهر في كل شيء إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤/ ١٢٦-١٢٨].

رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الأهرام القاهرية يدعو إلى خلع الحجاب بعنوان: مشروعية الحجاب

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد اطلعت على ما كتبه المدعو: أحمد بهاء الدين(١) في بعض الصحف وما يدَّعيه من تحليل لما حرمه الله، وخاصة ما نشره في زاوية (يوميات) في جريدة الأهرام في الأعداد (٣٦٩٩٢) و(٣٦٩٩٣) و (٣٦٩٩٤) و(٣٦٩٩٦) من تحامله على الحجاب والنقاب، والدعوة إلى السفور، واعتبار الحجاب بدعة من البدع، واعتباره أنه من الزي، والزي مسألة تتعلق بالحرية الشخصية، وأنَّ النساء كن يلبسن النقاب كتقليد متوارث، وأنَّ الإسلام لم يأمر به ولم يشر إليه، وأن النساء كن يجالسن النبي ﷺ سافرات، ويعملن في التجارة والرعي والحرب سافرات، وأنَّ العهد ظل كذلك طيلة عهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية والعباسية، وأنه عندما اعتنق الأتراك الإسلام دخلوا بعاداتهم غير الإسلامية الموروثة عن قبائلهم مثل البرقع واليشمك، وفرضوها على العرب المسلمين فرضا... إلى آخر ما كتبه لإباحة السفور، وإنكار الحجاب، وغير ذلك من الأباطيل، والافتراءات وتحريف الأدلة وصرفها عن مدلولها الحقيقي.

ومن المعلوم أنَّ الدعوة إلى سفور المرأة عن وجهها دعوة باطلة، ومنكرة

(١) كاتب صحفي مصري له عمود يومي بصحيفة الأهرام القاهرية بعنوان (يوميات) اتجه إلى الاشتراكية حينا ودعا إليها وتحول إلى الليبرالية العلمانية وركز مقالاته على الهجوم على الشريعة وثوابتها ودعا إلى تغريب المرأة المسلمة .

شرعًا وعقلاً، ومناهضة للدين الإسلامي ومعادية له.

والمسلم مدعو إلى كل ما من شأنه أن يزيد في حسناته، ويقلل من سيئاته سرًا وجهرًا في كل أقواله وأفعاله، وأن يبتعد عن وسائل الفتنة ومزاولة أسبابها وغاياتها.

والعلماء مدعوون إلى نشر الخير وتعليمه بكل مسمياته، سواء في ذلك العبادات والمعاملات والآداب الشرعية فردية كانت أو جماعية.

ودعاة السفور المروجون له يدعون إلى ذلك؛ إما عن جهل وغفلة وعدم معرفة لعواقبه الوخيمة، وإما عن خبث نية وسوء طوية لا يعبئون بالأخلاق الفاضلة ولا يقيمون لها وزنا، وقد يكون عن عداوة وبغضاء كما يفعل العملاء والأجراء من الخونة والأعداء فهم يعملون لهذه المفسدة العظيمة والجائحة الخطيرة ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، جماعة وأفرادًا، إنهم يدعون إلى تحرير المرأة من الفضيلة والشرف والحياء والعفة إلى الدناءة والخسة والرذيلة وعدم الحياء.

والواجب الابتعاد عن مواقف الشر ومصائد الشيطان عملاً وقولاً باللسان والجنان.

وعلى المسلم الذي يوجِّه الناس أن يدعوهم إلى طريق الهدى والرشاد، ويقربهم من مواقف العصمة ويبعدهم عن الفتنة ومواقف التهم ليكون بذلك عالمًا ربانيًا. فقد روي عن على بن أبي طالب ﷺ أنه قال لكميل ابن زياد في وصيته له: (يا كميل: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع لا خير فيهم أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح مرسلة لا يهتدون بنور العلم ولا يلجئون إلى ركن وثيق).

والدعوة إلى السفور، ورفض الحجاب دعوة لا تعود على المسلمين ذكورهم

وإناثهم بخير في دينهم ولا دنياهم، بل تعود عليهم بالشر والفجور وكل ما يكرهه الله ويأباه، فالحكمة والخير للمسلمين جميعًا في الحجاب لا السفور في حال من الأحوال، وبما أنَّ أصل الحجاب عبادة لأمر الإسلام ونهيه عن ضده في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله.

فهو أيضًا وقاية؛ لأنه يساعد على غض البصر الذي أمر الله ﷻ بغضه ويساعد على قطع أطماع الفسقة الذين في قلوبهم مرض، ويُبعد المرأة عن مخالطة الرجال ومداخلتهم، كما أنه يساعد على ستر العورات التي تثير في النفوس كوامن الشهوات.

والتبرج ليس تحررًا من الحجاب فقط بل هو العياذ بالله تحرر من الالتزام بشرع الله وخروج على تعاليمه ودعوة للرذيلة، والحكمة الأساسية في حجاب المرأة هي درء الفتنة، فإنَّ مباشرة أسباب الفتنة ودواعيها وكل وسيلة توقع فيها؛ من المحرمات الشرعية، ومعلوم أن تغطية المرأة لوجهها ومفاتنها أمر واجب دل على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

فمن أدلة الحجاب وتحريم السفور من الكتاب قوله ﷻ:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

فجاء في هذه الآية الكريمة ما يدل على وجوب الحجاب وتحريم السفور في موضعين منها:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وهذا يدل على النهي عن جميع الإبداء لشيء من الزينة إلا ما استثني، وهو ملابسها الظاهرة، وما خرج بدون قصد ويدل على ذلك التأكيد منه ﷻ بتكريره النهي عن إبداء الزينة في نفس الآية.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، فهو صريح في إدناء الخمار من الرأس إلى الصدر؛ لأنَّ الوجه من الرأس الذي يجب تخميره عقلاً وشرعًا وعرفًا، ولا يوجد أي دليل يدل على إخراج الوجه من مسمى الرأس في لغة العرب، كما لم يأت نص على إخراجه أو استثنائه بمنطوق القرآن والسنة، ولا بمفهومها واستثناء بعضهم له، وزعمهم بأنه غير مقصود في عموم التخمير مردود بالمفهوم الشرعي واللغوي، ومدفوع بأقوال بقية علماء السلف والخلف، كما هو مردود بقاعدتين أوضحها علماء الأصول ومصطلح الحديث.

إحداهما: أنَّ حجة الإثبات مقدمة على حجة النفي.

والثانية: أنه إذا تعارض مبيح وحاظر قدم الحاظر على المبيح.

ولما كان الله ﷻ يعلم ما في المرأة من وسائل الفتنة المتعددة للرجل أمرها بستر هذه الوسائل حتى لا تكون سببًا للفتنة فيطمع بها الذي في قلبه مرض.

والزّينة المنهي عن إبدائها: اسم جامع لكل ما يحبه الرجل من المرأة، ويدعوه للنظر إليها سواء في ذلك الزينة الأصلية، أو المكتسبة التي هي كل شيء تحدثه في بدنها تجملا وتزينا.

وأما الزِّينة الأصلية: فإنّها هي الثابتة كالوجه والشعر، وما كان من مواضع الزينة كاليدين والرجلين والنحر وما إلى ذلك، وإذا كان الوجه أصل الزينة، وهو بلا نزاع القاعدة الأساسية للفتنة بالمرأة، بل هو المورد والمصدر لشهوة الرجال، فإن تحريم إبدائه آكد من تحريم كل زينة تحدثها المرأة في بدنها.

قال القرطبي في تفسيره: الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة:

فالخلقية: وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة لما فيه من المنافع وطرق العلوم.

وأما الزينة المكتسبة: فهي ما تحاول المرأة في تحسين خلقتها به، كالثياب والحلي والكحل والخضاب. أ.هـ.

وقال البيضاوي في تفسيره: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ كالحلي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تُبدى له. أ.هـ.

فإذا كان الوجه هو أصل الزينة بلا نزاع في النقل والعقل، فإنَّ الله جلت قدرته حرّم على المرأة إبداء شيء من زينتها، وهذا عموم لا مُخصصَ له من الكتاب والسنة، ولا يجوز تخصيصه بقول فلان أو فلان، فأي قول من أقوال الناس يخصص هذا العموم فهو مرفوض؛ لأن عموم القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يجوز تخصيصه بأقوال البشر، ولا يجوز تخصيصه عن طريق الاحتمالات الظنية، أو الاجتهادات الفردية، فلا يخصص عموم القرآن إلا بالقرآن الكريم، أو بما ثبت من السنة المطهرة، أو بإجماع سلف الأمة، ولذلك نقول: كيف يسوغ تحريم الفرع وهو الزينة المكتسبة، وإباحة الأصل وهو الوجه الذي هو الزينة الأساسية.

والمراد بقوله جل وعلا: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ كما قال بذلك ابن مسعود ﷺ،

وجمع من علماء السلف من المفسرين وغيرهم، (ما لا يمكن إخفاءه) كالرداء والثوب وما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها، وما يبدو من أسافل الثياب وما قد يظهر من غير قصد، كما تقدمت الإشارة لذلك، فالمرأة منهية من أن تبدي شيئًا من زينتها ومأمورة بأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة.

وحينما نهى ﷻ المرأة عن إبداء شيء من زينتها إلا ما ظهر منها، علّمها ﷻ كيف تحيط مواضع الزينة بلف الخمار الذي تضعه على رأسها فقال: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ يعني من الرأس وأعالي الوجه ﴿ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ يعني الصدر حتى تكون بذلك قد حفظت الرأس وما حوى والصدر من تحته وما بين ذلك من الرقبة وما حولها لتضمن المرأة بذلك ستر الزينة الأصلية والفرعية.

وفي قوله تعالى أيضا في آخر هذه الآية: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ الدلالة على تحريمه سبحانه على المرأة ما يدعو إلى الفتنة حتى بالحركة والصوت، وهذا غاية في توجيه المرأة المسلمة، وحث من الله لها على حفظ كرامتها ودفع الشر عنها.

ويشهد أيضًا لتحريم خروج الزينة الأصلية، أو المكتسبة فعل رسول الله ﷺ بزوجته صفيَّة، وفعل أمهات المؤمنين، وفعل النساء المؤمنات في عهد رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية وآية الأحزاب من الستر الكامل بالخمر والجلابيب، وكانت النساء قبل ذلك يسفرن عن وجوههن وأيديهن حتى نزلت آيات الحجاب..، وبذلك يعلم أن ما ورد في بعض الأحاديث من سفور بعض النساء كان قبل نزول آيات الحجاب، فلا يجوز أن يستدل به على إباحة ما حرم الله؛ لأن الحجة في الناسخ لا في المنسوخ كما هو معلوم عند أهل العلم والإيمان.

ومن آيات الحجاب الآية السابقة من سورة النور، ومنها قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ

مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال العلماء: الجلابيب جمع جلباب، وهو كل ثوب تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار لستر مواضع الزينة من ثابت ومكتسب. وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ ﴾ يدل على تخصيص الوجه؛ لأن الوجه عنوان المعرفة، فهو نص على وجوب ستر الوجه، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ﴾ هذا نص على أنّ في معرفة محاسن المرأة إيذاء لها، ولغيرها بالفتنة والشر، فلذلك حرم الله تعالى عليها أن تخرج من بدنها ما تعرف به محاسنها أيا كانت، ولو لم يكن من الأدلة الشرعية على منع كشف الوجه إلا هذا النص منه ﷻ لكان كافيا في وجوب الحجاب وستر مفاتن المرأة، ومن جملتها وجهها، وهو أعظمها؛ لأن الوجه هو الذي تعرف به وهو الذي يجلب الفتنة.

قالت أم سلمة ﵂: (لما نزلت هذه الآية: ﴿ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغربان من السَّكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها).

قال ابن عباس: (أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة).

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله ﷻ: ﴿ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى، وأقوال المفسرين في الموضوع كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

ومن آيات الحجاب أيضًا قول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ

﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فهذه الآية نص واضح في وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهن، وقد أوضح الله سبحانه في هذه الآية الحكمة في ذلك وهي أنّ التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء وأبعد عن الفاحشة وأسبابها.

وهذه الآية عامة لأزواج النبي ﷺ وغيرهن من المؤمنات.

قال القرطبي رحمه الله: (ويدخل في هذه الآية جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب الحجاب)، وقول القرطبي رحمه الله: (إنَّ صوت المرأة عورة؛ يعني إذا كان ذلك مع الخضوع، أما صوتها العادي فليس بعورة، لقول الله سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فنهاهن سبحانه عن الخضوع في القول لئلا يطمع فيهن أصحاب القلوب المريضة بالشهوة، وأذن لهن سبحانه في القول المعروف، وكان النساء في عهد النبي ﷺ يكلمنه ويسألنه عليه الصلاة والسلام ولم ينكر ذلك عليهن، وهكذا كان النساء في عهد أصحاب النبي ﷺ يكلمن الصحابة ويستفتينهم فلم ينكروا ذلك عليهن، وهذا أمر معروف ولا شبهة فيه.

وأما الأدلة من السنة فمنها:

ما ثبت في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ لما أمر بخروج النساء إلى مصلى العيد قلن يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب فقال: "لتلبسها أختها من جلبابها"[1]،

---

(١) متفق عليه.

فدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة ألا تخرج المرأة إلا بجلباب، وفي الأمر بلبس الجلباب دليل على أنه لابد من التستر والحجاب.

وكذا ما ثبت في الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: "كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغَلَس".

وقد أجمع علماء السلف على وجوب ستر المرأة المسلمة لوجهها وأنه عورة يجب عليها ستره إلا من ذي محرم. قال ابن قدامة في المغني: (والمرأة إحرامها في وجهها، فإن احتاجت سدلت على وجهها)، وجملته أن المرأة يحرم عليها تغطية وجهها في إحرامها كما يحرم على الرجل تغطية رأسه، إلا ما روي عن أسماء أنها كانت تغطي وجهها وهي محرمة، وقد روي البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: "لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين".

فأما إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريبا منها فإنها تسدل الثوب فوق رأسها على وجهها، لما روي عن عائشة ﵂ قالت: "كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفنا".

وإنما منعت المرأة المحرمة من البرقع والنقاب ونحوهما مما يصنع لستر الوجه خاصة ولم تمنع من الحجاب مطلقًا، قال أحمد: (إنما لها أن تسدل على وجهها فوق وليس لها أن ترفع الثوب من أسفل).أ.هـ.

وقال ابن رشد في (البداية)[1]: (وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتستر شعرها، وأن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق

---

(١) يعني بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

رأسها سدلا خفيفًا تستتر به عن نظر الرجال إليها..).

إلى غير ذلك من كلام العلماء، فيؤخذ من هذا ونحوه أن علماء الإسلام قد أجمعوا على كشف المرأة وجهها في الإحرام، وأجمعوا على أنه يجب عليها ستر بحضور الرجال، فحيث كان كشف الوجه في الإحرام واجبا فستره في غيره أوجب.

وكانت أسماء رضي الله عنها تستر وجهها مطلقًا، وانتقاب المرأة في الإحرام، لا يجوز لنهيه ﷺ عن ذلك في الحديث المتقدم، وهو من أعظم الأدلة على أن المرأة كانت تستر وجهها في الأحوال العادية ومعنى "لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين" أي: لا تلبس ما فُصّل وقطع وخيط لأجل الوجه، كالنقاب ولأجل اليدين كالقفازين، لا أن المراد أنها لا تغطي وجهها وكفيها كما توهمه البعض فإنه يجب سترهما لكن بغير النقاب والقفازين، هذا ما فسره به الفقهاء والعلماء، ومنهم العلامة الصنعاني رحمه الله تعالى، وبهذا يعلم وجوب تحجب المرأة وسترها لوجهها وأنه يحرم عليها إخراج شيء من بدنها وما عليها من أنواع الزينة مطلقا إلا ما ظهر من ذلك كله في حالة الاضطرار أو عن غير قصد كما سلف بيان ذلك، وهذا التحريم جاء لدرء الفتنة، ومن قال بسواه أودعا إليه فقد غلط وخالف الأدلة الشرعية، ولا يجوز لأحد اتباع الهوى، أو العادات المخالفة لشرع الله ﷻ؛ لأن الإسلام هو دين الحق والهدى والعدالة في كل شيء، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والنهي عما يخالفها من مساوئ الأخلاق وسيء الأعمال. والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين لما يرضيه، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٥/ ٢٢٤-٢٣٣].

بيان من سماحة الشيخ رحمه الله تعالى
حول توظيف النساء في الدوائر الحكومية

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اطّلعت على ما نُشِر في الصحف المحلية في الأول من شهر رمضان عام ١٤٠٠هـ، من اعتزام فرع ديوان الخدمة المدينة بالمنطقة الشرقية على توظيف النساء في الدوائر الحكومية للقيام بأعمال النسخ والترجمة، والأعمال الكتابية الأخرى، ثم قرأت ما كتبه الأخ الناصح محمد أحمد حساني في صحيفة (الندوة) في عددها الصادر في ٨/ ٩/ ١٤٠٠هـ تعقيبًا على ذلك الخبر، وكان صادقًا وناصحًا للأمة في تعقيبه، فشكر الله له وأثابه، ذلك أنّ من المعلوم أن نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال يؤدي إلى الاختلاط، وذلك أمر خطير جدًا، له تبعاته الخطيرة، وثمراته المرة، وعواقبه الوخيمة، وهو مصادم للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها، والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه، مما تكون فيه بعيدة عن مخالطة الرجال، والأدلة الصريحة الصحيحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية، وتحريم النظر إليها، وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرم الله - أدلة كثيرة محكمة قاضية بتحريم الاختلاط المؤدي إلى ما لا تحمد عقباه منها:

قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣-٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال الله جل وعلا: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾... إلى أن قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وقال ﷺ: "إياكم والدخول على النساء" ـ يعني: الأجنبيات ـ قال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت"، ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم، وعن السفر إلا مع ذي محرم؛ سدًا لذريعة الفساد، وإغلاقًا لباب الإثم، وحسمًا لأسباب الشر، وحمايةً للنوعين من مكائد الشيطان؛ ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" وصح عنه ﷺ أنه قال: "اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"، وقال ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان".

وهذه الآيات والأحاديث صريحة الدلالة في وجوب القرار في البيت، والابتعاد عن الاختلاط المؤدي إلى الفساد، وتقويض الأُسَر، وخراب المجتمعات، فما الذي يُلْجِؤنا إلى مخالفتها والوقوع فيما يغضب الله، ويحل بالأمة

بأسه وعقابه؟! ألا نعتبر فيما وقع في المجتمعات التي سبقت إلى هذا الأمر الخطير، وصارت تتحسر على ما فعلت، وتتمنى أن تعود إلى حالنا التي نحن عليها الآن!! لماذا لا ننظر إلى وضع المرأة في بعض البلدان الإسلامية المجاورة كيف أصبحت مهانة مبتذلة بسبب إخراجها من بيتها وجعلها تعمل في غير وظيفتها؟! لقد نادى العقلاء هناك وفي البلدان الغربية بوجوب إعادة المرأة إلى وضعها الطبيعي الذي هيأها الله له وركبها عليه؛ جسميًا، ونفسيًا، وعقليًا، ولكن بعد ما فات الأوان.

ألا فليتق الله المسؤولون في ديوان الخدمة المدنية، والرئاسة العامة لتعليم البنات، وليراقبوه سبحانه فلا يفتحوا على الأمة بابًا عظيمًا من أبواب الشر، إذا فتح كان من الصعب إغلاقه، وليعلموا أن النصح لهذا البلد حكومة وشعبًا هو العمل على أن يبقى مجتمعًا متماسكًا قويًا سائرًا على نهج الكتاب والسنة، وسد أبواب الضعف والوهن ومنافذ الشرور والفتن، ولا سيما ونحن في عصر تكالب الأعداء فيه على المسلمين وأصبحنا أشد ما نكون حاجة إلى عون الله ودفعه عنا شرور أعدائنا ومكائدهم، فلا يجوز لنا أن نفتح أبوابًا من الشر مغلقة.

ولعل في كلمتي هذه ما يذكر المسؤولين في ديوان الخدمة المدنية، والرئاسة العامة لتعليم البنات بما يجب عليهم من مراعاة أمر الله ورسوله، والنظر فيما تمليه المصلحة العامة لهذه الأمة، والاستفادة مما قاله الأخ محمد أحمد حساني من أن عملية نقص الموظفين لا تعالج بالدعوة إلى إشراك النساء في وظائف الرجال؛ سدًا للذريعة، وقفلاً لباب المحاذير، بل إن العلاج الصحيح يكون بإيجاد الحوافز لآلاف الشباب الذين لا يجدون في العمل الحكومي ما يشجع للالتحاق به فيتجهون إلى العمل الحر أو إلى المؤسسات والشركات، ومن هنا منطلق العلاج

الصحيح، وهو: تبسيط إجراءات تعيين الموظفين، وعدم التعقيد في الطلبات وإعطاء الموظف ما يستحق مقابل جهده، وعندها سوف يكون لدى كل إدارة فائض من الموظفين.

هذا وإنني مطمئن إن شاء الله إلى أن المسؤولين بعد قراءتهم لهذه الكلمة سيرجعون عما فكروا فيه من تشغيل المرأة بأعمال الرجال إذا علموا أن ذلك محرم بالكتاب والسنة، ومصادم للفطرة السليمة، ومن أقوى الأسباب في تخلخل المجتمع وتداعي بنيانه، وهو مع ذلك أمنية غالية لأعداء المسلمين لها منذ عشرات السنين، وينفقون لتحقيقها الأموال الطائلة، ويبذلون لذلك الجهود المضنية، ونرجو ألاَّ يكون أبناؤنا وإخواننا معينين لهم أو محققين لأغراضهم.

أسأل الله أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من مكائد الأعداء ومخططاتهم المدمرة، وأن يوفق المسؤولين فيها إلى حمل الناس على ما يصلح شؤونهم في الدنيا والآخرة؛ تنفيذًا لأمر ربهم وخالقهم والعالم بمصالحهم، وأن يوفق المسؤولين في ديوان الخدمة المدنية والرئاسة العام لتعليم البنات لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد في أمر المعاش والمعاد، وأن يعيذنا وإياهم وسائر المسلمين من مضلات الفتن وأسباب النقم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان))[1].

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٥/ ٣٥٤-٣٥٨].

حكم الاختلاط في التعليم[(١)]

رد على مدير جامعة صنعاء في دعوته للاختلاط

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد اطلعت على ما نشرته جريدة السياسة الصادرة يوم ٢٤/ ٧/ ١٤٠٤هـ، بعددها ٥٦٤٤ منسوبا إلى مدير جامعة صنعاء عبدالعزيز المقالح[(٢)] الذي زعم فيه أنّ المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مخالفٌ للشريعة، وقد استدل على جواز الاختلاط بأنَّ المسلمين في عهد الرسول ﷺ كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد، الرجل والمرأة، وقال: (ولذلك فإنَّ التعليم لابد أن يكون في مكان واحد)، وقد استغربت صدور هذا الكلام من مدير لجامعة إسلامية في بلد إسلامي يُطْلبُ منه أن يوجِّه شعبه من الرجال والنساء إلى ما فيه السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا شك أنّ هذا الكلام فيه جناية عظيمة على الشريعة الإسلامية؛ لأنَّ الشريعة لم تدعُ إلى الاختلاط حتى تكون المطالبة بمنعه مخالفٌ لها، بل هي تمنعه وتشدد في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٥ [ص٦-١١] ربيع الأول ربيع الثاني جمادى الأولى جمادى الثانية عام ١٤٠٦هـ.

(٢) أكاديمي يمني اشتراكي حداثي بعثي له اطروحات أدبية حداثية فيها من البلايا والطامات والكفريات مالا يتسع المجال لعرضها ركز في أطروحاته وأدبه على الهجوم على ثوابت الشريعة ودعا في مقالاته إلى تغريب المرأة المسلمة.

ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]. إلى أن قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة على شرعية لزوم النساء لبيوتهن حذرًا من الفتنة بهن، إلاَّ من حاجة تدعو إلى خروج، ثم حذَّرهن سبحانه من التبرج تبرج الجاهلية، وهو إظهار محاسنهن ومفاتنهن بين الرجال.

وقد صح عن رسول الله ﷺ إنه قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"(١)، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: "إنَّ الدنيا حلوة خَضِرة وإن الله مستحلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"، ولقد صدق رسول الله ﷺ فإنَّ الفتنة بهن عظيمة، ولا سيما في هذا العصر الذي خلع فيه أكثرهن الحجاب، وتبرجن فيه تبرج الجاهلية، وكَثُرت بسبب ذلك الفواحش والمنكرات، وعزف الكثير من الشباب والفتيات عما شرع الله من الزواج في كثير من البلاد، وقد بيَّن

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد ﷺ، وخرجه مسلم في صحيحه عن أسامة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ جميعًا.

الله سبحانه أنَّ الحجاب أطهر لقلوب الجميع فدل ذلك على أن زواله أقرب إلى نجاسة قلوب الجميع وانحرافهم عن طريق الحق، ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة، ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير من بيَّنهم الله سبحانه في الآية السابقة من سورة النور، ومن زعم أنَّ الأمر بالحجاب خاص بأمهات المؤمنين، فقد أبعد النجعة وخالف الأدلة الكثيرة الدالة على التعميم وخالف قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فإنه لا يجوز أن يقال إنَّ الحجاب أطهر لقلوب أمهات المؤمنين ورجال الصحابة دون من بعدهم، ولا شك أن مَنْ بعدهم أحوج إلى الحجاب من أمهات المؤمنين ورجال الصحابة ﷺ، لما بينهم من الفرق العظيم في قوة الإيمان والبصيرة بالحق، فإن الصحابة ﷺ رجالاً ونساء، ومنهن أمهات المؤمنين هم خير الناس بعد الأنبياء وأفضل القرون بنص الرسول ﷺ المخرج في الصحيحين، فإذا كان الحجاب أطهر لقلوبهم فَمن بعدهم أحوج إلى هذه الطهارة، وأشد افتقارًا إليها ممن قبلهم؛ ولأن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا يجوز أن يخصص بها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص، فهي عامة لجميع الأمة في عهده ﷺ وبعده إلى يوم القيامة؛ لأنه سبحانه بعث رسوله ﷺ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وهكذا القرآن الكريم لم ينزل لأهل عصر النبي ﷺ وإنما أنزل لهم ولمن بعدهم ممن يبلغه كتاب الله كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا

﴿هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وكان النساء في عهد النبي ﷺ لا يختلطن بالرجال لا في المساجد، ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم؛ ويرشد القرآن والسنة، وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذرًا من فتنته، بل كان النساء في مسجده ﷺ يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال وكان يقول ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" حذرًا من افتتان آخر صفوف الرجال بأول صفوف النساء، وكان الرجال في عهده ﷺ يؤمرون بالتريث في الانصراف حتى يمضي النساء، ويخرجن من المسجد، لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب المساجد مع ما هم عليه جميعًا رجالاً ونساء من الإيمان والتقوى، فكيف بحال من بعدهم، وكانت النساء يُنهَينْ أن يتحققن الطريق ويؤمرن بلزوم حافات الطريق حذرًا من الاحتكاك بالرجال، والفتنة بمماسة بعضهم بعضا عند السير في الطريق، وأمر الله سبحانه نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن حتى يغطين بها زينتهن حذرًا من الفتنة بهن، ونهاهن سبحانه عن إبداء زينتهن لغير من سمى الله سبحانه في كتابه العظيم حسمًا لأسباب الفتنة وترغيبًا في أسباب العفة. والبعد عن مظاهر الفساد والاختلاط، فكيف يسوغ لمدير جامع صنعاء ـ هداه الله وألهمه رشده ـ بعد هذا كله، أن يدعوا إلى الاختلاط، ويزعم أنَّ الإسلام دعا إليه وأنَّ الحرم الجامعي كالمسجد، وأنّ ساعات الدراسة كساعات الصلاة، ومعلوم أنّ الفرق عظيم، والبون شاسع، لمن عقل عن الله أمره ونهيه، وعرف حكمته سبحانه في تشريعه لعباده، وما بين في كتابه العظيم من الأحكام في شأن الرجال والنساء، وكيف يجوز لمؤمن أن يقول إن جلوس الطالبة بحذاء الطالب في كرسي الدراسة مثل جلوسها مع أخواتها في صفوفهن خلف الرجال، هذا لا يقوله من له أدنى

مسكة من إيمان وبصيرة يعقل ما يقول، هذا لو سلمنا وجود الحجاب الشرعي، فكيف إذا كان جلوسها مع الطالب في كرسي الدراسة مع التبرج وإظهار المحاسن والنظرات الفاتنة والأحاديث التي تجر إلى الفتنة، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وأما قوله: (والواقع أنّ المسلمين منذ عهد الرسول كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد الرجل والمرأة، ولذلك فإنَّ التعليم لابد أن يكون في مكان واحد).

فالجواب عن ذلك أن يقال: هذا صحيح، لكن كان النساء في مؤخرة المساجد مع الحجاب والعناية والتحفظ مما يسبب الفتنة، والرجال في مقدمة المسجد، فيسمعن المواعظ والخطب ويشاركن في الصلاة، ويتعلمن أحكام دينهم مما يسمعن ويشاهدن، وكان النبي ﷺ في يوم العيد يذهب إليهن بعد ما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن لبعدهم عن سماع خطبته، وهذا كله لا إشكال فيه، ولا حرج فيه، وإنما الإشكال في قوله مدير جامعة صنعاء ـ هداه الله وأصلح قلبه وفقهه في دينه ـ: (ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون في مكان واحد) فكيف يجوز له أن يشبه التعليم في عصرنا بصلاة النساء خلف الرجال في مسجد واحد مع أن الفرق شاسع بين واقع التعليم المعروف اليوم وبين واقع صلاة النساء خلف الرجال في عهده ﷺ. ولهذا دعا المصلحون إلى إفراد النساء عن الرجال في دور التعليم، وأن يكُنَّ على حدة والشباب على حدة، حتى يتمكنَّ من تلقي العلم من المدارس بكل راحة من غير حجاب ولا مشقة؛ لأن زمن التعليم يطول بخلاف

زمن الصلاة؛ ولأن تلقي العلوم من المدارس في محل خاص أصونُ للجميع وأبعد لهن عن أسباب الفتنة، وأسلم للشباب من الفتنة بهن، ولأن انفراد الشباب في دور التعليم عن الفتيات مع كونه أسلم لهم من الفتنة فهو أقرب إلى عنايتهم بدروسهم وشغلهم بها وحسن الاستماع إلى الأساتذة وتلقي العلم عنهم بعيدين عن ملاحظة الفتيات والانشغال بهن، وتبادل النظرات المسمومة، والكلمات الداعية إلى الفجور.

وأما زعمه ـ أصلحه الله ـ أنَّ الدعوة إلى عزل الطالبات عن الطالبة تزمتٌ ومخالفٌ للشريعة، فهي دعوة غير مُسَّلَمة، بل ذلك هو عين النصح لله ولعباده والحيطة لدينه والعمل بما سبق من الآيات القرآنية والحديثين الشريفين، ونصيحتي لمدير جامعة صنعاء أن يتقي الله ﷻ وأن يتوب إليه سبحانه مما صدر منه، وأن يرجع إلى الصواب والحق، فإن الرجوع إلى ذلك هو عين الفضيلة والدليل على تحري طالب العلم للحق والإنصاف.

والله المسئول سبحانه أن يهدينا جميعًا سبيل الرشاد، وأن يعيذنا، وسائر المسلمين من القول عليه بغير علم، ومن مضلات الفتن، ونزغات الشيطان، كما أسأله سبحانه أن يوفق علماء المسلمين وقادتهم في كل مكان لما فيه صلاح البلاد والعباد في المعاش والمعاد، وأن يهدي الجميع صراطه المستقيم إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين))[(١)].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٥ [٦-١١].

الاختلاط في الدراسة
والرد على أحد الكتاب في دعوته للاختلاط بالدراسة

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز ﷺ:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد اطلعت على ما كتبه بعض الكُتَّاب في جريدة الجزيرة بعددها رقم (٣٧٥٤) وتاريخ ١٥/ ٤/ ١٤٠٣هـ الذي اقترح فيه اختلاط الذكور والإناث في الدراسة بالمرحلة الابتدائية، ولما يرتب على اقتراحه من عواقب وخيمة رأيت التنبيه على ذلك فأقول: إن الاختلاط وسيلة لشر كثير وفساد كبير لا يجوز فعله.

وقد قال النبي ﷺ: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع" وإنما أمر ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع؛ لأن قرب أحدهما من الأخ في سن العاشرة، وما بعدها، وسيلة لوقوع الفاحشة بسبب اختلاط البنين والبنات، ولا شك أن اجتماعهم في المرحلة الابتدائية كل يوم وسيلة لذلك كما أنه وسيلة للاختلاط فيما بعد ذلك من المراحل، وبكل حال فاختلاط البنين والبنات في المراحل الابتدائية منكر لا يجوز فعله لما يترتب عليه من أنواع الشرور، وقد جاءت الشريعة الكاملة بوجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي وقد دل على ذلك دلائل كثيرة من الآيات والأحاديث، ولولا ما في ذلك من الإطالة لذكرت كثيرًا منها: وقد ذكر العلامة ابن القيم ﷺ في كتابه "إعلام الموقعين) منها: تسعة وتسعين دليلاً، ونصيحتي للكاتب وغيره ألا يقترحوا ما يفتح على المسلمين أبواب شر قد أغلقت نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق.

ويكفي العاقل ما جرى في الدول التي أباحت الاختلاط من الفساد الكبير بسبب الاختلاط، وأما ما يتعلق بالحاجة إلى معرفة الخاطب مخطوبته فقد شرع النبي ﷺ في ذلك ما يشفي بقوله ﷺ: "إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل"، فيشرع له أن ينظر إليها بدون خلوة قبل عقد النكاح إذا تيسر ذلك، فإن لم يتيسر بعث من يثق به من النساء للنظر إليها ثم إخباره بخلقها وخلقها، وقد درج المسلمون على هذا في القرون الماضية وما ضرهم ذلك بل حصل لهم من النظر إلى المخطوبة أو وصف الخاطبة لها ما يكفي، والنادر خلاف ذلك لا حكم له والله المسئول أن يوفق المسلمين لما فيه صلاحهم وسعادتهم في العاجل والآجل، وأن يحفظ عليهم دينهم، وأن يغلق عنهم أبواب الشر ويكفيهم مكائد الأعداء، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٢/ ٢٣٤-٢٣٥].

تعليق موجز على ما كتبه بعض الكتاب في مجلة اليمامة الصادرة بعدد ٦٨٤ وتأريخ ١٤٠٢/٣/٢٠هـ لإيضاح الحق

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على القصة المنقولة من تاريخ ابن جرير الطبري رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال ما نصه:

(فاتبعته فدخل دارًا ثم دخل حجرة فاستأذنت وسلمت فأذن لي فدخلت عليه فإذا هو جالس عَلى مسح (بساط) متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفًا، فنبذ إلي بإحداهما فجلست عليها وإذا بهْوٌ في صفة فيها بيت عليه ستير فقال: يا أم كلثوم غداءنا، فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق، فقال: يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا. قالت: إني أسمع عندك حس رجل قال: نعم ولا أراه من أهل البلد، قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته، وكما كسا الزبير امرأته، وكما كسا طلحة، قال: أو ما يكفيك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر، فقالت: كُلْ فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا)أ.هـ.

وهذا القصة باطلة لا تثبت رواية ولا دراية.

أما الرواية: فلان مدارها على جماعة من الضعفاء، وبعضهم متهم بالكذب، وتنتهي القصة إلى مبهم لا يعرف من هو ولا تعرف حاله وهو الذي رواها عن عمر وبذلك يعلم بطلانها من حيث الرواية.

وأما من حيث الدراية فمن وجوه:

١. شذوذها ومخالفتها لما هو معلوم من سيرة عمر ﷺ، وشدته في الحجاب وغيرته العظيمة وحرصه على أن يحجب النبي ﷺ نساءه حتى أنزل الله آية الحجاب.

٢. مخالفتها لأحكام الإسلام التي لا تخفى على عمر، ولا غيره من أهل العلم، وقد دل القرآن والسنة النبوية على وجوب الاحتجاب وتحريم الاختلاط بين الرجال والنساء على وجه يسبب الفتنة ودواعيها.

٣. ما في متنها من النكارة الشديدة التي تتضح لكل من تأملها، وبكل حال فالقصة موضوعة على عمر بلا شك للتشويه من سمعته، أو للدعوة إلى الفساد بالسفور للرجال الأجانب، واختلاطهن بهم، أو لمقاصد أخرى سيئة. نسأل الله العافية.

ولقد أحسن الشيخ أبو تراب الظاهري، والشيخ محمد أحمد حساني والدكتور هاشم بكر حبشي حينما ردوا هذه القصة وبيَّنوا بطلانها، وأنه لا يصح مثلها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، جزاهم الله خيرًا، وضاعف مثوبتهم، وزادنا وإياهم علما وتوفيقا وجعلنا وإياهم وسائر إخواننا من أنصار الحق.

وللمشاركة في بيان الحق وإبطال الباطل رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة ليزداد القراء علما ببطلان هذه القصة، وأنها في غاية السقوط للوجوه السالف ذكرها وغيرها والله المسئول أن يهدينا جميعًا إلى سواء السبيل، وأن يعيذنا وسائر إخواننا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤/ ٢٠٤-٢٠٥].

بيان من سماحة الشيخ رحمه الله تعالى
بعنوان: التحذير من مكائد الأعداء[(١)]

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اطلّعت على الخطاب المفتوح الموجه من بعض المسلمات في سويسرا إلى شيخ الأزهر، ووزير الإعلام في مصر المنشور في مجلة (الدعوة المصرية) في عددها السابع والأربعين الصادر في شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٠هـ، وقد جاء في هذا الخطاب أن العالم الغربي قد بدأ يتحدث عن الإسلام ويهتم به، وأنّ بعض جهات الإعلام استغلت هذا الوضع وأخذت تشوه الإسلام، وتعرِّف به على غير حقيقته، ويضربن مثلاً على ذلك بما قام به التلفزيون السويسري حينما عرض فيلمًا عن الإسلام والمسلمين في مصر يشتمل على مشاهد ليست من الإسلام؛ إذ عرض ما يجري عند الأضرحة، وفي حفلات المزار، ومولد البدوي، وغيرها من الأمور المبتدعة، وقد ذكرت الأخوات في خطابهن ما نصه:

(وأكثر ما آلم المسلمين من كل الجنسيات هو عرض لفتاة تدعى نهال رزق، قيل: إنها مسلمة، وكانت هي محور الحلقة على أساس أنها مثال للمرأة المتحضرة؛ لأنه لا يمكن تطبيق قوانين جاءت منذ أربعة عشر قرنًا، كما قال مقدم البرنامج، ونذكر لكم لقطتين فقط من جملة الفيلم عنها والحديث معها.

اللقطة الأولى لهذه الفتاة في حمام سباحة نادي الجزيرة ـ وطبعًا كانت بالمايوه أمام الرجال وبعدها لقاء معها في منزلها، ولقطة لها وهي تصلي وتلبس الطرحة

(١) نشرت في مجلة (الدعوة)، بعددها [٨١٧] في شهر ذي الحجة لعام ١٤٠١هـ.

وقالت: إنّها تصلي وتصوم، وسيأتي اليوم الذي تحج فيه للبيت الحرام، وكانت آخر لقطاتهم معها في كازينو وهي تراقص صديقها، وقالت: إنه مسموح لها بالرقص مع صديقها، والسهر معه حتى الواحدة صباحًا، كما ذكرت الأخوات أن التلفزيون السويسري أعد هذا الفيلم عندما قام فريق من المشرفين عليه بزيارة معلنة للقاهرة، سجّل خلالها تلك المشاهد وأجرى أثناءها لقاءات مع شيخ الأزهر ومفتي الجمهورية والشيخ السطوحي[1]؛ ليوهم أن هؤلاء موافقون على ما يعرض في الفيلم، وتساءلن بقولهن: من المسؤول عن هذه المهزلة؟ ومن الذي قدَّم هذه الفتاة لتكون مثالاً للفتاة المسلمة في مصر، أو لم يجد المسؤولون في مصر مثالاً يليق بعرض الإسلام والمرأة المسلمة للأوربيين سوى هذه الفتاة وهذه الصور؟!) انتهى كلامهن.

وإنني أشكر للأخوات المسلمات في سويسرا غيرتهن ونصحهن، وأسأل الله أن يثبتهن على ذلك، وأحب أن يعلمن هُنَّ وغيرهن أنّ ما فعله التلفزيون السويسري وغيره إنما هو جزء من الحرب الدائرة المستمرة بين المسلمين والكافرين، وقد أخبر الله عن ذلك في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وعندما يعمل التلفزيون السويسري النصراني هذا العمل إنما يريد به الصد عن دين الله، ومنع الناس من الدخول فيه أو الاستماع إلى من يدعوهم إليه، ولكنهم بإذن الله خائبون خاسرون، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، وليس العجب من جرأة أعداء الإسلام على النيل

---

(١) هذا الرجل له دور كبير في نشر التصوف في مصر وكذلك عبادة القبور والقباب والاستغاثة بها، وكذلك الموالد البدعية الشركية، وقد كان رئيسًا للمجلس الأعلى للطرق الصوفية، ورئيس التحرير لمجلة التصوف التي تنشر الخرافات والبدع الشركية وغيرها.

منه، وتزوير الحقائق وتضليل الناس، فتلك طبيعة الأعداء في حربهم المسلمين ومحاولتهم لمنع دخول الناس في الإسلام، ولكن العجب من المسلمين وولاتهم الذين يستقبلونهم في بلدانهم، ويهيئون لهم من الوسائل ما يعينهم على تحقيق مآربهم وتنفيذ مخططاتهم، ولعل ما حصل من بعض المسؤولين في القاهرة ـ كشيخ الأزهر والمفتي وغيرهما ـ إنما ظنًا منهم أن أولئك سيعرفون بالإسلام حقيقة، وسيقتصرون على نشر اللقاءات التي تمت معهم دون غيرها، ومع ذلك فإنني أنصح ولاة أمر المسلمين عامة، وأهل الحل والعقد فيهم خاصة من الرؤساء والأمراء والعلماء، وغيرهم أن يكونوا على حذر في معاملتهم مع أعداء الإسلام الذين يتسللون إلى صفوف المسلمين باسم الصحافة، أو الاستشراق أو غيرهما، وأن يكونوا متيقظين لكل مؤامراتهم ومكائدهم، وأن لا يسهلوا لهم القيام بمهماتهم في بلاد المسلمين أو يتعاونوا معهم لإنجاحها، فكثيرًا ما يرى النصارى وغيرهم يحملون آلات التصوير ويقصدون المناظر القديمة والمشوهة في بلاد المسلمين فيصورونها ويعلقون عليها ما يشاءون وينشرونها في بلدانهم، زاعمين أن هذا حال المسلمين، وأن الإسلام يجعل أهله على تلك الصورة.

ولهذا ينبغي أن لا تستجاب طلبات أولئك إلا بعد دراستها دراسة وافية، ومعرفة أبعادها ونتائجها والتأكد من خلوها مما يلحق الضرر بالإسلام والمسلمين.

وأسأل الله سبحانه أن يوفق المسلمين ورؤساءهم وأهل الحل والعقد فيهم؛ ليكونوا دعاة إلى الله وحماة لدينه على بصيرة، وأن يعلي كلمته، وأن يخذل أعداءه، ويبطل كيدهم، أنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم))[١].

---

(١) راجع مجلة الدعوة السعودية عدد ذي الحجة ١٤٠١هـ.

حكم الأغاني في الإسلام

الرد على بعض الصحف في دعوتها لترويج الأغاني المحرمة(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((لقد اطلعت على ما كتبته بعض الصحف المحلية عن بعض الكتاب من الدعوة إلى تزويد الإذاعة السعودية بالأغاني والمطربين المشهورين والمطربات المشهورات، تأسيًا باليهود وأشباههم في ذلك ورغبة في جذب أسماع المشغوفين بالغناء والراغبين في سماعه من الإذاعات الأخرى إلى سماعه من الإذاعة السعودية، وقرأت أيضًا ما كتبه فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم، والشيخ حسن بن عبدالله وكاتب آخر لم يفصح عن أسمه من الرد على هذه الدعوة الحمقاء والفكرة النكراء والرغبة المنحرفة إلى أسباب الردى، فجزى الله أنصار الحق كل خير وهدى الله من حاد عنه إلى رشده وكفى المسلمين شره وفتنه.

أيها القارئ الكريم: إنّ الإذاعة في حد ذاتها أداة ذات حدين إنْ أحسنت استعمالها فهي لك، وإنْ أسأت استعمالها فهي عليك، ولا شك أن الواجب في نفس الأمر شرعًا وعقلاً أن تكون هذه الأداة أداة تعمير وتوجيه وإرشاد إلى ما ينفع الأمة في الدين والدنيا، ولا يجوز بوجه من الوجوه أن تكون أداة تخريب وإفساد وإشغال للأمة بما يضرهم ولا ينفعهم، ولا ريب أيضًا عند ذوي العقول الصحيحة، والفطر السليمة أن تزويد الإذاعة بالأغاني والمطربين والمطربات من سبل الفساد والتخريب لا من سبل الإصلاح والتعمير ويا ليت هؤلاء الذين دعوا إلى التأسي باليهود وأشباههم في الأغاني ارتفعت همتهم فدعوا إلى التأسي بهم في إيجاد المصانع النافعة والأعمال المثمرة، ولكن ويالأسف انحطت أخلاق هؤلاء

(١) مجلة راية الإسلام، العدد الثاني والثالث، السنة الثانية محرم وصفر عام ١٣٨١هـ [ص١٢-١٥].

ونزلت همتهم حتى دعوا إلى التأسي بأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المسلمين عمومًا والعرب خصوصًا في خصلة دنيئة من سفاسف الأخلاق وسيء الأعمال، بل من الأمراض المخدرة للشعوب والسالبة لحريتها وأفكارها، والصارفة لها عن معالي الأمور، ومكارم الأخلاق وعن النشاط في ميادين الإصلاح إلى ضد ذلك، ومن أراد أن يعرف مثالاً لسقوط الهمم، وضعف التفكير وانحطاط الأخلاق، فهذا مثاله، دعوة من بلاد إسلامية إلى خلق من أحط الأخلاق يتأسى فيه بأمة من أحط الأمم وأشدها عداوة للإسلام والعرب، وقد غضب الله عليها ولعنها، فالمتأسي بها له نصيب من ذلك، ولا شك أن هذا من آيات الله التي ميز بها بين عباده وجعلهم أصنافًا متباينة، هذا همته فوق الثريا ينشد الإصلاح أينما كان، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويدعو إلى الأعمال المثمرة، والمصانع النافعة للأمة في دينها ودنياها في عصر المادية، والجموح الفكري، والتيارات الجارفة المتنوعة، وشخص آخر قد انحطت همته إلى الثرى يدعو إلى سفاسف الأمور وخبيث الأخلاق، يدعو إلى ما يضعف الأمة ويشغلها عن طرق الإصلاح وكسب القوة وعمارة البلاد بكل عمل جدي مثمر، يدعو إلى التأسي بالأمة العاملة في الخسيس لا في الحسن وفي الفساد لا في الإصلاح وفي الشر لا في الخير وفي ما يضر لا ما ينفع، هذه والله العبر التي لا يزال الله سبحانه يوجدها بين عباده ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، فسبحان الله ما أعظم شأنه وسبحان الله ما أحكمه وأعلمه بأحوال عباده.

أيها القارئ الكريم: إنّ تزويد الإذاعة بالأغاني والطرب، وآلات الملاهي فساد وحرام بإجماع من يُعتد به من أهل العلم، وإنْ لم يصحب الغناء آلة اللهو، فهو حرام عند أكثر العلماء، وقد عُلِم بالأدلة المتكاثرة أنّ سماع الأغاني، والعكوف

عليها، ولا سيما اللهو كالعود والموسيقى، ونحوهما من أعظم مكائد الشيطان، ومصائده التي صاد بها قلوب الجاهلين، وصدهم بها عن سماع القرآن الكريم، وحبب إليهم العكوف على الفسوق والعصيان، والغناء هو قرآن الشيطان ومزماره، ورقية الزنا واللواط، والجالب لأنواع الشر والفساد.

وقد حكى أبوبكر الطرطوشي وغير واحد من أهل العلم عن أئمة الإسلام ذم الغناء وآلات الملاهي والتحذير من ذلك، وحكى الحافظ العلامة أبوعمرو ابن الصلاح رحمه الله عن جميع العلماء تحريم الغناء المشتمل على شيء من آلات الملاهي كالعود، ونحوه وما ذاك إلا لما في الغناء، وآلات الطرب من إمراض القلوب وإفساد الأخلاق والصد عن ذكر الله وعن الصلاة. ولا شك أن الغناء من اللهو الذي ذمه الله وعابه، وهو مما ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل، ولا سيما إذا كان من مطربين ومطربات قد اشتهروا بذلك، فإنَّ ضرره يكون أعظم، وتأثيره في إفساد القلوب أشد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦-٧]، قال الواحدي وغيره: (أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث: الغناء، انتهى) وكان ابن مسعود رضي الله عنه ـ وهو أحد كبار الصحابة وعلمائهم ـ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو على أن لهو الحديث هو الغناء، وقال رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع) وقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين آثار كثيرة بذم الغناء وآلات الملاهي والتحذير من ذلك، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: "ليكونن من أمتي أقوامًا يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف"[1]، والحِرَ هو الفرج الحرام والمراد بذلك الزنا، وأما

(١) رواه البخاري.

المعازف فهي آلات الملاهي كلها كالموسيقي والعود والرباب والأوتار وغير ذلك. قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب: (الإغاثة)(١) (لا خلاف بين أهل اللغة في تفسير المعازف بآلات اللهو كلها).

وخرَّج الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في أمتي قذف وخسف ومسخ" فقال رجل من المسلمين: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: "إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور" وخرَّج أحمد في مسنده بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر" والكوبة هي: الطبل، قاله سفيان أحد رواة الحديث، وقد روي في ذم الغناء والملاهي أحاديث وآثار كثيرة لا تحتمل هذه الكلمة ذكرها، وفيما ذكرنا كفاية ومقنع لطالب الحق، ولا شك أن الداعين إلى تزويد الإذاعة بالأغاني وآلات الملاهي قد أصيبوا في تفكيرهم حتى استحسنوا القبيح، واستقبحوا الحسن، ودعوا إلى ما يضرهم، ويضر غيرهم، ولم ينتبهوا للأضرار والمفاسد والشرور الناتجة عن ذلك، وما أحسن قول الله تعالى حيث يقول: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وصدق الشاعر حيث يقول:

يقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حُسْنًا ما ليس بالحَسِنِ

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن من دعا إلى ضلالة فعليه إثمها ومثل

(١) إغاثة اللهفان عن مصائد الشيطان.

آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا، ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعاء إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئًا" فياله من خطر عظيم ووعيد شديد لمن حبذ الباطل ودعا إليه، وإنّ نصيحتي لهؤلاء الداعين إلى الغناء والملاهي أن يتوبوا إلى الله من معصيتهم، وأن يراجعوا الحق، ويسألوا الله الهداية، فهو خير لهم من التمادي في الباطل والله سبحانه يتوب على من تاب ويحلم على من عصى ويملي ولا يغفل.

نسأل الله لنا ولهم، ولسائر المسلمين الهداية، والعافية من نزغات الشيطان، ومما تقدم من الأدلة والآثام، وكلام أهل العلم يعلم كل من له أدنى بصيرة أن تطهير الإذاعات مما يضر الأمم واجب متحتم لا يسوغ الإخلال به سواء كانت الإذاعة شرقية، أو غربية إذا كانت تحت ولاية المسلمين، فكيف إذا كانت الإذاعة في مهبط الوحي، ومنبع النور، ومحل القبة التي يوجه المسلمون إليها وجوههم أينما كانوا في اليوم والليلة خمس مرات، لا شك أنها أولى وأحق بالتطهير والصيانة من كل ما يضر المسلمين في دينهم أو دنياهم. ولا ريب أن تزويدها بالأغاني وآلات الملاهي مما يضر المسلمين ضررًا ظاهرًا في دينهم ودنياهم، فوجب أن تصان وسائل إعلامنا من ذلك، وأن تكون وسائل إعلام إسلامية محضة تنشر الحق وتدعو إليه وتحذر من الباطل وتنفر منه، وتزود الناس ما ينفعهم ويرضي الله عنهم في الدنيا والآخرة وتكون نبراسًا يهتدى به المسلمون أينما كانوا، فتارة تزودهم بالعلوم النافعة والتوجيهات السديدة وتلاوة القرآن الكريم وتفسيره بما جاء عن الرسول ﷺ والسلف الصالح ونشر محاسن الإسلام وبيانه لهم سليمًا من

شوائب الشرك والبدع، وطورًا تسمعهم أحاديث طيبة وأحاديث زراعية، وتوجيهات تجارية وتعليمات تربوية، وإرشادات منزلية إلى غير ذلك من أوجه النفع، وطرق الإصلاح الديني والدنيوي هكذا يجب أن تكون وسائل إعلامنا، وهكذا يجب على المسئولين أن يوجهوها ويطهروها مما لا يليق بها، وإنهم والله مسئولون عن ذلك يوم القيامة أمام العزيز الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولقد أحسنت حكومتنا وفقها الله في إيجاد إذاعة خاصة بالقرآن الكريم والتفسير والأحاديث الدينية، وصارت بذلك قدوة لكثير من الدول الإسلامية، كما أحسنت في إيجاد البرنامج العظيم الفائدة، وهو برنامج (نور على الدرب) لما يشتمل عليه من استقبال أسئلة المسلمين في أنواع العلوم، والإجابة عنها من جماعة من خواص أهل العلم والفقه في الدين والسير على منهج السلف الصالح، فجزى الله حكومتنا عن ذلك أحسن الجزاء وأفضله وأدام توفيقها لكل خير، وإني أتوجه بهذه الكلمة بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن جميع العلماء، وعن جميع المسلمون الذي يغارون لله، ويغضبون إذا انتهكت محارمه، أتوجه بذلك إلى جميع ولاة أمور المسلمين، وأسألهم أن يصونوا وسائل الإعلام عن البرامج الهدامة ويطهروها من كل ما يضر المسلمين، وأن لا يولوا على شئونها إلا من يخاف الله ويتقيه، وذلك مما أوجب الله عليهم، وهم الرعاة للمسلمين، وكل راع مسئول عن رعيته، فأسأل الله أن يوفقهم لإصلاح هذه الوسائل الإعلامية وأن يعينهم على صيانتها من كل ما يضر العباد، والله المسئول بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لكل خير، وأن ينصر بهم الحق، وأن يصون بهم الشريعة، ويحمي بهم حماها من جميع البدع والمنكرات، وأن

يصلح لهم البطانة، ويمنحهم التوفيق في كل ما يأتون ويذرون، وأن يوفق جميع المسئولين في حكوماتهم للتمسك بالشرع، والتعظيم لحرماته والحذر مما يخالفه إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه))[1].



(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٤٢٧-٤٣٢].

الإجابة عن سؤال حول الغناء[١]

تعليق على خبر بصحيفة عكاظ

قال السائل:

((قرأت في صحيفة عكاظ في العدد ٦١٠١ السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠٣هـ، في خبر مفاده: أن هناك مطربًا سعوديًا اعتزل الغناء، وفي إحدى الرحلات الجوية بين القاهرة وباريس التقى هذا المطرب بأحد رجال الدين وتجاذب معه أطراف الحديث حول الغناء ومشروعيته، ولم ينزل المطرب من الطائرة إلاّ وقد أقنعه رجل الدين بمشروعية الغناء بالأدلة والبراهين، وعاد وقام بعدة أغان تعتبر باكورة إنتاجه.

س: هل الغناء مشروع في الإسلام وبالأدلة والبراهين أيضًا خصوصًا هذا النوع الخليع في الوقت الحاضر والمصحوب بالموسيقى؟

ج: الغناء محرم عند جمهور أهل العلم وإذا كان معه آلة لهو كالموسيقى والعود والرباب ونحو ذلك بإجماع المسلمين. ومن أدلة ذلك قول الله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٦]. فسره جمهور المفسرين: بالغناء، وكان عبدالله بن مسعود ﷺ يقسم على ذلك ويقول: (إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"[٢]، والمعازف هي: الغناء وآلات اللهو، وبهذا يعلم أن هذا الذي أفتى - إن صح النقل عنه - بمشروعية الغناء قد قال على الله بغير علم، وأفتى فتوى باطلة سوف يُسأل عنها يوم القيامة، والله المستعان))[٣].

---

(١) نشرت بمجلة الدعوة، العدد ٩٠٧ يوم ٢١/ ١١/ ١٤٠٣هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به ورواه غيره بأسانيد صحيحة.

(٣) وراجع فتاوى الشيخ [٣/ ٤٣٣].

حكم الاستماع إلى الأغاني[1]

سئل سماحة الشيخ رحمه الله: ما حكم الاستماع إلى الأغاني؟

فأجاب قائلاً:

((الاستماع إلى الأغاني لا شك في حرمته، وما ذاك إلاَّ لأنه يجر إلى معاصي كثيرة وإلى فتن متعددة، ويجر إلى العشق والوقوع في الزنا والفواحش واللواط، ويجر إلى معاصي أخرى كشرب المسكرات، ولعب القمار، وصحبة الأشرار، وربما أوقع في الشرك والكفر بالله على حسب أحوال الغناء واختلاف أنواعه، والله جل وعلا يقول في كتابه العظيم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦-٧]، فأخبر سبحانه أنَّ بعض الناس يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قُرِئ لِيُضَل بضم الياء وفتح الضاد، وقرئ لِيَضِل بفتح الياء مع كسر الضاد فيهما، واللام للتعليل والمعنى أنه بتعاطيه واستعاضته لهو الحديث وهو الغناء يجره ذلك إلى أن يُضَل في نفسه ويُضِلُ غيره، يَضل بسبب ما يقع في قلبه من القسوة والمرض، فيضل عن الحق لتساهله بمعاصي الله ومباشرته لها، وتركه بعض ما أوجب الله عليه مثل ترك الصلاة في الجماعة، وترك بر الوالدين ومثل لعب القمار والميل إلى الزنا والفواحش واللواط إلى غير ذلك مما يقع بسبب الأغاني. قال أكثر المفسرين: (معنى لهو الحديث في الآية الغناء) وقال جماعة آخرون: (كل صوت منكر من أصوات الملاهي، فهو داخل في ذلك كالمزمار والربابة والعود والكمان وأشباه ذلك وهذا كله يصد عن سبيل الله ويُسبب الضلال والإضلال). وثبت

---

(١) نُشرتْ في المجلة العربية.

عن عبدالله ابن مسعود ﷺ الصحابي الجليل أحد علماء الصحابة ﷺ أنه قال في تفسير الآية: (إنه والله الغناء وقال إنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) والآية تدل على هذا المعنى فإن الله قال: ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦] يعني يَعمى عليه الطريق كالسكران؛ لأن الغناء يسكر القلوب ويوقع في الهوى والباطل، فيعمى عن الصواب إذا اعتاد ذلك حتى يقع في الباطل من غير شعور بسبب شغله بالغناء، وامتلاء قلبه به وميله إلى الباطل، وإلى عشق فلانة وفلان وإلى صحبة فلانة وفلان، وصداقة فلانة وفلان ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ معناه: هو اتخاذ سبيل الله هزوًا، وسبيل الله هي دينه، والسبيل تذكر وتؤنث فالغناء، واللهو يفضي إلى اتخاذ طريق الله لهوًا ولعبًا، وعدم المبالاة في ذلك، وإذا تُلِي عليه القرآن تولى واستكبر، وثقل عليه سماعه، لأنه اعتاد سماع الغناء وآلات الملاهي فيثقل عليه سماع القرآن، ولا يستريح لسماعه وهذا من العقوبات العاجلة، فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وهكذا على كل مؤمنة الحذر من ذلك، وجاء في المعنى أحاديث كثيرة كلها تدل على تحريم الغناء وآلات اللهو الطرب، وأنها وسيلة إلى شر كثير وعواقب وخيمة، وقد بسط العلامة ابن القيم ﷺ في كتابه (إغاثة اللهفان) الكلام في حكم الأغاني وآلات اللهو، فمن أراد المزيد من الفائدة فليراجعه فهو مفيد جدًا، والله المستعان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٣/ ٤٣٤-٤٣٥].

لا: لهذه الرحلات[1]

والرد على بعض الصحف في دعونها للسفر إلى الخارج

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله:

((الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد: فقد نشرت إحدى الصحف في عددها رقم (٢٥٠٨) وتاريخ ١/ ٧/ ١٣٩٩هـ الصفحة (٨) إعلانًا من مؤسسة أمريكية يتضمن دعوة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين سن ١٠-١٨ سنة إلى الاشتراك في رحلة صيفية لمدة ستة وستين يومًا لزيارة كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك.

وأداء لواجب المسئولية وقيامًا بواجب النصح للأمة نوضح لإخواننا المسلمين وكافة المواطنين وما تنطوي عليه مثل هذه الرحلات من الخطر العظيم على أخلاق أبنائهم ودينهم، فإن القائمين على هذا الرحلات، هم من الكفار الذين لا يراعون خُلقًا ولا دينا إلا الكسب المادي، هذا إذا خَلوا من أهدافٍ تبشيرية، أو أغراضٍ سيئة أخرى كما أنَّ هذه الرحلات إلى بلاد انتشرت فيها كل أنواع الرذائل، والأخلاق السافلة والدعوات الهدامة.

والذين وجُهِتْ إليهم الدعوة للاشتراك هم أطفال، وشباب في سن المراهقة ومرحلة التأثر بالتوجيه والقدوة والانبهار بالمظاهر مع قلة العلم وضعف التمييز بين الخير والشر، إن دلوا على الخير سلكوا طريقه، وإن دلوا على الشر أسرعوا إليه إلا من شاء الله.

والناتج عن ذلك من الأضرار لا يحصى، فمنها: ابتعاد الابن عن إشراف أبيه

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد الخامس [ص٢٦٤-٢٦٦] محرم - صفر - ربيع الأول - ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثاني سنة ١٤٠٠ هـ.

وتوجيهه في سن هو في أمس الحاجة إلى الرعاية، والتأديب فيه، ومنها ما يخشى من هجره لفرائض الدين، وتركه لأدائها وفي مقدمتها الصلاة والصيام؛ إذ أنَّ موعد الرحلة يصادف شهر رمضان الذي يجب على كل مسلم بالغ صيامه، وكيف يصوم هذا الفتى وهو يُجر إلى الملاهي والشهوات؟! ومنها: التَأَثر بَالأخلاق الفاسدة التي يعايشها ويشاهدها مما يضعف في نفسه الالتزام بالأخلاق الإسلامية ويؤدي به إلى الاستهانة بها وعدم احترامها، ومنها: وقوعه تحت توجيه الكفار وإشرافهم وولايتهم.

والحكم في هذه الحالة أنَّه لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بين ظهرانيهم من غير ضرورة إلاّ لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه، والذب عن الشبه التي ترد عليه ويقوم بأداء واجباته، وعموم الأدلة يؤيد ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وقوله ﷺ: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين" وقوله: "لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يزايل المشركين" ولأن في ذلك وسيلة على ارتكاب المحرم وترك الواجب وما أفضى إليهما فحكمه التحريم.

والخلاصة: أنّ هذه الرحلة لا يجوز من شبابنا، وأوليائهم الاستجابة إليها بل يجب على ولاة الأمور وعلى الآباء بذل جميع الوسائل الممكنة، لعدم اشتراك

الشباب في مثل هذه الرحلات، وإحباطها، وعدم إنفاذها حماية لشباب المسلمين مما يهدد عقيدتهم وأخلاقهم.

ولا يفوتني هنا أن أنبه إخواني المسلمين إلى ما يحيكه لهم أعداؤهم من الدسائس والمؤامرات لتفتنهم عن دينهم، وإبعادهم عنه، وإضعاف التزامهم به التي تبينها خطط التبشير التي كشفها الكثير من علماء المسلمين ومفكريهم، وفي حملات التشكيك المستمرة، ويغلط غلطًا عظيمًا من ينفي ذلك، ويحسن الظن بهم، وما الغزوات، والحملات التبشيرية المركزة على بلاد المسلمين في إندونيسيا والفلبين وبنغلادش وأوغندا والسودان، وغيرها من البلاد إلا براهين على ذلك، ومن الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام إلى ذلك إنشاء المستشفيات والمدارس والملاجئ، وإقامة الاجتماعات الترفيهية والجمعيات الإنسانية، غايتهم في ذلك تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم، وقطع صلتهم بالله وإطلاق شهواتهم، وهل هناك أنجح من حضنهم للمراهقين في مثل هذه الرحلات وغسل أدمغتهم بما يلقونه عليه من توجيه، فتيقظوا أيها الإخوان لهذه الخطط الخبيثة، ولا تسلموا أولادكم لأعدائكم فتلقوا بهم إلى التهلكة وتدفعوهم إلى طريق الضلال، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

كما نذكر إخواننا المسلمين بواجبهم تجاه أبنائهم من تربيتهم التربية الصالحة وأمرهم بأداء الشعائر، والتحلي بالآداب الإسلامية، ونهيهم عن المحرمات وعن الرذائل ووسائلها، وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم، وصيانتهم عن رفقاء السوء، وعن المجتمعات الفاسدة.

وننبه القائمين على الصحف المحلية إلى المزيد من التيقظ، والغيرة على الدين

والمجتمع، وعدم نشر مثل هذه الإعلانات الضارة التي تخدم أعداء الدين، وتعود بالضرر على المجتمع، وأبنائه في دينهم وعقيدتهم، وأخلاقهم، بل الواجب عليهم أنْ يكونوا وسائل مساعدة في الإصلاح والتوجيه إلى الخير والحق.

رزق الله الجميع السلامة في الدين والدنيا، وأرانا الحق حقًا، ورزقنا اتباعه، وأرانا الباطل باطلاً ورزقنا اجتنابه، وأصلح ولاة أمر المسلمين، ونصر بهم الحق، وكتب لجميع المسلمين في كل مكان أسباب الخير والعزة إنّه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٤/ ١٩٧-١٩٩].

الرد على المفتي العام بالأردن

بعنوان: القول بإباحة تحديد النسل مخالفة للشريعة والفطرة ومصالح الأمة(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، أما بعد: فقد نشرت بعض الصحف المحلية منذ أمد قريب خبرًا مفاده: أنّ فضيلة المفتي العام الأردن قد أفتى بإباحة تحديد النسل، وأنَّ الحكومة إذا قررته لزم العمل به؛ واشتهر هذا الخبر بين الناس، وصار حديث المجالس لاستغرابه واستنكار المسلمين له، ومن أجل ذلك كثر السؤال عن حكم هذه المسألة وهل هذه الفتوى صوابٌ أم خطأ؟ فرأيت أن من الواجب على أمثالي بيان ما يدل عليه شرع الله عز وجل في هذه المسألة فأقول: اعلم أيها القارئ وفقني الله وإياك لإصابة الحق، أني اطلعت على الفتوى المذكورة وتأملت ما اعتمد عليه فضيلة المفتي العام في الأردن في إصداره هذه الفتوى المشتملة على القول بإباحة تحديد النسل، وأنّ الحكومة إذا قررته كان العمل به لازمًا، فألفيته قد ركز فتواه على قوله عز وجل: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣] وعلى قول النبي ﷺ "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" وعلى الأحاديث الدالة على إباحة العزل، هذه أدلة المفتي التي اعتمد عليها في هذه الفتوى العظيمة وهناك أمر آخر مهد به الفتوى وهو قوله بالحرف الواحد في أول الفتوى: (لقد عَظُمت مخاوف العالم من تزايد السكان في كل مكان، وصار الخبراء يَعُدّون ذلك منذرًا له بالويل والثبور وعظائم الأمور) ثم قال في آخر الفتوى ما نصه: (إذا قَررتَ

(١) مقال نشر في حدود عام ١٣٨٥هـ عندما كان سماحة الشيخ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الحكومة هذا، فإن العمل به يكون لازمًا؛ لأنّ من المتفق عليه أن ولي الأمر إذا أخذ بقول ضعيف يكن حتمًا) انتهى المقصود من كلام المفتي.

وكل من تأمل ما اعتمده المفتي في هذه الفتوى من ذوي العلم والبصيرة يعلم أنه أبعد النجعة، وخالف الصواب، ورمي في غير مرمى، وتحقق بأن ما ذكره من الأدلة لا يدل على ما ذهب إليه بوجه من الوجوه، بل هي في جانب والفتوى في جانب آخر، كما قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغربّة ... شتان بين مشّرقٍ ومغّرب

أما الآية الكريمة فقد ذكرها الله سبحانه بعد قوله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، ثم قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣]، فأمر الله تعالى بالنكاح، ورغّب فيه، ووعد المتزوج بالغنى إن كان فقيرًا ترغيبًا له في النكاح، وتشجيعًا له على الإقدام عليه واثقًا بالله معتمدًا على فضله وسعة جوده وعلمه بأحوال عباده، ولذا ختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم أمر من لا حيلة له في النكاح أن يستعفف حتى يغنيه الله من فضله؛ فأي حجة في هذه الآية على قطع النسل أو تحديده، وقد زعم فضيلة المفتي أنَّ أمر الله بالاستعفاف لمن لا يستطع النكاح يدل على جواز القطع والتحديد؛ لأن تأخير النكاح بسبب العجز يفضي إلى تأخير النسل، أو قطعه إن مات قبل أن يتزوج، وهذا احتجاج غريب واستدلال نادر الوجود لا يمت إلى الآية بصلة، بل هو من غرائب الاستدلالات ونوادر الاحتجاج فالله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين ما نصه: (هذا أمر بالتزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر، واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"(١)، وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: " تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة". والأيامي: جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما، حكاه الجوهري عن أهل اللغة يقال: رجل أيم وامرأة أيم، وقوله تعالى:﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢]. قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: رغبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢]، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمود بن خالد الأزرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعني: ابن عبد العزيز قال: بلغني أن أبابكر الصديق رضي الله عنه قال: (أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى) قال تعالى: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾، رواه ابن جرير، وذكر البغوي عن عمر نحوه، وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء والغازي في سبيل الله"(٢)، وقد زَوَّج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره، ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا فزوجه بتلك المرأة، وجعل

---

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود.

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

صداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن، والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله.

وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث "تزوجوا فقراء يغنكم الله" فلا أصل له، ولم أره بإسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن، وفي القرآن غنية عنه، وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها ولله الحمد والمنة. وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٣]، هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجًا بالتعفف عن الحرام كما قال ﷺ:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"انتهى المقصود. وبما ذكرناه آنفًا، وما نقلناه عن الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآيتين يتضح للقراء حقيقة معناهما، وأنهما يدلان على شرعية النكاح، والحث عليه لما فيه من المصالح العظيمة التي منها قضاء الوطر، وعفة الفرج، وغض البصر، وتكثير النسل أما الاستدلال بهما على جواز قطع الحمل، وتحديد النسل، ففي غاية من الغرابة والبعد عن الصواب، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" فهو دال على ما دلت عليه الآيتان من الحث على النكاح والترغيب فيه، وبيان بعض حكمه وأسراره، ودال أيضًا على أن من عجز عن النكاح يشرع له الاشتغال بالصوم؛ لأنه يضعف الشهوة، ويضيق مجاري الشيطان، فهومن أسباب العفة وغض البصر وليس فيه حجة بوجه ما على إباحة قطع الحمل، أو تحديد النسل، وإنما فيه تأخير عند العجز إلى زمن القدرة وشرعية تعاطي أسباب العفة حتى لايقع في الحرام أما

الاحتجاج بأحاديث العزل على تحديد النسل فهو من جنس ما قبله بعيد عن الصواب مخالف لمقاصد الشرع؛ لأنّ العزل هو إراقة المني خارج الفرج لئلا تحمل المرأة، وهذا إنّما يفعله الإنسان عند الحاجة إليه مثل كون المرأة مريضة، أو مرضعة فيخشى أن يضرها الحمل أو يضر طفلها فيعزل لهذا الغرض، أو نحوه من الأغراض المعقولة الشرعية إلى وقت ما، ثم يترك ذلك، وليس في هذا قطع للحمل، ولا تحديد للنسل، وإنما فيه تعاطي بعض الأسباب المؤخرة للحمل لغرض شرعي، وهذا لا محذور فيه في أصح الأقوال عند العلماء كما دلت عليه أحاديث العزل، ثم إنّ العزل لا يلزم منه عدم الحمل، فقد يسبقه المني، أو بعضه، فتحمل المرأة بإذن الله ولهذا قال النبي ﷺ في بعض الأحاديث الواردة في العزل: "ليس من نفس مخلوقة إلا الله خلقها" وروي عنه ﷺ أنه قال: "ليس من كل الماء يكون الحمل" فأي حجة في أحاديث العزل على تحديد النسل لمن تأمل المقام، وأعطاه حقه من النظر، وتجرد عن العوامل الأخرى نسأل الله لنا ولفضيلة المفتي العام في الأردن، ولسائر إخواننا التوفيق لإصابة الحق والعافية من خطأ الفهم إنه خير مسئول.

ومن تأمل ما ذكرناه، وما نقلناه عن أهل العلم يعلم أنَّ القول بإباحة تحديد النسل قول مخالف للشريعة الكاملة التي جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ومخالف للفطرة السليمة، فإن الله سبحانه فطر العباد على محبة الأولاد وبذل الأسباب في تكثير النسل، وقد امتن الله بذلك وجعله من زينة الدنيا فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]، ومن تأمل المقام أيضًا عرف أنَّ القول

بتحديد النسل مخالف لمصالح الأمة، فإنَّ كثرة النسل من أسباب قوة الأمة، وعزتها ومنعتها وهيبتها، وتحديد النسل بضد ذلك يفضي إلى قلتها وضعفها بل إلى فنائها وانقراضها؛ وهذا واضح لجميع العقلاء لا يحتاج إلى تدليل، وأما تخوف المفتي من كثرة السكان، وقول الخبراء إن ذلك ينذر بالويل والثبور، فهذا شيء لا ينبغي للعاقل فضلاً عن العالم أنْ يلتفت إليه بأن يعلق به أحكامًا تخالف الشريعة، وعلم الغيب إلى الله سبحانه هو خالق العباد ورازقهم وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وهو القائل ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، والقائل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، والقائل: ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]. وقد صح عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن الله سبحانه إذا خلق الجنين أمر الملك أن يكتب رزقه وأجله وعمله فكل مخلوق له رزقه المقدر على حسب ما يسر الله من الأسباب، فكيف يليق بالعاقل أن يستحسن أو يبيح تحديد النسل خوفًا من ضيق العيش، والله سبحانه المتكفل بالرزق، والقادر على كل شيء، وإذا كان السكان قد تزايدوا في كل مكان، فأسباب الإنتاج والرزق قد كثرت أيضًا في كل مكان، وقد تسهلت وتنوعت أكثر مما كانت قبل وأحسن مما كانت قبل وهذا من دلائل حكمة الله سبحانه وكمال قدرته وعظيم عنايته بمصالح عباده، ثم كيف يليق بمسلم أن يسيء ظنه بربه حتى يبيح للأمة تحديد النسل، وحتى يلزم بذلك إذا قررته الدولة خوفًا من ضيق العيش، وعدم حصول

الرزق، فأين الإيمان بالله وأين الثقة بخبره، وأين التوكل عليه؟ ثم في هذا الظن السيئ مشابهة للكفرة الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر فأنكر الله عليهم ذلك وعابهم به في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال سبحانه في آية الإسراء:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١]، وأما قول المفتي في آخر الفتوى: (وإذا قررت الدولة ذلك يكون العمل به لازمًا؛ لأن من المتفق عليه أن ولي الأمر إذا أخذ بقول ضعيف يكون حتمًا) فهذا القول في غاية السقوط، بل هو ظاهر البطلان، لأنَّ الحكومة إنما تطاع في المعروف لا فيما يضر الأمة ويخالف الشرع المطهر، والقول بتحديد النسل مخالف للشرع ومصلحة الأمة فكيف تلزم طاعتها فيه. قال الله ﷻ في حق نبيه ﷺ: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وهو ﷺ لا يأمر إلا بالمعروف ولكن الله ﷻ أراد إعلام الأمة وإرشادها إلى أن طاعة ولاة الأمور إنما تكون في المعروف، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما الطاعة في المعروف" وقال علية الصلاة والسلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهذه كلمة موجزة أردنا بها إظهار الحق وكشف اللبس، وإرشاد المسلمين إلى ما نعلم من شرع الله سبحانه في هذه المسألة.

نسأل الله أن يوفقنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه، وأن يَمُنَّ على الجميع بالفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن، ونزغات الشيطان إنه على كل شيء قدير وصلى وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه))[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٣-٣٢٦-٣٣٣].

حكم الإسلام في عيد الأم والأسرة
والرد على بعض الكُتَّاب في دعوتهم للاحتفال بهذه الأعياد

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

اطلعت على ما نشرته صحيفة (الندوة) في عددها الصادر بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٣٨٤هـ، تحت عنوان: (تكريم الأم.. وتكريم الأسرة) فألفيت الكاتب قد حبذ من بعض الوجوه ما ابتدعه الغرب من تخصيص يوم في السنة يحتفل فيه بالأم، وأورد عليه شيئًا غفل عنه المفكرون في إحداث هذا اليوم، وهي ما ينال الأطفال الذين ابتلوا بفقد الأم من الكآبة والحزن حينما يرون زملاءهم يحتفلون بتكريم أمهاتهم، واقترح أن يكون الاحتفال للأسرة كلها، واعتذر عن عدم مجيء الإسلام بهذا العيد؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية قد أوجبت تكريم الأم وبرها في كل وقت، فلم يبق هناك حاجة لتخصيص يوم من العام لتكريم الأم.

ولقد أحسن الكاتب فيما أعتذر به عن الإسلام، وفيما أورده من سيئة هذا العيد التي قد غفل عنها من أحدثه، ولكنه لم يشر إلى ما في البدع من مخالفة صريح النصوص الواردة عن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ولا إلى ما في ذلك من الأضرار ومشابهة المشركين والكفار، فأردت بهذه الكلمة الوجيزة أن أنبه الكاتب وغيره على ما في هذه البدعة، وغيرها مما أحدثه أعداء الإسلام والجاهلون به من البدع في الدين، حتى شوهوا سمعته ونفروا الناس منه؛ وحصل بسبب ذلك من اللبس والفرقة ما لا يعلم مدى ضرره وفساده إلا الله سبحانه.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ التحذير من المحدثات في الدين، وعن مشابهة أعداء الله من اليهود والنصارى، وغيرهم من المشركين

مثل قوله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[(١)]، وفي لفظ لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" والمعنى: فهو مردود على من أحدثه، وكان ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: "أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[(٢)]، ولا ريب أنّ تخصيص يوم من السنة للاحتفال بتكريم الأم أو الأسرة من محدثات الأمور التي لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته المرضيون، فوجب تركه وتحذير الناس منه والاكتفاء بما شرعه الله ورسوله.

وقد سبق أنّ أشار الكاتب إلى أنّ الشريعة الإسلامية قد جاءت بتكريم الأم، والتحريض على برها كل وقت، وقد صدق في ذلك، فالواجب على المسلمين أن يكتفوا بما شرعه الله لهم من بر الوالدة وتعظيمها والإحسان إليها والسمع لها في المعروف كل وقت، وأن يحذروا من محدثات الأمور التي حذرهم الله منها، والتي تفضي بهم إلى مشابهة أعداء الله، والسير في ركابهم، واستحسان ما استحسنوه من البدع، وليس ذلك خاصا بالأم بل قد شرع الله للمسلمين بر الوالدين جميعًا وتكريمهما والإحسان إليهما وصلة جميع القرابة، وحذرهم سبحانه من العقوق والقطيعة وخص الأم بمزيد من العناية والبر؛ لأن عنايتها بالولد أكبر وما ينالها من المشقة في حمله وإرضاعه وتربيته أكثر، قال الله سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) متفق عليه.

(٢) خرجه مسلم في صحيحه.

وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَـٰرَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر"؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين" وكان متكئًا فجلس وقال: "ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور" وسأله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله: أي الناس أحق بحسن صحابتي قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أبوك ثم الأقرب فالأقرب" وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة قاطع" يعني قاطع رحم. وصح عنه ﷺ أنه قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله، فليصل رحمه"، والآيات والأحاديث في بر الوالدين وصلة الرحم وبيان تأكيد حق الأم كثيرة مشهورة، وفيما ذكرنا منها كفاية ودلالة على ما سواه، وهي تدل على من تأملها دلالة ظاهرة على وجوب إكرام الوالدين جميعًا، واحترامهما، والإحسان إليهما، وإلى سائر الأقارب في جميع الأوقات، وترشد إلى أن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من أقبح الصفات والكبائر التي توجب النار وغضب الجبار، نسأل الله العافية من ذلك وهذا أبلغ وأعظم مما أحدثه الغرب من تخصيص الأم بالتكريم في يوم من السنة فقط ثم إهمالها في بقية العام مع الإعراض عن حق الأب وسائر الأقارب، ولا يخفى على اللبيب ما يترتب على هذا الإجراء من الفساد الكبير مع كونه مخالفا لشرع أحكم الحاكمين، وموجبًا للوقوع فيما حذر منه رسوله الأمين.

ويلتحق بهذا التخصيص والابتداع، ما يفعله كثير من الناس من الاحتفال بالموالد، وذكرى استقلال البلاد، أو الاعتلاء على عرش الملك، وأشباه ذلك، فإن هذه كلها من المحدثات التي قلد فيها كثير من المسلمين غيرهم من أعداء الله،

وغفلوا عما جاء به الشرع المطهر من التحذير من ذلك والنهي عنه، وهذا مصداق الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حيث قال: "لتتبعن سَنَن من كان قبلكم حَذو القُذَةَ بالقُذةِ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن" وفي لفظ آخر: "لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع" قالوا يا رسول الله: فارس والروم؟ قال: "فمن" والمعنى فمن المراد إلا أولئك، فقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من متابعة هذه الأمة إلا من شاء الله منها لمن كان قبلهم من اليهود والنصارى، والمجوس، وغيرهم من الكفرة، في كثير من أخلاقهم، وأعمالهم، حتى استحكمت غربة الإسلام، وصار هدي الكفار وما هم عليه من الأخلاق والأعمال أحسن عند الكثير من الناس مما جاء به الإسلام، وحتى صار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، عند أكثر الخلق؛ بسبب الجهل والإعراض عما جاء به الإسلام من الأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة المستقيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في الدين وأن يصلح أحوالهم، ويهدي قادتهم، وأن يوفق علماءنا، وكُتابنا لنشر محاسن ديننا والتحذير من البدع والمحدثات التي تشوه سمعته، وتنفر منه، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه، ومن سلك سبيله واتبع سنته إلى يوم الدين))(١).

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة [٥/ ١٨٩-١٩٢].

كلمة لسماحة الشيخ
بعنوان: مع الصحف والإذاعة(١)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

((نشرت بعض الصحف لبعض الكُتَّاب والكاتبات كلمات لا تهدف إلى صالح المجتمع بل تضره، وتفضي به إلى أسوأ العواقب، وقد يكون ذلك الكاتب وتلك الكاتبة لا يشعران بمدى خطورة ما كتبا، ولا يعلمان عظيم جنايتهما على المجتمع الإسلامي الذي يعيشان فيه، ولا سيما في هذا العصر الرهيب الذي استحكمت فيه غربة الإسلام وظهر فيه الإلحاد والإباحية وانتشر أنصارهما والدعاة إليهما، تارة باسم التقدم والرقي والقومية العربية، وتارة باسم الحرية والاشتراكية، وطورا بأسماء أخرى، شعارات برَّاقة وأساليب خداعة لا تمت إلى الخير بصلة، ولا تهدف إلى الحق بأدنى وسيلة، يغتر بها السذج والسفهاء ويخدع بها الجهال والحمقى ويربح من ورائها الأعداء.

وكان الواجب على كُتَّابِنا من الرجال والنِّساء أن يتحروا الحق فيما يكتبون، وأن يزنوا كلماتهم وأهدافهم بالميزان الذي لا يجور، وهو ميزان الشريعة الإسلامية الكاملة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن لا يغتروا بالشعارات المضللة والدعايات الجوفاء، والأساليب الساحرة التي انتحلها أعداؤهم، وقصدوا من ورائها تضليل المسلمين، وتلبيس دينهم عليهم، ودعوتهم إلى التملص منه، والخروج على أحكامه بشتى الأساليب وأنواع المغريات.

---

(١) نشرت في الصحف المحلية في عام ١٣٨٣هـ.

وهكذا وسائل الإعلام يجب على القائمين عليها أن يتحروا الخير فيما يوجهونه للنَّاس، وأن يزودوها بالمقالات النافعة البنَّاءة، والأحاديث الهادفة، والتوجيهات السديدة التي تنفع المجتمع في دينه ودنياه، وتأخذ بيده إلى الطريق القويم، وتنبهه على أخطائه ومواضع الزلل من سيرته، حتى يرجع عن الخطأ ويستقيم على سواء السبيل وبذلك تؤدي واجبها وتساهم في الإصلاح الديني والدنيوي ويتحقق بها نفع الأمة وتوجيهها إلى الصالح العام في المشارق والمغارب، وتكون بذلك قد استغلت الوقت فيما يفيد، وأحسنت سمعة بلدها، وأخذت بأيدي مستمعيها إلى أسباب الرقي الصالح والتقدم السليم والحضارة الكريمة التي تصان بها الكرامة، وتحفظ بها الحقوق، وتزكي بها النفوس، وترشد بها العقول إلى طريق السلامة ووسائل البناء والإصلاح والابتعاد عن أسباب الغي والضلال والتخريب والإفساد.

ولقد كان مما أُخِذَ على الإذاعات واستاء له كل مسلم غيور ما تمليه على الناس عبر الأثير ليل نهار من الأغنيات الخليعة، وما يضاف إلى ذلك من آلات العزف والطرب، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إفساد القلوب ومرضها وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة، وإشغالها بأغنية فلان وفلانة، وصوت علان وعلانة عن استماع القرآن الكريم وأحاديث النبي الأمين، والمواعظ المفيدة، والمقالات البنَّاءة إلى غير ذلك من أنواع الفساد والتخريب، ولا ريب أن ذلك كله من لهو الحديث الذي أخبر الله في كتابه أنه يضل أهله عن سبيل الله ويفضي بهم إلى اتخاذ آيات الله هزوا كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"(١)، والحر: بالحاء والراء المهملتين هو الفرج الحرام يعني بذلك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

الزنى، وأما الحرير والخمر فمعروفان، وأما المعازف فهي آلات اللهو كلها كالطنبور والعود والكمان والطبل وشبه ذلك.

وقد ظهر مصداق هذا الحديث الشريف في العصور المتأخرة، فقد استحلَّ الكثير من الناس الفرج الحرام والخمر والمعازف، واستحلَّ الكثير من الرجال لبس الحرير، وكل ذلك يدل على ضعف في الإيمان وقلة في العلم وفساد في المقصد وإقبال على الشهوات، وإعراض عظيم عن التفقه في الشريعة الإسلامية والعمل بها، وهذا كله في المنتسبين إليها والمحسوبين عليها، وقد حاربوها وابتعدوا عن تعاليمها واستهزأوا بمن تمسك بها أو دعا إليها إلا من شاء الله وهو القليل.

ولا ريب أنّ بلادنا من أحسن البلاد الإسلامية، وأقومها بشعائر الله على ما فيها من نقص وضعف، فالواجب علينا جميعًا من مسئولين ومذيعين وكُتَّاب وكاتبات أن نتقي الله جميعًا في أنفسنا ومجتمعنا، وأن نتكاتف ونتعاون على نصر دينه وحماية شريعته وترك ما خالف ذلك حتى نكون أسوة صالحة ومثالاً أعلى لجميع البلدان الإسلامية، ولا سيما ونحن في مهبط الوحي، ومطلع شمس الرسالة، وقبلة المسلمين في المشارق والمغارب، ولا ريب أن هذا كله يقتضي مضاعفة الجهود والعناية بعظم المسئولية، ولا يخفى ما في ذلك من جزيل المثوبة إذا قمنا بواجبنا، ويقتضي كبر الجريمة وشدة الخطر إذا تخلينا عنه وتساهلنا بالمسئولية الملقاة على عواتقنا.

وقد علم كل ذي بصيرة وعلمٍ بأحوال الناس أنَّ فشو الغناء والملاهي في المجتمع من أعظم الأسباب لزوال النعم وحلول النقم، وخراب الدولة وزوال الملك وكثرة الفوضى والتباس الأمور، فالجد الجد والبدار البدار قبل أن يحل بنا

من أمر الله ما لا طاقة لنا به، وقبل أن تنزل بنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منا خاصة بل تعم الصالح والطالح ويهلك بها الحرث والنسل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد استنكر أهل العلم والإيمان ما تنشره الصحف وغيرها وما تسير عليه الإذاعات حاليًا مما اشرنا إليه آنفًا، وكتبوا في ذلك ما شاء الله أن يكتبوا مما نشر بعضه في الصحف وأكثره لم ينشر، وحفزهم إلى ذلك الغيرة لله والنصيحة له ولعباده، وما أوجب عليهم مولاهم سبحانه من إنكار المنكر والأمر بالمعروف، وممن كتب في ذلك أخونا العلامة الناصح لله ولعباده الشيخ محمد بن أحمد باشميل، فقد نشرت له صحيفة الندوة في عددها الصادر في ٢٠/ ٢/ ١٣٨٣هـ كلمة قيمة بعنوان: (اضربوا على أيدي السفهاء)، أنكر فيها ما كتبه بعض من قلَّ علمه وضعفت بصيرته من الدعوة إلى السفور والغناء والعزف والطرب، وبروز المرأة واختلاطها مع الرجل في المصنع والمتجر والمكتب ونحو ذلك، وأوضح ما يترتب على ذلك من الفساد، ودعا المسئولين إلى الضرب على أيدي السفهاء، ولا ريب أن هذا هو الواجب عليه، وعلى غيره من أهل العلم أن ينصحوا لله ولعباده، وأن ينكروا المنكر على من فعله، وأن يحذروا الناس من مغبة ظهور المنكرات والتساهل في إنكارها.

ولا شك أن من دعا الناس إلى ما يفسد مجتمعهم ويضرهم في دينهم ويوجب غضب الله عليهم ويسبب حلول النقم؛ حقيق بأن يسمى سفيها، وأن يطلب من المسئولين من ولاة الأمر، وغيرهم من أعيان الناس، وأرباب الغيرة والدين أن يضربوا على يديه، وأن يمنعوه من أسباب الخطر، وأن يوقفوه عند حده ويبصروه بعيبه وخطئه، وهذا هو الواجب عليهم كما قال النبي ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" الحديث، فعلى السلطان واجبٌ مع الرعية بتقويم أخلاقهم،

وإلزامهم بالحق ومنعهم مما حرم الله حسب الطاقة، وعلى كل إنسان من والد وزوج وأمير وكبير عشيرة ونحوهم واجبهم من إنكار المنكر والأخذ على يد السفيه حسب الطاقة، وإذا كان الله سبحانه قد سمى من لا يحسن التصرف في ماله سفيها ولو كان شيخًا كبيرًا في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]، فالذي لا يحسن التصرف في دينه، ولا يقف عند الحد الذي حده الله له أولى بهذه التسمية وأحق بهذا اللقب، ولا ريب أن سفور النساء بحضرة الرجال غير المحارم وإبدائهن مفاتنهن من أعظم السفه سواء كان ذلك في الطريق أو الطائرة أو السيارة أو المتجر أو المكتب أو المصنع أو القطار أو غير ذلك، وهكذا إعلان الأغاني، وآلات العزف، ودعوة الناس إلى ذلك وتحبيذه لهم من أعظم السفه، فيجب على ولاة الأمر القضاء على ذلك والمنع منه والضرب على أيدي من يدعو إليه أو يفعله، وبذلك تصلح الأحوال ويؤدي الواجب ويزول المنكر ويؤخذ على يد السفيه، وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه تلا الآية الكريمة من قول الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، ثم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم"، وصح عنه ﷺ أنه قال: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقابه".

وإني لأعجب كثيرًا من استنكار بعض كُتابنا كلمة أخينا الشيخ محمد بن أحمد باشميل التي أشرنا إليها، وغضبهم منها، ومناقشتهم إياها، وهم يعلمون نصح

الرجل وغيرته العظيمة وكتاباته المفيدة، فما كان ينبغي لهم أن يغضبوا من كلمة الحق بل كان الواجب عليهم أن يؤيدوه ويؤازروه في الصدع بالحق والدعوة إليه وإنكار المنكر والتحذير منه، والواجب أيضًا أن يحملوا كلامه على أحسن المحامل، وأن يظنوا به الظن الحسن، وأن لا يرموه بما لا يليق به، فالمؤمنون إخوة وجسد واحد وبناء واحد سواء كانوا عربًا أو عجمًا، وسواء نبتوا في هذه البلاد، وعاشوا فوق أرضها وتحت سمائها، أو هاجروا إليها من بعيد، فكل مسلم يعبد الله وحده، وينقاد لشريعته أخونا وحبيبنا، سواء كان في المشرق أو المغرب، وسواء كان عربيًا أو عجميًا، وسواء تجنس بالجنسية الرسمية أم لم يتجنس بها، هكذا علمنا ربنا وأدبنا أحسن تأديب، وهكذا أرشدنا رسوله ﷺ ووجهنا أكمل توجيه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه". فاتقوا الله يا إخواني وأنصفوا من أنفسكم وحققوا الأخوة الإيمانية التي أمر الله بها، وقولوا للمحق: "أحسنت وأجملت ووجهوه واشكروه وأعينوه، وقولوا للمسيئ: أسأت وأخطأت برفق وحكمة ووجهوه وأرشدوه، وبذلك تستحقون الثواب الجزيل من الله سبحانه والثناء الحسن من الناس والسمعة الطيبة في الداخل والخارج، واحذروا طاعة الهوى والتعصب المقيت والتقليد الأعمى تربحوا وتسلموا وتفوزوا بالعافية الحميدة.

والله أسأل أن يهدينا جميعًا سواء السبيل، وأن يوفق حكومتنا وولاة أمرنا لما فيه صلاح المجتمع وسعادته في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا جميعًا ممن يقول الحق ويعمل به لا يخاف في الله لومة لائم إنه على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين))[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات [٤/ ١٦٠-١٦٥].

المراجع

المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
- أبحاث هيئة كبار العلماء.	هيئة كبار العلماء.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- أرض العروبة.	عبدالحي عمران.	مطبعة الشعب مصر.
- أضواء البيان.	محمد الأمين الشنقيطي.	دار الفكر بيروت.
- إعانة المستفيد في كتاب التوحيد.	صالح الفوزان.	ط١ دار التوحيد الخيرية.
- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم.	أحمد بن تيمية. تحقيق د. ناصر العقل.	ط١ مكتبة الرشد الرياض.
- الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان.	د. بكر أبوزيد.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.	د. محمد محمد حسين.	ط١ مكتبة الرسالة مكة.
- الآراء التربوية عند الإمام ابن باز	د.عبدالعزيز بن محسن الخطابي.	ط١ دار طيبة الخضراء مكة.
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد.	فضيلة الشيخ صالح الفوزان.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد.	الشيخ صالح الفوزان.	ط١ دار التوحيد الخيرية.
- الإسلام والحضارة الغربية.	د. محمد محمد حسين.	ط. مكتبة الرسالة مكة المكرمة.
- الأعمال الكاملة.	د. محمد عمارة.	مكتبة الشعب القاهرة.
- البداية والنهاية.	الحافظ ابن كثير.	ط١ دار الفكر بيروت.
- التبيان شرح نواقض الإسلام.	سليمان بن ناصر العلوان.	ط١ دار الوطن الرياض.
- الجامع الفريد.	مجموعة من العلماء.	ط١ بإشراف اللجنة الدائمة للإفتاء.
- الحاكمية في أضواء البيان.	د. عبدالرحمن السديس.	ط١ دار الوطن الرياض.
- الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه.	د.عبدالرحمن الصالح المحمود.	ط٢١ دار طيبة الرياض .
- الدرر السنية الأجوبة النجدية.	جمع محمد عبدالرحمن بن قاسم.	تحت إشراف دار الإفتاء.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
- الدولة العثمانية والغزو الفكري.	د. خلف الوزيناني.	من منشورات جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والدعاة.	محمد الموسى محمد الحمد	ط. ابن الجوزي الدمام
- الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية.	د. عمر بن سليمان الأشقر.	ط١ دار عمر بن الخطاب الإسكندرية.
- الصحافة والأقلام المسمومة.	أنور الجندي.	دار الاعتصام ط١ القاهرة.
- العروبة أولاً.	ساطع الحصري.	مطبعة الشعب مصر.
- العقيدة الصحيحة وما يضادها	الشيخ عبدالعزيز بن باز	تحت إشراف دار الإفتاء.
- العلامة المحدث أحمد محمد شاكر وجهوده في الدعوة والإصلاح.	أبو العلا بن راشد الراشد بتقديم الشيخين صالح الفوزان، وعابد محمد السفياني.	مكتبة الرشد الرياض.
- الغزو الفكر وأساليبه.	د. علي جريشه.	مكتبة الاعتصام ط١. القاهرة.
- الفتوى الحموية.	أحمد بن الحليم بن تيمية.	ط١ المكتبة السلفية القاهرة.
- الغارة على العالم الإسلامي.	كتاب مترجم	المكتبة السلفية القاهرة.
- القول السديد على كتاب التوحيد.	الشيخ عبدالرحمن السعدي.	ط٥ دار الإفتاء الرياض.
- القومية العربية.	د. عبدالحميد رضوان.	مطبعة الشعب مصر.
- المؤامرة على المرأة المسلمة.	د. محمد السيد فرج.	ط١ دار الاعتصام القاهرة.
- المرأة الجديدة.	قاسم أمين.	مطبوعات مكتبة المرأة والطفل القاهرة.
- المرأة المصرية.	درية شقيق الدريين.	مطبوعات مكتبة المرأة والطفل القاهرة.
- الشفا في حقوق المصطفى.	القاضي عياض.	المكتبة السلفية القاهرة.
- الموسوعة الميسرة مع الأديان والمذاهب المعاصرة.	الندوة العالمية للشباب الإسلامي.	ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
- إمام العصر	د.ناصر بن مسفر الزهراني.	ط١ ١٤٢٠، بدون دار نشر.
- إنَّ الله هو الحكم.	محمد بن شاكر الشريف.	ط١ دار الوطن الرياض.
- تحفة الأخوان بفتاوى مهمة عن أركان الإسلام.	الشيخ عبدالعزيز بن باز.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- تفسير بن كثير.	الحافظ ابن كثير.	ط١ دار الفكر بيروت.
- تفسير جامع البيان.	محمد بن جرير الطبري.	ط١ دار الفكر بيروت.
- تنبيهات هامة على ماكتبه الشيخ الصابوني.	الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ صالح الفوزان.	ط١ الدار السلفية الكويت.
- جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز.	محمد الحمد محمد الموسى	ابن الجوزي - الدمام.
- حصوننا مهددة من داخلها.	د. محمد محمد حسين.	مكتبة الرسالة ط١. مكة المكرمة.
- حكم الجاهلية.	المحدث أحمد محمد شاكر.	ط١ مكتبة السنة القاهرة.
- حول تطبيق الشريعة.	محمد قطب.	دار الشروق بيروت.
- دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام.	مصطفى فوزي غزال.	دار طيبة ط. الرياض.
- رسالة التحذير من الإرجاء.	فتاوى لعدد من العلماء.	ط١ عالم الفوائد مكة.
- رسالة تحكيم القوانين.	محمد بن إبراهيم الشيخ.	ط١ دار الوطن الرياض.
- رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه.	الشيخ عبدالعزيز بن باز.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- رفع اللائمة عن فتوى اللجنة الدائمة.	تقديم عدد من المشايخ.	ط١ عالم الفوائد مكة.
- شرح نواقض الإسلام.	الشيخ صالح الفوزان.	ط١ مكتبة الرشد الرياض.
- ضوابط تكفير المعين.	أبو العلا بن راشد الراشد تقديم الشيخ صالح الفوزان.	ط٢ مكتبة الرشد الرياض.
- عبدالعزيز بن باز عالمٌ تقدره الأمة	د. محمد سعد الشويعر.	ط١ بدون دار نشر.
- عمدة التفسير اختصار تفسير ابن كثير.	المحدث أحمد محمد شاكر.	ط١ دار الشعب القاهرة.
- عودة الحجاب.	د. محمد بن إسماعيل المقدم.	دار طيبة ط٧.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
- فتاوى الأئمة النجدية حول القضايا المصيرية.	مدحت بن حسن الفراج.	ط٢ مكتبة الرشد الرياض.
- فتاوى الشيخ ابن باز المتعلقة بأركان الإسلام.	جمع الدكتور محمد الطيار وأحمد بن عبدالعزيز بن باز.	ط. دار الوطن الرياض.
- فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز في نور على الدرب.	جمع الدكتور محمد الطيار	ط. دار الوطن الرياض.
- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم.	جمع محمد عبد الرحمن قاسم.	ط١ المطبعة الحكومية مكة المكرمة.
- فتاوى العقيدة.	محمد بن صالح العثيمين.	ط١ دار الوطن الرياض.
- فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية	جمع أحمد عبد الرزاق الدويش.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية.	جمع أحمد عبد الرزاق الدويش.	ط. دار أصداء المجتمع. الرياض.
- فتاوى اللجنة الدائمة.	جمع أحمد عبد الرزاق الدويش.	ط١ دار العاصمة الرياض.
- فتاوى علماء البلد الحرام	د. خالد الجريسي.	الطبعة الأولى ١٤٢٠، دار الجريسي. الرياض.
- فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز	جمع وإعداد أشرف عبدالمقصود.	الطبعة الأولى ١٤١٩ مكتبة السنة. القاهرة.
- كتاب الدعوة.	الشيخ عبدالعزيز بن باز.	مطبوعات مجلة الدعوة السعودية.
- كلمة الحق.	المحدث أحمد محمد شاكر.	ط١ الدار السلفية القاهرة.
- لا لجارودي ووثيقة أشبيلية	د.سعد ظلام.	بدون دار نشر.
- مجموع الرسائل والمسائل النجدية.	تحت إشراف بعض العلماء.	ط١ دار العاصمة الرياض.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام.	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.	ط١. عالم الكتب الرياض.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز	جمع وإعداد د. محمد سعد الشويعر.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة.	جمع د. سعد الشويعر.	ط. إصدار المجتمع. الرياض.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
- محمد عمارة في ميزان الإسلام.	سليمان الخراشي.	بدون دار نشر.
- مذاهب فكرية معاصر.	محمد قطب.	دار الشروق ط٧.
- مسائل مهمة في الإيمان.	جمع محمد بن عبدالرحمن الهرني.	ط١ عالم الفوائد مكة المكرمة.
- من مشاهير علمائنا.	د. محمد الشريعر.	منشورات نادي الطائف الأدبي.
- منهج العلامة ابن باز في بيان الحق للمخطئين.	د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل	ط١ . بدون دار نشر.
- موقف العقل والعلم من رب العالمين.	شيخ الإسلام مصطفى صبري.	ط. مكتبة المنار القاهرة.
- نقد القومية العربية.	الشيخ عبدالعزيز بن باز.	تحت إشراف دار الإفتاء.
- نواقض الإيمان القولية والعملية.	د/ عبدالعزيز بن العبد اللطيف.	ط دار الوطن.
- واقعنا المعاصر.	الشيخ محمد قطب.	ط١ دار المدينة للنشر والتوزيع.

الصحف والمجلات والدوريات

- جريدة اليوم السعودية.
- صحيفة الأهرام القاهرية.
- صحيفة البلاد السعودية.
- صحيفة الجزيرة السعودية.
- صحيفة الراية السودانية.
- صحيفة الرياض السعودية.
- صحيفة الشرق الأوسط السعودية.
- صحيفة الشهاب اللبنانية.
- صحيفة الصباح.
- صحيفة المدينة السعودية.
- صحيفة المساء المصرية.
- صحيفة الندوة السعودية.
- صحيفة اليمامة السعودية.
- صحيفة عكاظ السعودية.
- مجلة الإصلاح الإماراتية.
- مجلة الاعتصام المصرية. تصدر عن دار الاعتصام.
- مجلة البحوث الإسلامية. تصدر عن دار الإفتاء.
- مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- مجلة التوحيد المصرية. تصدر عن جماعة أنصار السنة.
- مجلة الجامعة الإسلامية.

- مجلة الدعوة السعودية.
- مجلة الدعوة المصرية.
- مجلة الراية السودانية.
- مجلة المجتمع الكويتية.
- مجلة المجلة.
- مجلة المجمع الفقهي بمكة المكرمة.
- مجلة اليمامة السعودية.
- مجلة رابطة العالم الإسلامي. تصدر عن رابطة العالم الإسلامي.
- مجلة رابطة العلوم الإسلامية الأردنية.
- مجلة صوت الإسلام المصرية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
١١- تحريم الحلف بغير الله تعالى رد على مقال نشر بصحيفة الرياض................	٣٩٣
١٢- رد سماحة الشيخ على صحيفة الندوة بعنوان (الإسلام قول وعمل وعقيدة).....	٣٩٤
الفصل التاسع: جهود سماحة الشيخ في الرد على بعض البدع والمحدثات	٤٠١
١- رد سماحة الشيخ على صحيفة الأضواء لنشرها مقالاً حول الاحتفال بالمولد النبوي مع تعليقه على مزاعم هيئة الإذاعة البريطانية	٤٠٥
٢- تنبيه حول الاحتفال بالمناسبات الإسلامية تعليق على صحيفة المدينة	٤٠٦
٣- رد سماحة الشيخ على صحيفة الرياض في الدعوة لتعظيم الآثار	٤٠٩
٤- حكم الإسلام في إحياء الآثار رد على مقال بصحيفة المدينة يدعو إلى إحياء الآثار..	٤١٠
٥- رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الندوة يدعو لإحياء الآثار	٤١٧
٦-كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: حكم الإحداد على الزعماء	٤٢٧
٧- الرد على الكاتب الصحفي مصطفى آمين في دعوته لإحياء الآثار	٤٢٨
٨- التحذير من بناء المساجد على القبور الرد على دعوة لأحياء مسجد أهل الكهف ...	٤٣٩
٩- كلمة لسماحة الشيخ بعنوان: دفن الموتى في المساجد إحدى وسائل الشرك	٤٤٢
الفصل العاشر: جهود سماحة الشيخ ابن باز في الرد على الانحرافات في قضية تغريب المرأة المسلمة وبعض القضايا الأخرى	٤٤٧
١. مدخل تاريخي لقضية تغريب المرأة المسلمة مع نماذج من أقوال دعاة التغريب	٤٤٧
٢. تحذير وبيان من سماحة الشيخ عن مؤتمر بكين	٤٥٤
٣. ملاحظات حول قانون الأحوال الشخصية في بعض الدول الإسلامية	٤٥٦
٤. رد سماحة الشيخ على مقال بصحيفة الأهرام القاهرية يدعو إلى خلع الحجاب	٤٥٩
٥. بيان من سماحة الشيخ حول توظيف النساء في الدوائر الحكومية	٤٦٩
٦. حكم الاختلاط في التعليم والرد على مدير جامعة صنعاء في دعوته للاختلاط في الدراسة	٤٧٣
٧. الاختلاط في الدارسة والرد على بعض الكُتَّاب في دعوته للاختلاط	٤٧٩